

السيرة النبوية

المسمى

عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير

تأليف

محمد بن عبد الله بن يحيى

ابن سيد الناس

٦٧١ - ٧٣٤ هـ

١٢٧٣-١٣٣٤ م

تحقيق: محمود الشرقاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

الأزهر
مجمع البحوث الاسلامية
الادارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translatio

السيد / رئيس مجلس إدارة دار الحياة (محمد محمد الشلبي)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير) ج١ ..... تاليف : محمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن سيد الناس - تحقيق / محمود الشركاوي

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مانع من طبعه على نفقتكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

والله الموفق ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

مدير عام
ادارة البحوث والتأليف والترجمة

تحريرا في ٢ / ٨ / ١٤١٢هـ
الموافق ٢٥ / ١ / ١٩٩٢م

الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

المؤلف :

مؤلف هذه السيرة النبوية هو فتح الدين «١» أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ابن عبدالله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس اليعمري الأندلسي المصري ، ولد في القاهرة في ذي القعدة ، وقيل في ذي الحجة سنة ٦٦١ هـ «١٢٦٣م» ويقول البعض أنه ولد عام ٦٧١ هـ «١٢٧٣م» ونشأ في بيت علم ، ودرس في القاهرة ، وسمع من جلة العلماء أمثال العز الحوراني ، وغازي الحلاوي ، وابن الأنماطي وغيرهم . وتفقه على مذهب الشافعي ، وأخذ علم الحديث عن والده ، وشيخ الإسلام تقي الدين بن دقيق العيد وقد لازمه سنين كثيرة وتخرج عليه ، وقرأ عليه أصول الفقه ، وقرأ النحو على البهاء ابن النحاس .

وقدم دمشق ليالي من وفاة ابن البخاري ، فلم يدركه ، وسمع من ابن المجاور ، ومحمد بن مؤمن ، والتقي الواسطي ، وغيرهم من أعلام الفقه والحديث والتاريخ والمغازي والأخبار والأنساب .

قال السيوطي في «ذيل طبقات الحفاظ » : وكان أحد الأعلام الحفاظ ، إماماً في الحديث ، ناقداً في الفن ، خبيراً بالرجال والعلل والأسانيد ، عالماً بالصحيح والسقيم ، له حظ من العربية ، حسن التصنيف ، صحيح العقيدة ، أديباً ، شاعراً بارعاً متفنناً في البلاغة ، ناظماً دارساً .

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية » اشتغل بالعلم فبرع ، وساد أقرانه في علوم شتى من الحديث والفقه والنحو ، وعلم السير ، وله الشعر الرائق ، والنثر الموافق ، والبلاغة التامة ، وحسن الترصيف والتصنيف ، وجودة البديهة وحسن الطوية وله العقيدة السلفية الموضوعة على الآي والأخبار والآثار والإقتفاء بالآثار النبوية ، ولم يكن في مصر في مجموعه مثله في حفظ الأسانيد والمتون والعلل والفقه والملح والأشعار .

وقال السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى » قال شيخنا الذهبي ، : كان صدوقاً في الحديث ، حجة فيما ينقله ، له بصر ناقد بالفن ، وخبرة بالرجال ، وطبقاتهم .

وقال الشيخ علم الدين البرزالي : «كان أحد الأعيان معرفة واتقاناً ، وحفظاً وضبطاً للحديث ، وتفهماً في علله وأسانيده ، عالماً بصحيحه وسقيمه ، مستحضراً للسيرة ، له

١- انظر في ابن سيد الناس – السبكي : «طبقات الشافعية الكبرى جـ٩ ص ٢٦٨ – ٢٧٢ » ابن تغري بردي : « النجوم الزاهرة جـ٩ ص ٣٠٣ – ٣٠٤ » السيوطي : « حسن المحاضرة جـ١ ص ٣٥٨ » ابن العماد « شذرات الذهب جـ٦ ص ١٠٨ » السيوطي «ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٥٠ » ابن كثير «البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٦٩ » الزر كلي «الأعلام جـ٧ ص ٢٦٣ » دائرة المعارف الإسلامية « جـ١ ص ٣١٧ » .

حظ وافر من العربية ، وله الشعر الرائق والنثر الفائق .

وقال ابن فضل الله فى «مسالك الأبصار» (أحد أعلام الحفاظ ، وإمام أهل الحديث الواقفين فيه بعكاظ «١» ، البحر المكثار ، والحبر فى نقل الآثار ، وله أدب أسلس قياداً من الغمام بأيدى الرياح ، وأسلم مراداً من الشمس فى ضمير الصباح) .

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى :(كان حافظاً بارعاً ، متوعلاً «٢» هضبات الأدب ، عارفاً متفنناً . بليغاً فى إنشائه ، و ناظماً ناثراً مترسلاً ، لم يضم الزمان مثله فى أحشائه ، خطه أبهج من حدائق الأزهار ، وآنق من صفحات الخدود المطرز وردها بآس العذار)

وقال ابن تغرى بردى فى (النجوم الزاهرة) (وكان له نظم ونثر علامة فيهما ، حافظاً متقناً ومن شعره قصيدته التى أولها :

عهدى به والبين «٣» ليس يروعه	صبا يراه نحوله ودموعه
لاتطلبوا فى الحب ثأر متيم	فالموت من شرع الغرام شروعه
عن ساكن الوادى سقته مدامعى	حدث حديثاً طاب لى مسموعه
أفدى الذى عنت البدور لوجهه	إذ حل معنى الحسن فيه جميعه
البدر من كلف به كلف به «٤»	والغصن من عطف عليه خضوعه
لله «٥» حلوى المراشف واللمى«٦»	حلو الحديث ظريفه مطبوعه
دارت رحيق لحاظه فلنا بها	سكر يجل عن المدام صنيعه
يجنى فأضمر عتبه فإذا بدا	فجماله مما جناه شفيعه

مناصبه :

عين ابن سيد الناس مدرساً للحديث بالمدرسة الظاهرية بالقاهرة ، وخطب بجامع الخندق

مؤلفاته :

ألف ابن سيد الناس عدة كتب ، وأتقن وأجاد وأشاد بذكره فى هذا المجال فحول

١- عكاظ : اسم سوق للعرب بناحية مكة كانوا يجتمعون بها فى كل سنة فيقيمون شهراً ويتبايعون ويتناشدون الأشعار ويتفاخرون فلما جاء الإسلام هدم ذلك .

٢- يقال : توعلت الجبل أى علوته .

٣- البين : الفراق .

٤- الكلف هنا شىء يكون فى الوجه كالسمسم أو هو السواد .

٥- رواية طبقات الشافعية «لله معسول .. الخ»

٦- اللمى : سمرة فى الشفة تستحسن .

العلماء ، وكبار المؤلفين .

قال ابن العماد فى كتابه «شذرات الذهب» «وصنف كتباً نفيسة منها ..»

وقال ابن كثير فى «البداية والنهاية» «وقد حرر وحبر ، وأفاد وأجاد ..»

وذكره الذهبى فى معجمه المختص وقال :«أحد أئمة هذا الشأن كتب بخطه المليح كثيراً ، وخرج وصنف وصحح وعلل ، وفرع وأصل..»

ألف فى السيرة النبوية كتابه الذى ننشره «عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير» وقد اختصره .. فى كراريس وسماه «نور العيون » [1].

ونظم عدة قصائد مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم عنوانها «بشرى اللبيب فى ذكرى الحبيب» طبع إحداها كوسبكارتن «ستر السند سنة ١٨١٥م» وباسيه « لوفان سنة ١٨٨٦ م»

وكتب فى الحديث فشرح جامع الترمذى فى كتاب سماه «النفح الشذى ، فى شرح جامع الترمذى» [2] إلى كتاب الصلاة ولم يكمله ، فأتمه الحافظ أبو الفضل العراقى .

وألف فى الصحابة كتابه «تحصيل الإصابة فى تفضيل الصحابة » .

وصنف فى منع بيع أمهات الأولاد ، مجلداً ضخماً يدل على علم كثير .

وكتاب «المقامات العلية فى الكرامات الجلية » وهو مخطوط » .

وفاته :

بعد عمر مديد فى خدمة الدين والعلم والأمة الإسلامية ، أغمض ابن سيد الناس عينه ، وقد انتهت حياته الدنيا فجأة يوم السبت الحادى عشرمن شعبان عام ٧٣٤ هـ « ١٣٣٤م» وكانت جنازته حافلة ، ودفن بالقرافة عند ابن أبى حمزة رحمهما الله تعالى .

١- توجد منه نسخ كثيرة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية فى التاريخ تحت أرقام مختلفة ونسخة أخرى مخطوطة فى فهرس الحديث تحت رقم «١٥٦٢ حديث» .

٢- فى هامش ذيل تذكرة الحفاظ ص ١٧ « الفوح الشذى ، فى شرح الترمذى » .

مصادر : عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير .

ذكر ابن سيد الناس فى مقدمة الكتاب : «فلما وقفت على ما جمعه الناس قديماً وحديثاً من المجاميع فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ومغازيه وأيامه إلى غير ذلك مما يتصل به ، لم أر إلا مطيلاً مملاً أو مقصراً بأكثر المقاصد مخلاً . والمطيل إما معتن بالأسماء والأنساب والأشعار والآداب ، أو آخر يأخذ كل مأخذ فى جمع الطرق والروايات ويصرف إلى ذلك ما تصل إليه القدرة من العنايات . والمقصر لا يعدو المنهج الواحد . ومع ذلك فلابد أن يترك كثيراً مما فيه من الفوائد . وإن كانوا رحمهم الله هم القدوة فى ذلك . ومما جمعوه يستمد من أراد ما هنالك . فليس لى فى هذا المجموع إلاحسن الإختيار من كلامهم ، والتبرك بالدخول فى نظامهم » .

وقد أنشأ المؤلف فصلاً عن الأسانيد التى رجع إليها فى تأليف كتابه تحت عنوان :

« ذكر الأسانيد التى وقعت لى مع المصنفين الذين أخرجت من كتبهم فى هذا المجموع ما أخرجته » .

صحيح البخارى - صحيح مسلم - سنن أبى داود - الجامع لأبى عيسى الترمذى - سنن أبى عبدالرحمن النسائى - سنن ابن ماجه - السيرة النبوية عن ابن إسحق من رواية أبى محمد عبد الملك بن هشام النحوى وتهذيبه - المغازى عن موسى بن عقبة - المغازى عن أبى عبدالله محمد بن عائذ القرشى الكاتب - الطبقات الكبرى عن محمد بن سعد - وعن أبى القاسم سليمان بن أحمد «الطبرانى» وعن أبى يعلى الموصلى - وعن أبى بكر الشافعى «الفوائد المعروفة بالغيلانات » وعن أبى عروبة . الحسين بن أبى معشر الحرانى - وعن أبى الحسين بن جميع الغسانى من «معجمه» - وعن أبى عمر «كتاب الدرر فى إختصار المغازى والسير» - وعن أبى محمد بن عبدالله الرشاطى من كتابه فى «الأنساب» - وعن القاضى عياض فى كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم » - وعن أبى القاسم السهيلى «الروض الأنف » .

ويقول ابن سيد الناس : وربما أثبت فوائد فى الفصول المتعلقة بشرح الأخبار السابقة لها ، وما اشتملت عليه من الغريب من فوائد ألفيتها بخط جدى أبى بكر بن محمد ابن أحمد علقها عن شيخه الأستاذ أبى على عمر بن محمد الأزدى بن الشلوبين عند قراءة السيرة الهشامية عليه وأثبتها فى طرر كتابه » .

وصف مخطوطة الكتاب :

المخطوط المحفوظ بدار الكتب بالقاهرة عمره الآن يزيد عن الستين عاما «١» ، ويبدو الخط جميلاً ، والورق مصقولاً ، برغم ما أحدثته يد الزمن فمسحت كثيراً من الحروف ، وأحدثت عدة ثغرات تعبت فيها جهود الإخصائيين فى الترميم .

وقد جاء بأعلى الصفحة الأولى :

«كتاب عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير – سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تأليف الشيخ الأمام الحافظ المتقن البارع العلامة محمد بن محمد بن محمد ابن أحمد بن عبدالله بن محمد الشهير بابن سيد الناس اليعمرى الربعى رحمه الله ورضى عنه » .

وفى أسفل الصفحة ختم وقف تيمور الذى انتهى إليه هذا المخطوط قبل أن ينتقل مع مقتنيات مكتبة تيمور إلى دار الكتب بالقاهرة .

وعلى الصفحه أيضاً تعليقات كتبها بعض القراء أو المراجعين فى أعوام ١١٥٧ و١٢٥٤هـ

أصل الصفحة الأخيرة

والسطور الأخيرة فى المخطوط جاء فيها :

«آخر كتاب السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وكان الفراغ من كتابتها يوم الجمعة ضحى عاشر جماد الآخر سنة إحدى وعشرين وثمانى مائة على يدالفقير إلى عفو الله تعالى وغفرانه حسين بن شبل بن إبراهيم بن على بن حسن الشافعى عفا الله تعالى عنه بمنه وكرمه وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين وحسبنا الله ونعم الوكيل » وفى آخر صفحة بيان بخط العلامة المحقق ابراهيم بن محمد بن خليل الشهير بسبط ابن العجمى المتوفى ٨٤١ «تاريخ ٨٢٥» .

تفيد قراءة كاتبها حسين بن شبل المذكور لها عليه قراءة صحيحة ، وأنه أجازه بها وبسائر ما يجوز له روايته ، وذكر سنده فى رواية هذه السيرة إلى مؤلفها .

إن هذه السيرة تعد من أمهات السير فهى لا تعتمد على كتب السيرة المشهورة فحسب ، بل تعتمد أيضا على كتب الحديث ورواية المؤلفين مع الموازنة بين الأخبار والأحاديث واستخلاص الآراء الصحيحة . وقد بذل المؤلف جهداً طيباً فى ضبط أسماء الأعلام ، وتمييز الحديث الصحيح من زائفه

وما توفيقى إلا بالله تعالى عليه توكلت وإليه أنيب .

محمود على الشرقاوى

١- رجعنا فى تحقيق هذا الكتاب إلى المخطوطة المحفوظة بدار الكتب رقم ١٧٥ تاريخ ونسخة تيمور رقم ٢٤٨٨ تاريخ تيمور



نموذج الصفحة الأولى من المخطوطة

الغساني فمن بعده وقد قرأته على الشيخ أبي حفص عمر بن عبد المنعم بن غدير بن القواس بعربيل ظاهر دمشق
بغوطتها أخبركم القاضي أبو الفتح عبد الصمد بن محمد الحرستاني حضورًا في الرابعة سنة تسع وستمائة قال
أنبأنا جمال الإسلام أبو الحسن علي بن المسلم بن محمد السلمي أنا أبو الحسين بن أحمد بن طلاب الخطيب عنه وما كان فيه
عن ابن عمر فمن كتاب الدرر في اختصار المغازي والسير له وهو مما رويته عن والدي رحمه الله عن شيخه
أبي الحسين محمد بن أحمد بن السراج عن خاله أبي بكر بن خير عن أبي الحجاج الشنتمري عن أبي علي الغساني عنه وما
عن أبي محمد عبد الله بن علي الرشاطي فمن كتابه في الأنساب وأنا به والدي عن أبي الحسين بن السراج إجازة قال
أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبيد الله الحجري إجازة إن لم يكن سماعًا قال أنا الرشاطي قراءة عليه
وما كان فيه عن القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي فمن كتابه المسمى بالشفا بتعريف حقوق
المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد سمعته كاملًا بقراءة والدي رحمه بمصر على القاضي الإمام علم الدين أبي الحسن محمد
ابن الشيخ الإمام جمال الدين أبي علي الحسين بن عتيق بن رشيق في سنة سبع وسبعين وستمائة قال أنا
الإمام أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني سماعًا عليه سنة تسع وستمائة قال أنا الإمام أبو عبد الله محمد
ابن عبد الله بن محمد بن عيسى التميمي إجازة أنا القاضي عياض سماعًا وما كان فيه عن الأستاذ أبي القسم السهيلي
فمن روايتي عن والدي رحمه قال أنا الشيخ الراوية الزاهد أبو الحسين محمد بن أحمد بن السراج إجازة إن لم يكن
سماعًا وقد سمع عليه الكثير بقراءة والدي قال قرئ كتاب الروض الأنف والمشرع الروي على أبي القسم
عبد الرحمن بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي مصنفه من أوله إلى آخره مرتين وأنا أسمع ومن كتابه هذا أثبت
ما أثبت عنه نصًا وربما أثبت فوائد في الفصول المتعلقة بشرح الأخبار السابقة لها وما اشتملت
عليه من الغريب من غرائب الغريبين أنما أجد لأبي بكر محمد بن أحمد علقهما عن شيخه الأستاذ أبي علي عمر
ابن محمد الأزدي ابن الشلوبين عند قراءته الغريبين المنتاهية عليه وأثبتهما في طرر كتابه رحم الله
جميعهم ونفعنا بما يسر لنا من ذلك بمنه وكرمه والحمد لله وحده والصلاة على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه أجمعين
تم كتاب السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وكان الفراغ من كتابتها
يوم الجمعة ضحى عاشر جمادى الآخر سنة إحدى وعشرين وثمان مائة
على يد الفقير إلى عفو الله تعالى وغفرانه حسين بن شبل بن إبراهيم
ابن علي بن حسن الشافعي عفا الله تعالى عنه بمنه وكرمه
وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين
وحسبنا الله ونعم الوكيل

نموذج الصفحة الأخيرة من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله مجلى السنة المحمدية بدرر أخبارها ، ومجلى ميامن السيرة النبوية عن غرر آثارها ، ومؤيد من اقتبس نور هدايته من مشكاة «١» أنوارها ، ومسدد من التمس عز حمايته من أزرق «٢» سنانها ، وأبيض بتارها «٣» ، ومسهل طريق الجنة لمن اتبع مستقيم صراطها ، وأهتدى بضياء منارها ، ومذلل سبيل الهداية لمن اقتفى سرائر سيرها ، وسبر اسرارها : أحمده على ما أولى من نعم قعد لسان الشكر عن القيام بمقدارها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تبلغنا من ميادين القبول غاية مضمارها ، وتسوغنا من مشارع الرحمة أصفى مواردها ، وأعذب أنهارها وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى ابتعثه وقد طمت «٤» بحار الكفر بتيارها ، وطغت شياطين الضلال بعنادها وإصرارها ، عتت طائفة الأوثان ، وعبدة الأصنام على خالقها وجبارها

فقام بأمره حتى تجلت غياهب ظلمها عن سنا أبدارها ، وجاهد فى الله حق جهاده حتى أسفر ليل جهلها ، عن صباح نهارها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين حازت نفوسهم الأبية من مراضيه غاية أوطارها ، وفازت من سماع مقاله ، ورواية أحواله ورؤية جلاله بملء مسامعها وأفواهها وأبصارها وسلم تسليماً كثيراً وبعد :

فلما وقفت على ما جمعه الناس قديماً وحديثاً من المجاميع فى سير النبى صلى الله عليه وسلم ومغازيه وأيامه إلى غير ذلك مما يتصل به لم أر إلا مطيلاً مملاً أو مقصراً بأكثر المقاصد مخلاً ، والمطيل إما معتن بالأسماء ، والأنساب ، والأشعار والآداب ، أو آخر يأخذ كل مأخذ فى جمع الطرق والروايات ويصرف إلى ذلك ما تصل إليه القدرة من الغايات والمقصر لا يعدو المنهج الواحد ، ومع ذلك فلابد أن يترك كثيراً مما فيه من الفوائد ، وأن كانوا رحمهم الله هم القدوة فى ذلك ، ومما جمعوه يستمد من أراد سما هنالك : فليس لى فى هذا المجموع إلا حسن الإختيار من كلامهم ، والتبرك بالدخول فى نظامهم ، غير أن التصنيف يكون فى عشرة أنواع كما ذكره بعض العلماء ، فأحدها جمع المتفرقات ، وهو ما نحن فيه ، فإنى أرجو أن الناظر فى كتابى هذا لا يجد ما ضمنته إياه فى مكان ولا مكانين ولا ثلاثة ولا أكثر من ذلك إلا بزيادة كثيرة تتعب القاصد ، وتتعذر بها على أكثر .

١- مشكاة : هى الكوة فى الجدار غير النافذة يسميها المصريون «طاقة» وهى تجمع النور ، فلا يتفرق فيضعف .

٢- السنان : سنان الرمح ، وجمعه « أسنة »

٣- بتره : قطعه قبل الإتمام وبابه نصر وه الأنبتار » الانقطاع .

٤- أى ارتفعت وزادت .

الناس المقاصد ، فاقتضى ذلك أن جمعت هذه الأوراق وضمنتها كثيراً مما انتهى إليّ من نسب سيدنا ونبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولده . ورضاعه وفصاله وإقامته فى بنى سعد ، وما عرض له هنالك من شق الصدر وغيره ، ومنشائه ، وكفالة عبدالمطلب جده إياه إلى أن مات ، وانتقاله إلى كفالة عمه أبى طالب بعد ذلك وسفره إلى الشام ، ورجوعه منه ، وما وقع له فى ذلك السفرمن إظلال الغمامة إياه ، وأخبار الكهان والرهبان عن نبوته ، وتزويجه خديجة عليها السلام ، ومبدأ البعث والنبوة ونزول الوحى. وذكر قوم من السابقين الأولين فى الدخول فى الإسلام ، وما كان من الهجرتين إلى أرض الحبشة ، وانشقاق القمر ، وما عرض له بمكة من الحصار بالشعب ، وأمر الصحيفة وخروجه الى الطائف ورجوعه بعد ذلك إلى مكة ، وذكر العقبة ، وبدء إسلام الأنصار والإسراء والمعراج ، وفرض الصلاة ، وأخبار الهجرة الى المدينة ، ودخوله عليه السلام المدينة ، ونزوله حيث نزل وبناء المسجد ، واتخاذ المنبر وحنين الجذع ، ومغازيه وسيره وبعوثه وما نزل من الوحى فى ذلك ، وعمره ، وكتبه إلى الملوك وإسلام الوفود ، وحجة الوداع ، ووفاته صلى الله عليه وسلم وغير ذلك . ثم أتبعت ذلك بذكر أعمامه وعماته ، وأزواجه وأولاده وحليته وشمائله ، وعبيده وإمائه ومواليه ، وخيله وسلاحه وما يتصل بذلك مما ذكره العلماء فى ذلك على سبيل الإختصار والإيجاز سالكاً فى ذلك ما اقتضاه التاريخ من إيراد واقعة بعد أخرى لا ما إقتضاه الترتيب من ضم الشىء إلى شكله ومثله، حاشا ذكر أزواجه وأولاده عليه السلام ، فإنى لم أسق ذكرهم على ما اقتضاه التاريخ بل دخل ذلك كله فيما أتبعت به باب المغازى والسير من باب الحلى والشمائل ، ولم استثن من ذلك إلا ذكر تزويجه عليه السلام خديجة عليها السلام لما وقع فى أمرها من أعلام النبوة .

وقد أتحفت الناظر فى هذا الكتاب من طرف الأشعار بما يقف الإختيار عنده ، ومن نتف الأنساب بما لا يعدو التعريف حده ، ومن عوالى الأسانيد بما يستعذب الناهل ورده ، ويستنجح الناقل قصده ، وأرحته من الإطالة بتكرار ما يتكرر منها ، وذلك أنى عمدت إلى ما يتكرر النقل منه من كتب الأحاديث والسنن ، والمصنفات على الأبواب والمسانيد وكتب المغازى والسير وغير ذلك مما يتكرر ذكره، فأذكرماأذكره من ذلك بأسانيدهم إلى منتهى ما فى مواضعه ، وأذكر أسانيدى إلى مصنفى تلك الكتب فى مكان واحد عند انتهاء الغرض من هذا المجموع .

وأما ما لا يتكرر النقل منه إلا قليلاً ، أو ما لا يتكرر منه نقل فما حصل من الفوائد الملتقطة ، والأجزاء المتفرقة ، فإنى أذكر تلك الأسانيد عند ذكر ما أورده بها ليحصل بذلك الغرض من الإختصار وذكر الأسانيد مع عدم التكرار ، فأما الأنساب فمن ذكرته

استوعبت نسبه إلى أن يصل إلى فخذه أو بطنه «١» المشهور ، أو أبعد من شعبه أو قبيلته بحسب ما يقتضيه الحال إن وجدته ، فإن تكرر ذكره لم أرفع فى نسبه واكتفيت بما سلف من ذلك ، غير أنى أنبه على المكان الذى سبق فيه نسبه مرفوعاً بعلامة أرسمها بالحمرة ، فمن ذكر فى السابقين الأولين أعلمت له «٢» وللمهاجرين الأولين إلى أرض الحبشة «ها» وللثانية «هب» ولمهاجرة المدينة «ه» ولأهل العقبة الأولى «عا» والثانية «عب» والمذكورين فى النقباء «ق» ولأهل العقبة الثالثة «عج» وللبدريين «ب» ولأهل أحد «١» .

وعمدتنا فيما نورده من ذلك على محمد بن إسحق «٢» ، إذ هو العمدة فى هذا الباب لنا ولغيرنا ، غير إنى أجد الخبر عنده مرسلاً ، وهو عند غيره مسنداً ، فأذكره من حيث هو مسند ترجيحاً لمحل الإسناد .

وإن كانت فى مرسل ابن إسحق زيادة أتبعته بها ، ولم أتتبع إسناد مراسيله ، وإنما كتبت ذلك بحسب ما وقع لى وكثيراً ما أنقل عن الواقدى من طريق محمد بن سعد وغيره أخباراً ، ولعل كثيراً منها لا يوجد عند غيره ، فإلى محمد بن عمر انتهى علم ذلك أيضاً فى زمانه .

وإن كان قد وقع لأهل العلم كلام فى محمد بن إسحق ، وكلام فى محمد بن عمر الواقدى أشد منه ، فسنذكر نبذة مما إنتهى إلى من الكلام فيهما جرحاً وتعديلاً ، فإذا إنتهى ما أنقله من ذلك أخذت فى الأجوبة عن الجرح فصلاً فصلاً بحسب ما يقتضيه النظر ويؤدى إليه الإجتهاد والله الموفق .

فأما ابن إسحق فهو محمد بن إسحق بن يسار بن خيار ، ويقال ابن يسار بن كوثان «٣» المدينى مولى «٤» قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف أبو بكر . وقيل : أبو عبدالله رأى أنس بن مالك ، وسعيد بن المسيب ، وسمع القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، وأبان بن عثمان بن عفان ، ومحمد بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب ، وأبا سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف ، وعبدالرحمن بن هرمز الأعرج ، ونافعا مولى ابن عمر ، والزهرى ، وغيرهم ، وحدث عنه أئمه العلماء : منهم يحيى بن سعيد الأنصارى ، وسفيان الثورى ، وابن جريج ، وشعبة ، والحمادان ، وابراهيم بن سعده ، وشريك ابن عبدالله النخعى ، وسفيان بن عيينة . ومن بعدهم .

ذكر ابن المدينى عن سفيان بن عيينة أنه سمع ابن شهاب يقول : لا يزال بالمدينة علم ما

---

١ - البطن دون القبيلة

٢- ولد محمد بن إسحق سنه ٨٥ هـ بالمدينة وفيها نشأ حتى أدرك سن الشباب وفيها لقى كثيراً من العلماء الذين أخذ عنهم وفى عام ١١٥ هـ رحل الى الإسكندرية فلقى فيها كثيراً من أساطين علمائها ثم رحل بعد ذلك إلى نواح كثيرة .. ثم رحل إلى العراق وفيها اتصل بأمير المؤمنين أبى جعفر المنصور وصنف كتاب السيرة بأمره لأبنه وتوفى ابن إسحق سنه ١٥١ هـ

٣- بضم الكاف وثاء مثلثة وآخره نون .

٤- فى بعض روايات الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد «جـ ١ ص ٢١٦» ان الذى كان مولى هو أبو جد خيار ، وفى رواية للبغدادى عن مصعب بن عبدالله أن ولاء يسار كان لعبدالله بن قيس بن مخرمة .

بقى هذا - يعنى ابن إسحق ، وروى ابن أبى ذئب عن الزهرى أنه رآه مقبلاً فقال : لا يزال بالحجاز علم كثير ما بقى هذا الأحول بين أظهرهم . وقال ابن علية : سمعت شعبة يقول : محمد بن إسحق صدوق فى الحديث من رواية يونس بن بكير ، عن شعبة محمد ابن إسحق أمير المحدثين وقيل له : لم ؟ قال : لحفظه .

وقال ابن أبى خيثمة : حدثنا ابن المنذر عن ابن عيينة أنه قال : ما يقول أصحابك فى محمد بن إسحق ؟قال :قلت يقولون إنه كذاب قال : لا تقل ذلك ، قال ابن المدينى : سمعت سفيان بن عيينة سئل عن محمد بن إسحق ، فقيل له : ولم يرو أهل المدينة عنه . قال : جالسته منذ بضع وسبعين سنة ، وما يتهمه أحد من أهل المدينة ، ولا يقولون فيه شيئاً .

وسئل أبو زرعة عنه فقال : من تكلم فى محمد بن إسحق هو صدوق . وقال : أبو حاتم يكتب حديثه . وقال ابن المدينى : مدار حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على ستة فذكرهم ، ثم قال : وصار علم الستة عند إثنى عشر أحدهم ابن إسحق . وسئل ابن شهاب عن المغازى فقال : هذا أعلم الناس بها - يعنى ابن إسحق .

وقال الشافعى : من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على ابن إسحق ، وقال أحمد ابن زهير : سألت يحيى بن معين عنه فقال : قال عاصم بن عمر بن قتادة :لا يزال فى الناس علم ما عاش محمد بن إسحق ، وقال ابن أبى خيثمة : حدثنا هرون بن معروف قال : سمعت أبا معوية يقول : كان ابن إسحق من أحفظ الناس ، فكان إذا كان عند الرجل خمسة أحاديث أو اكثر جاء فاستودعها محمد بن إسحق ، فقال أحفظها على فإن نسيتها كنت قد حفظتها على .

وروى الخطيب بإسناد له إلى ابن نفيل ثنا عبدالله بن فائد قال : كنا إذا جلسنا الى محمد بن إسحق فأخذ فى فن من العلم قضى مجلسه فى ذلك الفن .

وقال أبو زرعة عبدالرحمن بن عمر ، والنصرى «١» : محمد بن إسحق قد أجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ عنه منهم : سفيان ، وشعبة ، وابن عيينة ، والحمادان ، وابن المبارك ، وابراهيم بن سعد ، وروى عنه من الأكابر: يزيد بن ابى حبيب . وقد اختبره أهل الحديث فرأوا صدقا وخيراً مع مدحية ابن شهاب له . وقد ذاكرت دحيماً قول مالك يعنى فيه ، فرأى أن ذلك ليس للحديث ، إنما هو لأنه اتهمه بالقدر .

وقال ابراهيم بن يعقوب الجوز جانى : الناس يشتهون حديثه ، وكان يرمى بغير نوع من البدع . وقال ابن نمير : كان يرمى بالقدر وكان أبعد الناس منه . وقال البخارى : ينبغى أن يكون له ألف حديث ينفرد بها لا يشاركه فيها أحد . وقال على بن المدينى عن سفيان ما رأيت أحداً يتهم محمد بن إسحق ، و قال أبو سعيد الجعفى : كان ابن ادريس

١- بالنون المفتوحه والصاد المهملة الساكنة .

معجباً بابن إسحق ، كثير الذكر له ينسبه إلى العلم والمعرفة والحفظ ، وقال ابراهيم الحربى : حدثنى مصعب قال : كانوا يطعنون عليه بشىء من غير جنس الحديث . وقال يزيد بن هارون : ولو سود أحد فى الحديث لسود محمد بن إسحق . وقال شعبة فيه : أمير المؤمنين فى الحديث ، وروى يحيى بن آدم ثنا أبو شهاب قال : قال لى شعبة ابن الحجاج : عليك بالحجاج بن أرطاة (١) وبمحمد بن إسحق . و قال ابن علية : قال شعبة : أما محمد بن إسحق ، وجابر الجعفى فصدوقان . وقال يعقوب بن شيبة - سألت ابن المدينى : كيف حديث محمد بن إسحق صحيح ؟ قال : نعم حديثه عندى صحيح ، قلت له فكلام مالك فيه ؟ قال : لم يجالسه ولم يعرفه ، ثم قال : على ابن إسحق أى شىء حدث بالمدينة ؟ قلت له : فهشام بن عروة قد تكلم فيه ، قال : على الذى قال هشام ليس بحجة ، لعله دخل على امرأته وهو غلام فسمع منها ، وسمعت علياً يقول : إن حديث محمد بن إسحق ليتبين فيه الصدق ، يروى مرة حدثنى أبو الزناد ، ومره ذكر أبو الزناد . وروى عن رجل عن من سمع منه يقول : حدثنى سفيان بن سعيد ، عن سالم أبى النضر ، عن عمر «صوم يوم عرفة » وهو من أروى الناس عن أبى النضر ، ويقول : حدثنى الحسن بن دينار عن أيوب ، عن عمرو بن شعيب فى «سلف وبيع» وهو من أروى الناس ، عن عمرو بن شعيب وقال على : لم أجد لابن إسحق إلا حديثين منكرين ، نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم «إذا نعس أحدكم يوم الجمعة » والزهرى ، عن عروة ، عن زيد بن خالد « إذا مس أحدكم فرجه» هذين لم يروهما عن أحد ، والباقون يقول ذكر فلان ولكن هذا فيه ثنا ، وقال مرة وقع الى من حديثه شئ فما أنكرت منه إلا أربعة أحاديث ظننت أن بعضه منه ، وبعضه ليس منه .

وقال البخارى : رأيت على بن المدينى يحتج بحديثه ، وقال لى : نظرت فى كتابه فما وجدت عليه إلا حديثين ويمكن أن يكونا صحيحين . وقال العجلى : ثقة ، وروى المفضل بن غسان عن يحيى بن معين : ثبت فى الحديث .

وقال يعقوب بن شيبة سألت يحيى بن معين عنه : فى نفسك شىء من صدقه ؟ قال : لا هو صدوق . وروى ابن أبى خيثمة عن يحيى : ليس به بأس . وقال ابن المدينى قلت لسفيان : كان ابن إسحق جالس فاطمة بنت المنذر ، فقال : أخبرنى أنها حدثته وأنه دخل عليها . فاطمة هذه زوج هشام بن عروة ، وكان هشام ينكر على ابن إسحاق روايته عنها ويقول : لقد دخلت بها وهى بنت تسع سنين ، وما رآها مخلوق حتى لحقت بالله .

وقال الأثرم : سألت أحمد بن حنبل عنه فقال : هو حسن الحديث .

١- فى الأصل « أرطاط » وهو غلط ظاهر .

ذكر الكلام فى محمد بن إسحق والطعن عليه

روينا عن يعقوب بن شيبة قال : سمعت محمد بن عبدالله بن نميرو ذكر ابن إسحق فقال إذ حدث عمن سمع منه من المعروفين فهو حسن الحديث صدوق ، وإنما أتى من أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة. وقال أبو موسى محمد بن المثنى : ما سمعت يحيى القطان يحدث عن ابن إسحق شيئا قط . وقال الميمونى ثنا أبو عبدالله أحمد بن حنبل بحديث استحسنه ، عن محمد بن إسحق وقلت له :يا أبا عبدالله ما أحسن هذه القصص التى يجىء بها ابن إسحق ، فتبسم إلى متعجباً ، وروى ابن معين ، عن يحيى بن القطان أنه كان لا يرضى محمد بن إسحق ولا يحدث عنه ، وقال عبدالله بن أحمد وسأله رجل عن محمد بن إسحق فقال : كان أبى يتتبع حديثه ويكتبه كثيراً بالعلو والنزول ويخرجه فى المسند ، وما رأيته إتقى حديثه قط ، قيل له : يحتج به ؟ قال : لم يكن يحتج به فى السنن ، وقيل لأحمد : يا أبا عبدالله ، إذا تفرد بحديث تقبله ؟ قال : لا والله إنى رأيته يحدث عن جماعة بالحديث الواحد ، ولا يفصل كلام ذا من كلام ذا . وقال ابن المدينى مرة : هو صالح وسط. . وروى الميمونى ، عن ابن معين ، ضعيف ، وروى عنه غيره ليس كذلك . وروى الدورى عنه ، ثقة ولكنه ليس بحجة . وقال أبو زرعة عبدالرحمن بن عمرو قلت ليحيى بن معين وذكرت له الحجة فقلت : محمد بن إسحق منهم ؟ فقال : كان ثقة ، إنما الحجة عبيد الله بن عمر، ومالك بن أنس ، وذكر قوماً آخرين .

وقال أحمد بن زهير سئل يحيى عنه مرة فقال : ليس بذاك ضعيف ، قال : وسمعته مرة أخرى يقول : هو عندى سقيم ليس بالقوى . وقال النسائى : ليس بالقوى ، وقال البرقانى : سألت الدار قطنى ، عن محمد بن إسحق بن يسار ، عن أبيه فقال : جميعاً لا يحتج بهما ، وإنما يعتبر بهما ، وقال على : قلت ليحيى بن سعيد كان ابن إسحق بالكوفة وأنت بها ، قال : نعم ، قلت : تركته متعمداً ، قال: نعم ، ولم أكتب عنه حديثاً قط وروى أبو داود عن حماد بن سلمة قال : لولا الإضطرار ما حدثت عن محمد بن إسحق وقال أحمد : قال مالك وذكره فقال : دجال من الدجاجلة ، وروى الهيثم بن خلف الدورى ثنا أحمد بن إبراهيم ثنا أبو داود صاحب الطيالسة قال : حدثنى من سمع هشام بن عروة وقيل له : أن ابن إسحق يحدث بكذا وكذا عن فاطمة فقال : كذب الخبيث .

وروى القطان عن هشام أنه ذكره فقال : العدو لله الكذاب ، يروى عن امرأتى من أين رآها ؟! وقال عبدالله بن أحمد فحدثت أبى بذلك فقال : وما ينكر لعله جاء فاستأذن عليها ، فأذنت له ، أحسبه قال : ولم يعلم . وقال مالك : كذاب ، وقال ابن إدريس قلت لمالك وذكر المغازى فقلت له : قال ابن إسحق أنا بيطارها «١» . فقال : نحن نفيناه عن

١- أنظر الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ١ ص ٢٢٣ فقد حكى بالتفصيل قصه الخلاف بين مالك رضى الله عنه ومحمد بن إسحق .

المدينة . و قال مكى بن ابراهيم جلست إلى محمد بن إسحق وكان يخضب بالسواد ، فذكر أحاديث فى الصفة فنفرت منها فلم أعد إليه . وقال مرة : تركت حديثه ، وقد سمعت منه بالرى عشرين مجلساً .

وروى الساجى ، عن المفضل بن غسان ، حضرت يزيد بن هارون وهو يحدث بالبقيع ، وعنده ناس من أهل المدينة يسمعون منه حتى حدثهم عن محمد بن إسحق فأمسكوا وقالوا : لا تحدثنا عنه ، نحن أعلم به ، فذهب يزيد يحاولهم فلم يقبلوا فأمسك يزيد .

وقال أبو داود : سمعت أحمد بن حنبل ذكره فقال : كان رجلاً يشتهى الحديث ، فيأخذ كتب الناس فيضعها فى كتبه . وسئل أبو عبدالله : أيما أحب اليك موسى بن عبيدة الربذى أو محمد بن إسحق ؟ قال : لا محمد بن إسحق ، وقال أحمد : كان يدلس إلا أن كتاب إبراهيم بن سعد إذاكان سماعاً قال : حدثنى ، وإذا لم يكن قال قال ، وقال أبو عبدالله : قدم محمد بن إسحق إلى بغداد فكان لا يبالى عمن يحكى عن الكلبى وغيره ، وقال : ليس بحجة . وقال الفلاس : كنا عند وهب بن جرير فانصرفنا من عنده فمررنا بيحيى القطان فقال : أين كنتم ؟ فقلنا : كنا عند وهب بن جرير يعنى نقرأ عليه كتاب المغازى ، عن أبيه ، عن ابن إسحق فقال : تنصرفون من عنده بكذب كثير . وقال عباس الدورى : سمعت أحمد بن حنبل ، وذكر محمد بن إسحق ، فقال : أما فى المغازى وأشباهه فيكتب ، وأما فى الحلال والحرام فيحتاج الى مثل هذا ، ومديده وضم أصابعه.

وروى الأترم ، عن أحمد ، كثير التدليس جداً ، أحسن حديثه عندى ما قال : أخبرنى وسمعت ، وعن ابن معين ما أحب أن أحتج به فى الفرائض . وقال ابن أبى حاتم : ليس بالقوىّ ، ضعيف الحديث ، وهو أحب الى من أفلح بن سعيد يكتب حديثه ، وقال سليمان التيمى : كذاب ، وقال يحيى القطان : ما تركت حديثه إلا لله ، أشهد أنه كذاب ، وقد قال يحيى بن سعيد قال لى وهيب بن خالد : إنه كذاب . قلت لو هيب : ما يدريك ؟ قال : قال لى مالك : أشهد أنه كذاب . قلت لمالك : ما يدريك ؟ قال : قال لى هشام بن عروة : أشهد أنه كذاب . قلت لهشام : ما يدريك ؟ قال : حدث عن امرأتى فاطمة الحديث ، قلت والكلام فيه كثير جداً ، وقد قال أبوبكر الخطيب : قد أحتج بروايته فى الأحكام قوم من أهل العلم ، وصدف عنها آخرون ، وقال فى موضع آخر : قد أمسك عن الإحتجاج بروايات ابن إسحق غير واحد من العلماء لأسباب منها : أنه كان يتشيع ، وينسب الى القدر ، ويدلس وأما الصدق فليس بمدفوع عنه انتهى كلام الخطيب ، وقد استشهد به البخارى وأخرج له مسلم متابعة ، واختار أبو الحسن بن القطان أن يكون حديثه من باب الحسن لإختلاف الناس فيه . وأما روايته عن فاطمة فروينا عن أبى بكر الخطيب قال : أنا القاضى أبو بكر أحمد بن الحسن الحرشى ثنا أبو العباس محمد

ابن يعقوب الأصم ثنا أبو زرعة عبدالرحمن بن عمرو بدمشق ثنا أحمد بن خالد الوهبى ثنا محمد بن إسحق ، عن فاطمة بنت المنذر ، عن أسماء بنت أبى بكر قالت : سمعت امرأة وهى تسأل النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : إن لى ضرة وأنى أتشبع من زوجى بما لم يعطينه لتغيظها بذلك ، قال «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور» وقال أبوالحسن بن القطان : الحديث الذى من أجله وقع الكلام فى ابن إسحق من روايته عن فاطمة حتى قال هشام ، إنه كذاب ، وتبعه فى ذلك مالك ، وتبعه يحيى بن سعيد ، وتابعوا بعدهم تقليداً لهم (فلتقرصه ولتنضح «١» ما لم تر ولتصل فيه) وقد روينا من حديثه عنها غير ذلك .

ذكر الأجوبة عما رمى به

قلت : أما ما رمى به من التدليس «٢» والقدر والتشيع ، فلا يوجب رد روايته ، ولا يوقع فيها كبير وهن «٣» أما التدليس فمنه القادح فى العدالة وغيره ، ولا يحمل ما وقع ها هنا من مطلق التدليس على التدليس المقيد بالقادح فى العدالة ، وكذلك القدر والتشيع لا يقتضى الرد إلا بضميمة أخرى ولم نجدها هنا .

وأما قول مكى بن ابراهيم أنه ترك حديثه ولم يعد إليه ، فقد علل ذلك بأنه سمعه يحدث أحاديث فى الصفات فنفر منه ، وليس فى ذلك كبير أمر ، فقد ترخص قوم من السلف فى رواية المشكل من ذلك وما يحتاج إلى تأويله لاسيما إذا تضمن الحديث حكماً أو أمراً آخر وقد تكون هذه الأحاديث من هذا القبيل ، وأما الخبر عن يزيد بن هرون أنه حدث أهل المدينة عن قوم فلما حدثهم عنه أمسكوا ، فليس فيه ذكر لمقتضى الإمساك ، واذا لم يذكر لم يبق إلا ان يحول الظن فيه ، وليس لنا أن نعارض عدالة مقبولة بما قد تظنه جرحاً .

وأما ترك يحيى القطان حديثه فقد ذكرنا السبب فى ذلك وتكذيبه إياه رواية ، عن وهيب بن خالد ، عن مالك ، عن هشام فهو ومن فوقه فى هذا الإسناد تبع لهشام ، وليس ببعيد من أن يكون ذلك هو المنفر لأهل المدينة عنه فى الخبر السابق ، عن يزيد بن هارون . وقد تقدم الجواب ، عن قول هشام فيه ، عن أحمد بن حنبل ، وعلى بن المدينى بما فيه مغنى .

وأما قول ابن نمير :أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة ، فلو لم ينقل توثيقه وتعديله لتردد الأمر فى التهمة بها بينه وبين من نقلها عنه ، وأما مع التوثيق والتعديل فالحمل فيها على المجهولين المشار إليهم لا عليه ، وأما الطعن على العالم بروايته عن المجهولين

١-النضح : الرش ، ويأتى بمعنى الغسل

٢- التدليس فى البيع كتمان عيب السلعة عن المشترى

٣- الوهن : الضعف .

فغريب . قد حكى ذلك عن سفيان الثورى وغيره وأكثر ما فيه التفرقة بين بعض حديثه وبعض ، فيرد ما رواه عن المجهولين ، ويقبل ما حمله على المعروفين .
وقد روينا عن أبى عيسى الترمذى قال : سمعت محمد بن بشار يقول سمعت عبدالرحمن ابن مهدى يقول : ألا تعجبون من سفيان بن عيينة ، لقد تركت لجابر الجعفى لما حكى عنه أكثر من ألف حديث ، ثم هو يحدث عنه . قال الترمذى : وقد حدث شعبة ، عن جابر الجعفى وإبراهيم الهجرى ، ومحمد بن عبيد الله العرزمى ، وغير واحد ممن يضعف فى الحديث .
وأما قول أحمد : يحدث عن جماعة بالحديث الواحد ، ولا يفصل كلام ذا من كلام ذا وقد تتحد ألفاظ الجماعة ، وإن تعددت أشخاصهم ، وعلى تقدير أن لا يتحد اللفظ فقد يتحد المعنى . روينا عن واثلة بن الأسقع قال : إذا حدثتكم على المعنى فحسبكم . وروينا عن محمد بن سيرين قال : كنت أسمع الحديث من عشرة ، اللفظ مختلف والمعنى واحد وقد تقدم من كلام ابن المدينى أن حديثه ليتبين فيه الصدق ، يروى مرة حدثنى أبو الزناد ، و مرة ذكر أبو الزناد ، الفصل الى آخره ما يصلح لمعارضة هذا الكلام ، واختصاص ابن المدينى سفيان معلوم ، كما علم أختصاص سفيان بمحمد بن إسحق .
وأما قوله : كان يشتهى الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها فى كتبه ، فلا يتم الجرح بذلك حتى ينفى أن تكون مسموعة له ويثبت أن يكون حدث بها ثم ينظر بعد ذلك فى كيفيه الأخبار ، فإن كان بألفاظ لا تقتضى السماع تصريحاً ، فحكمه حكم المدلسين ، ولا يحسن الكلام معه إلا بعد النظر فى مدلول تلك الألفاظ ، وإن كان يروى ذلك عنهم مصرحاً بالسماع ولم يسمع فهذا كذب صراح ، واختلاق محض لا يحسن الحمل عليه إلا اذا لم يجد للكلام مخرجاً غيره .
وأما قوله : لا يبالى عمن يحكى عن الكلبى وغيره ، فهو أيضاً إشارة إلى الطعن بالرواية عن الضعفاء لمحل ابن الكلبى من التضعيف ، والراوى عن الضعفاء لا يخلو حاله من أحد أمرين : إما أن يصرح باسم الضعيف أو يدلسه ، فإن صرح به فليس فيه كبير أمر روى عن شخص ولم يعلم حاله أو علم وصرح به ليبرأ من العهدة .
وإن دلسه فإما أن يكون عالماً بضعفه أولا فإن لم يعلم فالأمر فى ذلك قريب ، وإن علم به وقصد بتدليس الضعيف وتغييره وإخفائه ترويج الخبر حتى يظن أنه من أخبار أهل الصدق وليس كذلك ، فهذه جرحة من فاعلها ، وكبيرة من مرتكبها وليس فى أخبار أحمد عن ابن إسحق ما يقتضى روايته عن الضعيف وتدليسه إياه مع العلم بضعفه حتى ينبتى على ذلك قدح أصلاً .

وجواب ثان محمد بن إسحق مشهور بسعة العلم ، وكثرة الحفظ فقد يميز من حديث الكلبى وغيره مما يجرى مجراه ما يقبل مما يرد فيكتب ما يرضاه ويترك ما لا يرضاه .
وقد قال يعلى بن عبيد : قال لنا سفيان الثورى : اتقوا الكلبى ، فقيل له : فإنك تروى عنه فقال : أنا عرف صدقه من كذبه ، ثم غالب ما يروى عن الكلبى أنساب وأخبار من أحوال الناس وأيام العرب وسيرهم ، وما يجرى مجرى ذلك مما سمح كثير من الناس فى حمله عمن لا تحمل عنه الأحكام ، وممن حكى عنه الترخص فى ذلك الإمام أحمد ، وممن حكى عنه التسوية فى ذلك بين الأحكام وغيرها ، يحيى بن معين ، وفى ذلك بحث ليس هذا موضعه .

وأما قول عبدالله ، عن أبيه ، لم يكن يحتج به فى السنن ، فقد يكون لما أنس منه التسامح فى غير السنن التى هى جل علمه من المغازى والسير طرد الباب فيه ، وقاس مروياته من السنن على غيرها ، وطرد الباب فى ذلك يعارضه تعديل من عدله .
وأما قول يحيى : ثقة وليس بحجة ، فيكفينا التوثيق ولو لم يكن يقبل إلا مثل العمرى ، ومالك لقل المقبولون . وأما ما نقلناه عن يحيى بن سعيد من طريق ابن المدينى ، ووهب ابن جرير فلا يبعد أن يكون قلد مالكاً ، لأنه روى عنه قول هشام فيه . وأما قول يحيى : ما أحب أن احتج به فى الفرائض ، فقد سبق الجواب عنه فيما نقلناه عن الأمام أحمد رحمهم الله ، على أن المعروف عن يحيى فى هذه المسألة التسوية بين المرويات من أحكام وغيرها ، والقبول مطلقاً أو عدمه من غير تفصيل .
وأما ما عدا ذلك من الطعن فأمور غير مفسرة ومعارضة فى الأكثر من قائلها بما يقتضى التعديل ، وممن يصحح حديثه ويحتج به فى الأحكام أبو عيسى الترمذى رحمه الله ، وأبو حاتم بن حبان ، ولم نتكلف الرد عن طعن الطاعنين فيه إلا لما عارضه من تعديل العلماء له وثنائهم عليه ، ولولا ذلك لكان اليسير من هذا الجرح كافياً فى رده أخباره ، إذ اليسير من الجرح المفسر منه ، وغير المفسر كاف فى رد من جهلت حاله قبله ، ولم يعدله معدل ، وقد ذكره أبو حاتم بن حبان فى كتاب «الثقات» له فأعرب عما فى الضمير فقال : تكلم فيه رجلان : هشام ومالك ، فأما هشام فأنكر سماعه من فاطمة ، والذى قاله ليس مما يجرح به الإنسان فى الحديث ، وذلك أن التابعين كالأسود ، وعلقمة سمعوا من عائشة من غير أن ينظروا إليها بل سمعوا صوتها ، كذلك ابن إسحق كان يسمع من فاطمة والستر بينهما مسبل ، قال : وأما مالك فإنه كان ذلك منه مرة واحدة ثم عادله إلى ما يحب ، وذلك أنه لم يكن بالحجاز أحد أعلم بأنساب الناس وأيامهم من ابن إسحق ، وكان يزعم أن مالك من موالى ذى أصبح ، وكان مالك يزعم أنه من أنفسها ، فوقع بينهما لذلك مفاوضة ، فلما صنف مالك «الموطأ» قال ابن إسحق : إئتونى به فأنا بيطاره ، فنقل ذلك إلى مالك فقال : هذا دجال من الدجاجلة يروى عن

اليهود ، وكان بينهما ما يكون بين الناس حتى عزم محمد على الخروج الى العراق فتصالحا حينئذ ، وأعطاه عند الوداع خمسين ديناراً ونصف ثمرته «١» تلك السنة . ولم يكن يقدح فيه مالك من أجل الحديث ، إنما كان ينكر عليه تتبعه غزوات النبى صلى الله عليه وسلم من أولاد اليهود الذين أسلموا ، وحفظوا قصة خيبر وقريظة والنضير وما أشبه ذلك من الغرائب عن أسلافهم ، وكان ابن إسحق يتتبع ذلك عنهم ليعلم ذلك من غير أن يحتج بهم وكان مالك لا يرى الرواية إلا عن متقن صدوق . قلت : ليس ابن إسحق أبا عذرة هذا القول فى نسب مالك ، فقد حكى شىء من ذلك عن الزهرى وغيره ، والرجل أعلم بنسبه وتأبى له عدالته وإمامته أن يخالف قوله علمه .

وأما قول ابن إسحق : أنا جهبذها ، فقد أتى آمراً إمراً ، وارتقى مرتقى وعراً ، ولم يدر ما هنالك من زعم أنه فى الإتقان كمالك ، وقد ألقته آماله فى المهالك من أنفه فى الثرى ، وهو يطاول النجوم الشوابك .

(الكلام على محمد بن عمر الواقدى)

وأما الواقدى : فهو محمد بن عمر بن واقد أبو عبدالله المدينى ، سمع ابن ابى ذئب ، ومعمر بن راشد ، ومالك بن أنس ، ومحمد بن عبدالله ابن أخى الزهرى ، ومحمد ابن عجلان ، وربيعة بن عثمان ، وابن جريج ، وأسامة بن زين ، وعبدالحميد بن جعفر ، والثورى ، وأبا معشر ، وجماعة .

روى عنه كاتبه محمد بن سعد ، وأبو حسان الزيادى ، ومحمد بن إسحق الصاغانى ، وأحمد بن الخليل البرجلانى ، وعبدالله بن الحسين الهاشمى ، وأحمد بن عبيد ابن ناصح ، ومحمد بن شجاع الثلجى ، والحرث بن أبى أسامة وغيرهم .

ذكره الخطيب أبو بكر وقال : هو ممن طبق شرق الأرض وغربها ذكره ، ولم يخف على أحد ، عرف أخبار الناس أمره ، وسارت الركبان بكتبه فى فنون العلم من المغازى والسير والطبقات ، وأخبار النبى صلى الله عليه وسلم ، والأحداث التى كانت فى وقته ، وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، وكتب الفقه ، واختلاف الناس فى الحديث وغير ذلك ، وكان جواداً كريماً مشهوراً بالسخاء .

وقال ابن سعد : محمد بن عمربن واقد أبو عبدالله مولى عبدالله بن بريدة الأسلمى ، كان من أهل المدينة ، قدم بغداد فى سنة ثمانين ومائة فى دين لحقه ، فلم يزل بها ، وخرج إلى الشام والرقة ثم رجع إلى بغداد فلم يزل بها إلى أن قدم المأمون من خراسان فولاه القضاء بعسكر المهدى ، فلم يزل قاضياً حتى مات ببغداد ليلة الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة

١- الثمر : المال

خلت من ذى الحجة سنة سبع ومائتين ، ودفن يوم الثلاثاء فى مقابر الخيزران ، وهو ابن ثمان وسبعين سنة . وذكر أنه ولد سنه ثلاثين ومائة فى آخر خلافة مروان بن محمد .
وكان عالماً بالمغازى ، واختلاف الناس وأحاديثهم، وقال محمد بن خلاد : سمعت محمد ابن سلام الجمحى يقول : محمد بن عمر الواقدى عالم دهره ، وقال إبراهيم الحربى : الواقدى آمن الناس على أهل الإسلام ، وقال الحربى أيضاً : كان الواقدى أعلم الناس بأمر الإسلام فأما الجاهلية فلم يعمل فيها شيئا .
وقال يعقوب بن شيبة : لما انتقل الواقدى من الجانب الغربى إلى ها هنا ، يقال إنه حمل كتبه على عشرين ومائة وقر ، وقيل : كانت كتبه ستمائة قمطر «١» . وقال محمد بن جرير الطبرى ، قال ابن سعد : كان الواقدى يقول : ما من أحد إلا وكتبه أكثر من حفظه ، وحفظى أكثر من كتبى ، وروى غيره عنه قال : ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ، ولا مولى لهم إلا سألته : هل سمعت أحداً من أهلك يخبرك عن مشهده ، وأين قتل ؟ فإذا أعلمنى مضيت إلى الموضع فأعاينه ، ولقد مضيت إلى المر يسيع فنظرت إليها ، وما علمت غزاة إلا مضيت إلى الموضع حتى أعاينه ، أو نحو هذا الكلام .
وقال ابن منيع : سمعت هرون القروى يقول : رأيت الواقدى بمكة ومعه ركوة ، فقلت : أين تريد ؟ قال : أريد أن أمضى إلى حنين حتى أرى الموضع والوقعة .
وقال إبراهيم الحربى سمعت المسيبى يقول : رأيت الواقدى يوماً جالساً إلى اسطوانة فى مسجد المدينة وهو يدرس ، فقلنا له : أى شىء تدرس ؟ فقال : حزبى من المغازى .
وروينا عن أبى بكر الخطيب قال : وأنا الأزهرى قال : أنا محمد بن العباس ، قال : أنا أبو أيوب ، قال : سمعت إبراهيم الحربى يقول : وأخبرنى إبراهيم بن عمر البرمكى ثنا عبيدالله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبرى ثنا محمد بن أيوب بن المعافى قال : قال إبراهيم الحربى سمعت المسيبى يقول : قلنا للواقدى هذا الذى تجمع الرجال تقول : ثنا فلان وفلان ، وجئت بمتن واحد لو حدثتنا بحديث كل رجل على حدة قال يطول ، فقلنا له : قد رضينا ، قال : فغاب عنا جمعه ثم أتانا بغزوة أحد عشرين جلداً ، وفى حديث البرمكى مائة جلد ، فقلنا له : ردنا إلى الأمر الأول ، معنى اللفظين متقارب . وعن يعقوب بن شيبة قال : ومما ذكر لنا ان مالكاً سئل عن قتل الساحرة فقال : أنظروا هل عند الواقدى فى هذا شىء ، فذاكروه ذلك فذكر شيئا عن الضحاك بن عثمان فذكروا أن مالكاً قنع به .
وروى أن مالكاً سئل عن المرأة التى سمت النبى صلى الله عليه وسلم بخيبر ما فعل بها ؟ فقال : ليس عندى بها علم ، وسأسأل أهل العلم . قال : فلقى الواقدى قال : يا أبا عبدالله ما فعل النبى صلى الله عليه وسلم بالمرأة التى سمته بخيبر ؟ فقال : الذى عندنا أنه قتلها . فقال مالك : قد سألت أهل العلم فأخبرونى أنه قتلها .

١- الوقر بالكسر : الحمل الثقيل ، والقمطر : ما تصان فيه الكتب .

وقال أبو بكر الصاغاني : لولا أنه عندى ثقة ما حدثت عنه ، حدث عنه أربعة أئمة : أبو بكر بن أبى شيبة ، وأبو عبيد ، وأحسبه ذكر أبا خيثمة ، ورجلاً آخر .

وقال عمرو الناقد قلت للدراوردى : ما تقول فى الواقدى ؟ قال : لا تسألنى عن الواقدى ، سل الواقدى عنى ، وذكر الدراوردى الواقدى فقال : ذلك أمير المؤمنين فى الحديث .

وسئل أبو عامر العقدى عن الواقدى فقال : نحن نسأل عن الواقدى ، إنما يسأل هو «١» عنا ، ما كان يفيدنا الأحاديث والشيوخ بالمدينة إلا الواقدى .

وقال الواقدى : لقد كانت ألواحى تضيع فتؤتى بها من شهرتها بالمدينة ، يقال هذه ألواح ابن واقد .

وقال مصعب الزبيرى : والله ما رأينا مثله قط . قال مصعب : وحدثنى من سمع عبدالله ابن المبارك يقول : كنت أقدم المدينة فما يفيدنى ولا يدلنى على الشيوخ إلا الواقدى .

وقال مجاهد بن موسى : ما كتبت عن أحد أحفظ منه ، وسئل عنه مصعب الزبيرى فقال : ثقة مأمون ، وكذلك قال المسيبى . وسئل عنه معن بن عيسى فقال : أنا أسأل عنه ؟ هو يسأل عنى .

وسئل عنه أبو يحيى الزهرى فقال : ثقة مأمون . وسئل عنه ابن نمير فقال : أما حديثه عنه فمستو ، وأما حديث أهل المدينة فهو أعلم به ، وقال يزيد بن هارون : ثقة . وقال عباس العنبرى : هو أحب إلى من عبدالزرا ق . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : ثقة .

وقال إبراهيم : وأما فقه أبى عبيد فمن كتاب محمد بن عبد عمرالواقدى ، الإختلاف والإجماع كان عنده . وقال إبراهيم الحربى : من قال إن مسائل مالك بن أنس ، وابن أبى ذئب ، تؤخذ عمن هو أوثق من الواقدى فلا يصدق ، لأنه يقول : سألت مالكاً ، وسألت ابن أبى ذئب وقال إبراهيم بن جابر : حدثنى عبدالله بن أحمد بن حنبل قال : كتب أبى عن أبى يوسف ومحمد ثلاثة قماطر . قلت له : كان ينظر فيها ؟ قال : كان ربما نظر فيها ، وكان أكثر نظره فى كتب الواقدى .

وسئل إبراهيم الحربى عما أنكره أحمد على الواقدى . فقال : إنما أنكر عليه جمعه الأسانيد ومجيئه بالمتن واحداً . قال إبراهيم : وليس هذا عيباً ، فقد فعل هذا الزهرى ، وابن إسحق ، قال : إبراهيم لم يزل أحمد بن حنبل يوجه فى كل جمعة ، حنبل ابن إسحق إلى محمد بن سعد فيأخذ له جزأين من حديث الواقدى فينظر فيهما ثم يردهما ويأخذ غيرهما .

---

١ - فى نسخة دار الكتب « الواقدى » مكان « هو »

وكان أحمد بن حنبل ينسبه لتقليب الأخبار كأنه يجعل ما لمعمر لابن أخى الزهرى ، وما لابن أخى الزهرى لمعمر ، وأما الكلام فيه فكثير جداً ، قد ضعف ونسب الى وضع الحديث وقال أحمد : هو كذاب : وقال يحيى : ليس بثقة . وقال البخارى والرازى ، والنسائى متروك الحديث . وللنسائى فيه كلام أشد من هذا ، وقال الدار قطنى : ضعيف وقال ابن عدى : أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه .

قلت : سعة العلم مظنة لكثرة الإغراب ، وكثرة الإغراب مظنه للتهمة ، والواقدى غير مدفوع عن سعة العلم ، فكثرت بذلك غرائبه ، وقد روينا عن على بن المدينى أنه قال : للواقدى عشرون ألف حديث لم يسمع بها ، وعن يحيى بن معين أغرب الواقدى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عشرين ألف حديث .

وقد روينا عنه من تتبعه آثار مواضع الوقائع ، وسؤاله من أبناء الصحابة والشهداء ومواليهم ، عن أحوال سلفهم ما يقتضى انفراداً بروايات وأخبار لا تدخل تحت الحصر وكثيراً ما يطعن فى الراوى برواية وقعت له من أنكر تلك الرواية عليه واستغربها منه ، ثم يظهر له أو لغيره بمتابعة متابع أو سبب من الأسباب براءته من مقتضى الطعن فيتخلص بذلك من العهدة .

وقد روينا عن الإمام أحمد رحمه الله ورضى عنه ، أنه قال : مازلنا ندافع أمر الواقدى حتى روى عن معمر ، عن الزهرى ، عن نبهان ، عن أم سلمة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم (أفعمياوان أنتما) فجاء بشىء لا حيلة فيه ، والحديث حديث يونس لم يروه غيره

وروينا عن أحمد بن منصور الرمادى قال : قدم على بن المدينى بغداد سنة سبع ومائتين ، والواقدى يومئذ قاض علينا ، وكنت أطوف مع على على الشيوخ الذين يسمع منهم . فقلت : أتريد أن تسمع من الواقدى ؟ ثم قلت له بعد ذلك : لقد أردت أن أسمع منه ، فكتب إلى أحمد بن حنبل : كيف تستحل الرواية ، عن رجل روى عن معمر حديث نبهان مكاتب أم سلمة وهذا حديث يونس تفرد به ؟ قال أحمد بن منصور الرمادى : فقدمت مصر بعد ذلك ، فكان ابن أبى مريم يحدثنا به ، عن نافع بن يزيد ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن نبهان ، وقد رواه أيضاً يعقوب بن سفيان ، عن سعيد بن أبى مريم ، عن نافع بن يزيد كرواية الرمادى قال الرمادى : فلما فرغ ابن أبى مريم من هذا الحديث ضحكت . فقال : مم تضحك ؟ فأخبرته بما قال على .

وكتب إليه أحمد فقال لى ابن أبى مريم : إن شيوخنا المصريين لهم عناية بحديث الزهرى ، وكان الرمادى يقول : هذا مما ظلم فيه الواقدى ، فقد ظهر فى هذا الخبر أن

يونس لم ينفرد به ، واذ قد تابعه عقيل فلا مانع من أن يتابعه معمر ، وحتى لو لم يتابعه عقيل لكان ذلك محتملاً ، وقد يكون فيما رمى به من تقليب الأخبار ما ينحو هذا النحو . قد أثبتنا من كلام الناس فى الواقدى ما يعرف به حاله . ، والله الموفق .

وربما حصل إعلام فى بعض الأحيان بغريبة توجد فى الخبر ، وتنبيه على مشكل يقع فيه متناً واسناداً على وجه الإيماء والأشارة لا على سبيل التقصى وبسط العبارة ، وسميته (عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير)

والله المسئول أن يجعل ذلك لوجهه الكريم خالصاً ، وأن يؤوينا إلى ظله إذا الظل أضحى فى القيامة قالصٌ ، بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى .

***

ذكر نسب سيدنا ونبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ، ويدعى شيبة الحمد بن هاشم وهو عمرو العلى بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي ويسمى زيداً ويدعى مجمعاً أيضاً قال الشاعر .

أبوكم قصي كان يدعى مجمعاً به جمع القبائل من فهر

ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

هذا هو الصحيح المجمع عليه فى نسبه ، وما فوق ذلك مختلف فيه ، ولا خلاف أن عدنان من ولد إسماعيل نبى الله بن إبراهيم خليل الله عليهما السلام ، وإنما الخلاف فى عدد من بين عدنان وإسماعيل من الآباء فمقل ومكثر ، وكذلك من إبراهيم الى آدم عليهما السلام لا يعلم ذلك على حقيقته إلا الله .

روينا عن ابن سعد أخبرنا هشام أخبرنى أبى أبو سلمة ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا انتسب لم يجاوز معد ابن عدنان ابن أد ابن أدد «١» ثم يمسك ويقول : كذب النسابون ، قال الله عز وجل (وقروناً بين ذلك كثيراً «٢») وقال ابن عباس : لو شاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلمه لعلمه ، وعن عائشة رضى الله عنها : «ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان إلا تخرصا » وقد روى نحو ذلك عن عمر وعكرمة وغير واحد .

والذى رجحه بعض النسابين فى نسب عدنان أنه ابن أد ابن أدد بن اليسع بن الهميسع ابن سلامان بن نبت بن حمل بن قيذار بن النبيح إسماعيل بن الخليل إبراهيم بن تارح وهو آذر بن ناحور بن ساروح بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ أرفخشذ بن سام بن نوح ابن الملك بن متوشلخ بن أخنوخ – وهو إدريس النبى عليه السلام – بن يارد بن مهلاييل ابن قنيان بن أنوش بن شيث وهو هبة الله – بن آدم عليهما أفضل الصلاة والسلام .

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الفاروقى الإمام بدمشق ، انبأ الحسين بن على العلوى ببغداد ، انبأ ابن ناصر قراءة عليه وأنا أسمع أنبأ أبو طاهر بن أبى الصقر الأنبارى أنبأ القاضى أبو البركات أحمد بن عبدالواحد بن الفضل القراء انبأ الشريف أبو جعفر محمد بن عبدالله بن ظاهر الحسينى ثنا أبو سليمان أحمد بن محمد بن المكى بالمدينة سنه تسع وتسعين ومائتين ، ثنا إبراهيم بن حمزة الزبيرى ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردى عن ابن أبى ذئب عمن لايتهم ، عن عمرو بن العاص ذكر حديثاً وفيه قال يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن الله اختار العرب على الناس ، واختارنى على من أنا منه ، ثم أنا محمد بن عبدالله حتى بلغ النضر بن كنانة ثم قال : فمن قال غير هذا .

١- ويقال : أد «ابن هشام : السيرة النبوية جـ ١ ص ١» .
٢- سورة الفرقان : الآية ٣٨ .

فقد كذب » . وبه عن عبدالعزيز بن محمد ، عن ابن أبى ذئب عن جبير بن أبى صالح ، عن ابن شهاب عن سعد بن أبى وقاص قال : قيل : يارسول الله قتل فلان لرجل من ثقيف فقال (أبعده الله إنه كان يبغض قريشا)

وروينا من طريق مسلم ثنا محمد بن مهران الرازى ، ومحمد بن عبدالرحيم بن سهم جميعاً ، عن الوليد بن مسلم ثنا ابن مهران ثنا الأوزاعى ، عن أبى عمار شداد أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، وأصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم) .

والعرب على ست طبقات : شعب وقبيلة وعمارة وبطن وفخذ وفصيلة . وسميت الشعوب لأن القبائل تشعبت منها ، وسميت القبائل لأن العمائر تقابلت عليها ، فالشعب تجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العمائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطن تجمع الأفخاذ ، والفخذ تجمع الفصائل فيقال : مضر شعب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنانة قبيلته ، وقريش عمارته ، وقصى بطنه ، وهاشم فخذه ، وبنو العباس فصيلته ، هذا قول الزبير .

وقيل : بنو عبدالمطلب فصيلته ، وعبد مناف بطنه ، وسائر ذلك كما تقدم وقيل : بعد الفصيلة العشيرة ، وليس بعد العشيرة شىء وقيل : الفصيلة هى العشيرة وقيل غير ذلك

***

ذكر تزويج عبدالله بن عبدالمطلب
آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب
وكانت فى حجر عمها وهيب بن عبد مناف

قال الزبير : وكان عبدالله أحسن رجل رؤى فى قريش قط ، وكان أبوه عبدالمطلب قد مر به فيما يزعمون – على امرأة من بنى أسد بن عبدالعزى ، وهى أخت ورقة بن نوفل «١» وهى عند الكعبة فقالت له : أين تذهب يا عبدالله ؟ قال : مع أبى ، قالت : لك مثل الإبل التى نحرت عنك – وكانت مائة – وقع على الآن . قال : أنامع أبى ولا أستطيع خلافه ولا فراقه . وأنشد بعض أهل العلم فى ذلك لعبدالله بن عبدالمطلب :

أما الحرام فالممات دونه   والحل لا حل فأستبينه
كيف بالأمر الذى تبغينه

أخبرنا الإمام العلامة أبو العباس أحمد بن إبراهيم الواسطى سماعاً بدمشق ، أنبأ الأمير أبو محمد الحسن بن على العلوى ببغداد سماعاً عليه قال : أخبرنا الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن على السلامى قراءة عليه ، وأنا أسمع ، قال : أنبأ أبو طاهربن أبى الصقر ، أنبأ القاضى أبو البركات أحمد بن عبدالوهاب الفراء ، أنبأ الشريف أبو جعفر محمد بن عبدالله الحسينى ثنا أبو بكر الحضر بن داود بمكة ثنا الزبير بن بكار ، حدثنى سفيان بن عيينة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم «٢») قال : أحدكم من أنفسكم لم يصبه شىء من ولادة الجاهلية ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح» .

وروينا عن ابن سعد قال : انبأ هشام بن محمد بن السائب الكلبى ، عن أبيه قال : كتبت للنبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحاً ولا شيئا مما كان من أمر الجاهلية .

وروينا مرفوعاً من حديث ابن عباس وعائشة رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «خرجت من نكاح غير سفاح» .

رجع إلى الأول : فخرج به عبدالمطلب حتى أتى به وهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وهو يومئذ سيد بنى زهرة سناً وشرفاً ، فزوجه آمنة بنت وهب ، وهى يومئذ أفضل امرأة فى

«١» قال السهيلى : واسم هذه المرأة رقية بنت نوفل ، وتكنى أم قتال . وذكر البرقى عن هشام بن الكلبى قال : إنما مرعلى امرأة اسمها فاطمة بنت مر ، كانت من أجمل النساء ، وكانت قرأت الكتب ، فرأت نور النبوة فى وجهه ، فدعته إلى نفسها وفى غريب ابن قتيبة أن التى عرضت نفسها عليه هى ليلى العدوية
٢ – سورة التوبة : الآية ١٢٨

قريش نسباً وموضعاً ، فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه ووقع عليها ، فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج من عندها ، فأتى المرأة التى عرضت عليه ما عرضت فقال لها : مالك لا تعرضين على اليوم ما عرضت بالأمس ؟ فقالت له : فارقك النور الذى كان معك بالإمس ، فليس لى بك اليوم حاجة ، وقد كانت سمعت من أخيها ورقة بن نوفل أنه كائن فى هذه الأمة نبى .

قال أبو عمر : كان تزوجها وعمره ثلاثون سنه . وقيل : خمس وعشرون ، و قيل : بينهما ثمانية وعشرون عاماً . وتزوج عبدالمطلب فى ذلك المجلس ، هالة بنت وهيب بن عبد مناف ، فولدت له : حمزة ، والمقوم ، وحجلاً وصفية أم الزبير .

قال محمد بن السائب الكلبى : لما تزوج عبدالله بن عبدالمطلب آمنة أقام عندها ثلاثاً . وكانت تلك السنة عندهم إذا دخل الرجل على امرأته فى أهلها .

ذكر حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : ويزعمون ، فيما يتحدث الناس ، والله أعلم ، أن أمه كانت تحدث أنها أتيت حين حملت به فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع على الأرض فقولى : أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ، ثم سميه محمداً .

ومن طريق محمد بن عمر ، عن على بن زيد ، عن عبدالله بن وهب بن زمعة ، عن أبيه ، عن عمته قالت : كنا نسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما حملت به أمه آمنة بنت وهب كانت تقول : ما شعرت بأنى حملت به ، ولا وجدت له ثقلة [1] ، كما يجد النساء إلا أنى أنكرت رفع حيضتى ، وربما كانت تقول : وأتانى آت وأنا بين النائم واليقظان ، فقال : هل شعرت أنك حملت ؟ فكأنى أقول : ما أدرى . فقال : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبيها ، وذلك يوم الأثنين الحديث ، وأمهلنى حتى دنت ولادتى ، أتانى فقال : قولى أعيذه بالواحد [2] وعن الزهرى قال : قالت آمنة : لقد علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته .

١- فى نسخة ثقلاً

٢- فى سيرة ابن إسحق ١/١٧٠ «فقولى : أعيذه بالواحد ، من شر كل حاسد ، ثم سمه محمداً» .

ذكر وفاة عبدالله بن عبدالمطلب

قال ابن إسحق : ثم لم يلبث عبدالله بن عبدالمطلب أن هلك وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به ، هذا قول ابن إسحق وغيره يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في المهد حين توفي أبوه ، ورويناه عن الدولابي . وذكر ابن أبي خيثمة أنه كان ابن شهرين وقيل : ابن ثمانية وعشرين شهراً ، وقبره في المدينة في دار من دور بني عدي ابن النجار .

كان قد خرج إلى المدينة يمتار تمرا ، وقيل : بل خرج به إلى أخواله زائراً ، وهو ابن سبعة أشهر ، وفي خبر سيف بن ذي يزن : مات أبوه فكفله جده وعمه . وروى ابن وهب عن يونس ، عن ابن شهاب قال : بعث عبدالمطلب ابنه عبدالله يمتار له تمراً من يثرب . فمات بها وهو شاب عند أخواله ، ولم يكن له ولد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والذي رجحه الواقدي «١» وقال هو أثبت الأقاويل عندنا في موت عبدالله وسنه ، أنه كان خرج إلى غزة في عير من عيرات قريش يحملون تجارات ، ففرغوا من تجارتهم وانصرفوا فمروا بالمدينة ، وعبدالله بن عبدالمطلب يومئذ مريض فقال : أنا أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار . وأقام عندهم مريضاً شهراً ، ومضى أصحابه فقدموا مكة ، فسألهم عبدالمطلب عن عبدالله ، فقالوا : خلفناه عند أخواله بني عدي ابن النجار ، وهو مريض ، فبعث إليه عبدالمطلب أكبر ولده الحرث «٢» فوجده قد توفي ، ودفن في دار النابغة .

قيل : كان بينه وبين ابنه عليه السلام ثمانية عشر عاما . وقد تقدم في تزويج عبدالله آمنة ما حكى عن السلف في ذلك .

١- محمد بن سعد : الطبقات الكبرى جـ١ ، ص ٦١ .

٢- في الطبقات الكبرى ٦١/١ « الحارث »

ولد سيدنا ونبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوم الأثنين لإثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول عام الفيل ، قيل : بعد الفيل بخمسين يوماً ، وقال الزبير : حملت به أمه صلى الله عليه وسلم ، فى أيام التشريق فى شعب أبى طالب عند الجمرة الوسطى . وولد صلى الله عليه وسلم فى الدار التى تدعى لمحمد بن يوسف أخى الحجاج ، يوم الأثنين لإثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، و قيل : بل يوم الأثنين فى ربيع الأول لليلتين خلتا منه . قال أبو عمر : وقد قيل : لثمان خلون منه . وقيل : إنه أول أثنين من ربيع الأول . وقيل : لإثنتى عشرة ليلة خلت منه عام الفيل . وقيل : إنه ولد فى شعب بنى هاشم .

وروى عن ابن عباس قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفيل : أخبرناه أبو المعالى أحمد بن إسحق فيما قرأت عليه ، قلت : قال أخبركم الشيخان أبو الفرج الفتح ابن عبدالله بن محمد بن على بن عبدالسلام ، وأبو العباس أحمد بن أبى الحسين ابن أبى الفتح بن صرما «ح» «١» قال : وقرأت على الإمام أبى إسحق إبراهيم بن على ابن أحمد الحنبلى الزاهد بسفح قاسيون قال : قلت له : أخبركم أبو البركات داود بن أحمد ابن محمد البغدادى قالوا : أنا أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأموى سماعاً عليه قال: أنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن النقور قال : أنا أبو الحسين على بن عمر السكرى ، قال : أنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ثنا يحيى بن معين ثنا حجاج ابن محمد ثنا يونس بن أبى إسحق عن أبى إسحق ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفيل . وعن قيس بن مخرمة قال : ولدت أنا ورسول الله عليه السلام يوم الفيل فنحن لدان «٢» وقيل : بعد الفيل بشهر . وقيل بأربعين يوماً ، وقيل : بخمسين يوماً .

وذكر أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمى قال : كان قدوم الفيل مكة لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم . وقد قال : ذلك غير الخوارزمى وزاد يوم الأحد ، قال : وكان أول المحرم تلك السنة يوم الجمعة . قال الخوارزمى : وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد ذلك بخمسين يوماً يوم الأثنين لثمان خلت من ربيع الأول ، وذلك يوم عشرين من نيسان «٣» قال : وبعث نبينا يوم الأثنين لثمان خلت من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل ، فكان من مولده إلى أن بعثه الله أربعون سنة ويوم ، ومن مبعثه إلى أول

١- هذه الحاء توضع لتحويل السند من راو الى آخر .

٢- تقول : فلان لدة فلان - بكسر اللام وفتح الدال مخففة - إذا كان قد ولد معه فى زمان واحد . وقد ذكر المؤلف «فنحن لدان » بلا تاء قال أبوذر : «المشهور فيه لدتان بالتاء» .

٣- نيسان : شهر إبريل .

المحرم من السنة التى هاجر فيها إثنتا عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرون يوماً وذلك ثلاث وخمسون سنة تامة من عام الفيل . وذكر ابن السكن من حديث عثمان بن أبى العاص ، عن أمه فاطمة بنت عبدالله ، أنها شهدت ولادة النبى صلى الله عليه وسلم ليلاً قالت : فما شىء أنظر إليه من البيت إلا نور ، وأنى لأنظر إلى النجوم تدنوحتى أنى لأقول لتقعن علىّ .

ويقال : وضعت عليه جفنة ، فانفلقت عنه فلقتين ، فكان ذلك من مبادىء إمارات النبوة فى نفسه .

وذكر ابن أبى خيثمة ، عن أبى صالح السمان قال : قال كعب : إنا لنجد فى كتاب الله عز وجل « محمد مولده بمكة » . وعن عبدالملك بن عمير قال : قال كعب : إنى أجد فى التوراة «عبدى أحمد المختار مولده بمكة» .

وحكى أبو الربيع بن سالم أن بقى بن مخلد ذكر فى تفسيره : أن إبليس لعنه الله رن أربع رنات ، رنة حين لعن ، ورنة حين أهبط ، ورنة حين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورنة حين نزلت فاتحة الكتاب .

أخبرنا الشيخ أبو الحسن على بن محمدالدمشقى ، بقراءتى عليه ، قلت له : أخبركم الشيخان أبو عبدالله محمد بن نصر بن عبدالرحمن بن محمد بن محفوظ القرشى ، والأمير سيف الدولة أبو عبدالله محمد بن غسان بن غافل بن نجاد الأنصارى قراءة عليهما وأنت حاضر فى الرابعة قالا : أنا الفقيه أبو القاسم على بن الحسن الحافظ ، قراءة عليه ، ونحن نسمع قال : أنا المشائخ أبو الحسن على بن مسلم بن محمد بن الفتح بن على الفقيه ، وأبو الفرج غيث بن على بن عبدالسلام بن محمد بن جعفربن الأرمنازى الصورى الخطيب ، وأبو محمد عبدالكريم بن حمزة بن الخضر بن العباس الوكيل بدمشق قالوا : أنا أبو الحسن أحمد بن عبد الواحدبن محمد بن أحمد بن عثمان ابن أبى الحديد السلمى ، قال : أنا جدى أبو بكر محمد بن أحمد قال : أنا أبو بكر محمد ابن جعفر بن محمد بن سهل الخرائطى ثنا على بن حرب ثنا أبو أيوب يعلى بن عمران من آل جرير عبدالله البجلى قال : حدثنى مخزوم بن هانىء المخزومى عن أبيه ، وأتت له خمسون ومائة سنة ، قال : لما كان ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم . إرتجس(١) إيوان كسرى ، وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، وغاضت بحيرة ساوة ، ورأى الموبذان إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها : فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك ، فصبر عليه تشجعاً ثم رأى أن لا يدخر - وقال الفقيه إنه لا يدخر - ذلك عن مرازبته فجمعهم ،

١- أى اضطرب وتحرك حركة سمع لها صوت .

ولبس تاجه ، وجلس على سريره ، ثم بعث إليهم فلما إجتمعوا عنده قال : تدرون فيما بعثت إليكم ؟ قالوا : لا إلا أن يخبرنا الملك . فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران ، فإزدا دغماً ، ثم أخبرهم ما رأى وما هاله فقال الموبذان : وأنا أصلح الله الملك ، قد رأيت فى هذه الليلة رؤيا . ثم قص عليه رؤياه فى الإبل فقال : أى شىء يكون هذا يا موبذان ؟ قال : حدث يكون فى ناحية العرب ، وكان أعلمهم فى أنفسهم «١» فكتب عند ذلك : « من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر . أما بعد فوجه إلى برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه »

فوجه إليه عبدالمسيح بن عمرو بن حيان بن بعيلة الغسانى فلما ورد عليه ، قال له : ألك علم بما أريد أن أسالك عنه ؟ قال : ليخبرنى الملك أو ليسألنى عما أحب ، فإن كان عندى منه علم وإلا أخبرته بمن يعلمه . فأخبره بالذى وجه إليه فيه فقال : علم ذلك عند خال لى يسكن مشارف الشام يقال له سطيح ، قال : فأته ، فأسأله عما سألتك عنه ، ثم إئتنى بتفسيره . فخرج عبدالمسيح حتى أنتهى إلى سطيح – وقد أشفى على الضريح – فسلم عليه وكلمه ، فلم يرد عليه سطيح جواباً فأنشأ يقول : « أصم أم يسمع غطريف اليمن » فى أبيات ذكرها «٢» فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه يقول : عبدالمسيح على جمل مشيح إلى سطيح ، وقد أشفى على الضريح ، بعثك ملك بنى ساسان لإرتجاس الإيوان .

١– فى الطبرى ٢/١٦٧ « وكان أعلمهم عند نفسه بذلك » .
٢– الأبيات كما وردت فى الطبرى ٢/١٦٧

أصم أم يسمع غطريف اليمن ... يا فاصل الخطة أعيت من وقن
أم فاز فازلم «١» به شأو العنن ... أتاك شيخ الحى من آل سنن
وأمه من آل ذئب بن حجن ... أزرق ممهى «٢» الناب صرار الأذن
أبيض فضفاض الرداء والبدن ... رسول قيل العجم يسرى للوسن
يحوب بى الأرض علنداه «٣» شذن ... ترفعنى وحن وتهوى بى وجن «٤»
لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن ... حتى أتى عارى الجاجى والقطن
تلفه فى الريح بوغاء الدمن ... كأنما حثحث من حضنى ثكن «٥»

١– أزلم : ولى ٢– ممهى : محدد
٣– العلندى : الشديد ، والفاء للمبالغة ،والشذن : النشيط
٤– الوجين : الغليظ من الأرض جمعه وجن
٥– البوغاء : دقاق التراب . وحثحث : حث وأسرع . وثكن : إسم جبل

وخمود النيران ، ورؤيا الموبذان ، رأى إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة ، وانتشرت فى بلادها ، يا عبدالمسيح ، إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب الهراوة ، وفاض وادى السماوة ، وغاضت بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس ، فليس الشام لسطيح ، شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات ، وكل ما هو آت آت . ثم قضى سطيح مكانه ، فنهض عبدالمسيح إلى راحلته وهو يقول :

شمر فإنك ماضى الهم شمير ... لا يفزعنك تفريق وتغيير
إن يمس ملك بنى ساسان أفرطهم ... فإن ذا الدهر أطوار دهارير
فربما ربما أضحوا بمنزلة ... تهاب صولهم الأسد المهاصير
منهم أخو الصرح بهرام وأخوته ... والهرمزان وسابور وسابور
والناس أولاد علات فمن علموا ... أن قد أقل فمحقور ومهجور
وهم بنو الأم أما أن رأوا نشباً ... فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان فى قرن ... فالخير متبع والشر محذور

فلما قدم عبدالمسيح على كسرى أخبره بما قال له سطيح ، فقال كسرى : إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً ، كانت أمور وأمور فملك منهم عشرة فى أربع سنين ، وملك الباقون إلى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه .

قال ابن إسحق : فلما وضعته أمه أرسلت إلى جده عبدالمطلب أنه قد ولد لك غلام فانظر إليه فأتاه ونظر إليه ، وحدثته بما رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما أمرت أن تسميه – فيزعمون – أن عبدالمطلب أخذه فدخل به الكعبة – فقام يدعوالله ويشكر له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها .

وولد صلى الله عليه وسلم معذوراً مسروراً أى مختوناً مقطوع السرة ، ووقع إلى الأرض ، مقبوضة أصابع يده مشيراً بالسباحة كالمسبح بها ، حكاه السهيلى .

روينا عن ابن جميع ثنا عمر بن موسى بالمصيصة ، ثنا جعفر بن عبدالواحد قال : قال صفوان بن هبيرة ، ومحمد بن البرسانى ، عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : ولد النبى صلى الله عليه وسلم مسروراً مختوناً .

ذكر تسميته محمداً وأحمد صلى الله عليه وسلم

روينا عن أبى جعفر محمد بن على من طريق ابن سعد قال : أمرت آمنة وهى حامل برسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسميه أحمد . وروينا عن ابن إسحق فيما سلف أنها أتيت حين حملت به فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة وفيه : ثم سميه محمداً وروينا من طريق الترمذى ثنا سعيد بن عبدالرحمن المخزومى ثنا سفيان ، عن الزهرى ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن

لى أسماء أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب الذى ليس بعدى نبى » وصححه وقال : فى الباب عن حذيفة ، وروى حديث جبير البخارى ، ومسلم ، والنسائى ، وسيأتى الكلام على بقية الأسماء إن شاء الله تعالى .

وذكر أبو الربيع بن سالم قال : ويروى أن عبدالمطلب إنما سماه محمداً ، لرؤيا رآها ، زعموا أنه رأى فى منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء ، وطرف فى الأرض ، وطرف فى المشرق ، وطرف فى المغرب ، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور ، وإذا أهل المشرق والمغرب يتعلقون بها ، فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ، ويحمده أهل السماء والأرض ، فلذلك سماه محمداً مع ما حد ثته به أمه .

وروينا عن أبى القاسم السهيلى رحمه الله قال : لا يعرف فى العرب من تسمى بهذا الأسم قبله صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، وبقرب زمانه يبعث بالحجاز ، أن يكون ولداً لهم ، وذكرهم ابن فورك فى كتاب «الفصول» وهم محمد بن سفيان بن مجاشع جد الفرزدق الشاعر ، والآخر محمد ابن أصيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبا بن كلفة بن عوف بن عمر بن عوف ابن مالك بن الأوس ، والآخر محمد بن حمران ، وهو من ربيعة ، وذكر معهم محمداً رابعاً أنسيته ، وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك الأول ، وكان عنده علم بالكتاب الأول ، فأخبرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم وباسمه ، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملاً فنذر كل واحد منهم ، إن ولد له ولد ذكر أن يسميه محمداً ففعلوا ذلك .

وروينا عن القاضى أبى الفضل عياض رحمه الله فى تسميته عليه السلام محمداً وأحمد قال : فى هذين الإسمين من بدائع آياته ، وعجائب خصائصه أن الله جل اسمه حمى أن يسمى بهما أحد قبل زمانه ، أما أحمد الذى أتى فى الكتاب ، وبشرت به الأنبياء ، فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمى به أحد غيره ، ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك . وكذلك محمد أيضاً لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده ، أن نبياً يبعث اسمه محمد ، فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك ، رجاء أن يكون أحدهم هو ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته ، وهم محمد بن أصيحة بن الجلاح الأوسى ، ومحمد بن مسلمة الأنصارى ، ومحمد بن براء البكرى ، ومحمد بن سفيان بن مجاشع ، ومحمد بن حمران الجعفى ، ومحمد بن خزاعى السلمى لا سابع لهم ، و يقال أن أول من سمى به محمد بن سفيان . واليمن تقول محمد بن اليحمد الأزدى ، ثم حمى الله كل من سمى به أن يدعى النبوة

أويدعيها أحد له حتى تحققت السمتان له ، ولم ينازع فيهما ، والله أعلم .

ذكر الخبر عن رضاعه صلى الله عليه وسلم وما يتصل بذلك من شق الصدر

روينا عن ابن سعد قال : أنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمى ، قال حدثنى موسى ابن شيبة ، عن عميرة بنت عبدالله بن كعب بن مالك ، عن برة بنت أبى تجراة قالت : أول من أرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثويبة «١» بلبن ابن لها يقال له مسروح أياما قبل أن تقدم حليمة ، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبدالمطلب ، وبعده أبا سلمة ابن عبدالأسد .

أخبرنا أبو العباس الساوى بقراءة والدى عليه قال : أنا أبوروح المطهر بن أبى بكر البيهقى سماعاً عليه قال : أنا أبو بكر الطوسى قال : أنا أبو على الخشنامى قال : أنا أحمد بن الحسن النيسابورى قال : أنا محمد بن أحمد قال : أنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن عبيد ثنا الأعمش عن سعد بن عبيدة ، عن أبى عبدالرحمن ، عن على قال : قلت يا رسول الله ، مالك لا تنوق فى قريش ، ولا تتزوج منهم ؟ قال : وما عندك ؟ قلت : نعم ابنة حمزة . قال : تلك ابنة أخى من الرضاعة .

قرأت على أبى النور إسماعيل بن نور بن قمر الهيتى - بسفح قاسيون - أخبرك أبو نصر موسى بن عبدالقادر الجيلى قراءة عليه ، وأنت تسمع قال : أنا أبو القاسم سعيد ابن أحمد بن البناء قال : أنا أبو نصر محمد بن محمد الزينبى قال : أنا أبو بكر محمد ابن عمر بن على الوراق ثنا أبو بكر عبدالله بن سليمان بن الأشعث ثنا أبو موسى عيسى ابن حماد زغبة قال : أنا الليث ، عن هشام بن عروة ، عن عروة ، عن زينب بنت أبى سلمة ، عن أم حبيبة أنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : هل لك فى أختى ابنة أبى سفيان «٢» وفيه قالت : فوالله لقد أنبئت أنك تخطب درة بنت أبى سلمة قال : ابنة أبى سلمة ؟ قالت : نعم ، قال : فوالله لو لم تكن ربيبتى فى حجرى ما حلت لى إنها لابنة أخى من الرضاعة ، أرضعتنى وأباها ثويبة ، فلا تعرضن على بناتكن ولا أخواتكن . الحديث «٣» .

وذكر الزبير أن حمزة أسن من النبى صلى الله عليه وسلم بأربع سنين . وحكى أبوعمر نحوه وقال : وهذا لا يصلح عندى ، لأن الحديث الثابت أن حمزة ، وعبدالله بن عبد الأسد ، أرضعتهما ثويبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن تكون أرضعتهما

١- ثويبة : كانت أمة لأبى لهب فأعتقها حين بشرته بولادة ابن أخيه محمد عليه الصلاة والسلام .

٢- أختها التى تعرضها هى عزة بنت أبى سفيان .

٣- رواه أحمد و اللفظ له . ورواه البخارى ومسلم والشافعى فى مسنده . والنسائى وابن ماجه والبيهقى فى السنن الكبرى «الفتح الربانى جـ٢٠ ص ١٩٠»

فى زمانين . قلت : وأقرب من هذا ما روينا عن ابن إسحق من طريق البكائى ، أنه كان أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين والله أعلم .

واسترضع له من بنى سعد بن بكر امرأة يقال لها : حليمة بنت أبى ذؤيب ، وكانت تحدث أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها ترضعه فى نسوة من بنى سعد بن بكر قالت : وفى سنة شهباء «١» لم تبق لنا شيئا ، قالت : فخرجت على أتان لى قمراء «٢» معنا شارف «٣» لنا ، والله ما تبض بقطرة لبن ، وما ننام ليلتنا أجمع مع صبينا الذى معنا من بكائه من الجوع ، ما فى ثديى ما يغنيه ، وما فى شارفنا ما يغذيه ، ولكنا نرجو الغيث والفرج فخرجت على أتانى تلك فلقد أذمت «٤» بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفاً حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء ، فمامنا إمرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه إذا قيل لها : إنه يتيم ، وذلك أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبى الصبى فكنا نقول : يتيم ما عسى أن تصنع أمه وجده ، فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت إمرأة قدمت معى إلا أخذت رضيعاً غيرى ، فلما أجمعنا الإنطلاق قلت لصاحبى : والله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعاً ، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه قال : لا عليك أن تفعلى عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة . قالت : فذهبت إليه فأخذته ، وما حملنى على أخذه إلا أنى لم أجد غيره ، فلما أخذته رجعت به إلى رحلى فلما وضعته فى حجرى أقبل ثدياى بما شاء من لبن وشرب حتى روى ، وشرب معه أخوه حتى روى ثم ناما ، وما كنا ننام معه قبل ذلك .

فقام زوجى إلى شارفنا تلك فإذا أنها الحافل «٥» فحلب منها ، وشرب وشربت حتى انتهينارياً وشبعاً فبتنا بخير ليلة ، يقول صاحبى حين أصبحنا : تعلمى والله يا حليمة ، لقد أخذت نسمة مباركة ، قلت : والله إنى لأرجو ذلك . ثم خرجت وركبت أتانى وحملته عليها معى ، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر على شىء من حمرهم ، حتى أن صواحبى ليقلن لى : يا بنت أبى ذؤيب ويحك أربعى «٦» علينا ، أليست هذه أتانك التى كنت خرجت عليها ؟ فأقول لهن : بلى والله إنها لهى . فيقلن : والله إن لها لشأناً . قالت : ثم قدمنا منازلنا من بنى سعد ، ولا أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها ، فكانت غنمى

١- سنة شهباء اى سنة الجدب والقحط

٢- القمرة : بالضم - لون إلى الخضرة ، أو بياض فيه كدره ، وحمار أقمر ، وأتان قمراء . القاموس

٣- الشارف: الناقة المسنة «ما تبض» بالضاد المعجمة معناه ما تنشغ ولا ترشح .

٤- قال السهيلى : أذمت : أى جاءت بما يذم عليه

٥- حافل : ممتلئة الضرع من اللبن والحفل : اجتماع اللبن فى الضرع

٦- أربعى : أقيمى وانتظرى

تروح على حين قدمنا به معنا شباعاً لبناً «١» فنحلب ونشرب ، وما يحلب إنسان قطرة لبن ، ولا يجدها في ضرع ، حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرعيانهم : ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب ، فتروح أغنامهم جياعاً ماتبض «٢» بقطرة لبن ، وتروح غنمي شباعاً لبنا ، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير ، حتى مضت سنتاه وفصلته ، وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان ، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً «٣» فقدمنا به على أمه ، ونحن أحرص شيء على مكثه فينا ، لما نرى من بركته ، فكلمنا أمه وقلت لها : لو تركت بني عندي حتى يغلظ ، فإني أخشى عليه وباء مكة : فلم نزل بها حتى ردته معنا ، فرجعنا به ، فوالله ، إنه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه لفي بهم «٤» لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشتد ، فقال لي ولأبيه : ذاك أخي القرشي عبدالله قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاه فشقا بطنه ، فهما يسوطانه «٥» قالت : فخرجت أنا أبوه نحوه فوجدناه قائماً ، منتقعاً لوجهه ، قالت : فالتزمته ، والتزمه أبوه ، فقلنا : مالك يا بني ؟ قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه شيئاً لا أدري ما هو ، قالت : فرجعنا به إلى خيامنا . وقال لي أبوه : يا حليمة ، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب ، فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به قالت : فاحتملناه ، فقدمنا به على أمه فقالت : ما أقدمك به ياظئر «٦» ولقد كنت حريصة عليه ، وعلى مكثه عندك ، قلت : قد بلغ الله با بني وقضيت الذي عليّ وتخوفت الأحداث عليه ، فأديته عليك كما تحبين . قالت : ما هذا شأنك ، فأصدقيني خبرك . قالت : فلم تدعني حتى أخبرتها ، قالت : أفتخوفت عليه الشيطان ؟ قلت : نعم ، قالت :كلا والله ما للشيطان عليه سبيل ، وإن لبني لشأناً ، أفلاأخبرك خبره ؟ قلت : بلى . قالت : رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء له قصور بصرى «٧» من أرض الشام ، ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف منه ، ولا أيسر منه ، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء ، دعيه عنك وانطلقي راشدة .

١- لبن : أي غزيرات اللبن

٢- ما تبض : ما ترشح

٣- الجفر : الشديد

٤- البهم : الصغار من الغنم

٥- قال السهيلي : يقال سطن اللبن أو الدم أسوطه إذا ضربت بعضه ببعض والسوطه عود يضرب به

٦- الظئر : المرضع

٧- قال السهيلي في تأويل هذا النور «ذلك ما فتح الله عليه من تلك البلاد حتى كانت الخلافة فيها مدة بني أمية ، واستضاءت تلك البلاد وغيرها بنوره صلى الله عليه وسلم . وكذلك رأى خالد بن سعيد بن العاص قبل المبعث بيسير نوراً يخرج من زمزم حتى ظهرت له البسر «البسر : جمع بسرة » في نخيل يثرب ، فقصها على أخيه عمرو بن العاص ، فقال إن زمزم حفيرة عبدالمطلب ، وأن هذا النور منهم فكان ذلك سبب مبادرته الى الإسلام .

قال السهيلي ، وذكر غير ابن إسحق في حديث الرضاع : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان لا يقبل إلا على ثديها الواحد ، وتعرض عليه الآخر فيأباه ، كأنه قد أشعر أن معه شريكا في لبانها . وكان مفطورا على العدل ، مجبولا على جميل المشاركة والفضل صلى الله عليه وسلم . ويروى أن نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا له : يا رسول الله أخبرنا عن نفسك ، قال : نعم ، أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام ، ورأت أمي حين حملت بي أنه قد خرج منها نور أضاء له قصور الشام ، واسترضعت في بني سعد بن بكر ، فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما «١» لنا أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجاً ، فأخذاني فشقا بطني ، ثم استخرجا قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء «٢» فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه . ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته فوزنني بعشرة ، فوزنتهم ثم قال : زنه بمائة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزنني بهم ، فوزنتهم فقال : دعه عنك فلو وزنته بأمة «٣» لوزنها . وفي رواية : فاستخرجا منه مغمز الشيطان وعلق الدم وفيها : وجعل الخاتم «٤» بين كتفي كما هو الآن .

قوله في هذا الخبر : وما في شارفنا ما يغديه ، قيل : بالدال المهملة من الغداء ، وقيل : بالمعجمة ، وقال أبو القاسم : وهو أتم من الإقتصار على ذكر الغداء دون العشاء وعند بعض الناس ، يعذبه ومعناه ما يقنعه حتى يرفع رأسه ، وينقطع عن الرضاع ، يقال منه عذبته وأعذبته ، إذا قطعته عن الشرب ونحوه . والعنوب وجمعه عنوب بالضم ، ولا يعرف فعول جمع على فعول غيره ، قاله أبو عبيد . انتهى كلام السهيلي رحمه الله . وأنشدني أبي رحمه الله لبعض العرب يهجو قوماً بات ضيفهم :

بتنا عذوباً وبات البق يلبسنا   نشوى القراح «٥» كأن لاحى بالوادي

وذكر في فعول غير عذوب ، وحكى ذلك عن كتاب «ليس» لابن خالويه .

وقوله – أدمت – بالركب حبستهم ، وكأنه من الماء الدائم وهو الواقف ، ويروى أذمت – أي الأتان أي جاءت بما تذم عليه ، أو يكون من قولهم : بئر ذمة أي قليلة الماء .

١– البهم : الصغار من الغنم .

٢– هذه العلقة من جملة الأجزاء الإنسانية . فخلقت فيه عليه الصلاة والسلام تكملة للخلق الإنساني ، وإخراجها بعد خلقها كرامة ربانية فهو أدل على مزيد الرفعة من خلقه بدونها

٣– في نسخة : بأمته

٤– خاتم النبوة قطعة لحم بارزة عليها شعرات ، وكان عند كتفة الأيسر وحكمة وضعه أنه لما شق صدره الشريف ، وأزيل منه مغمز الشيطان ، وملئ حكمة وإيمانا ، ختم عليه كما يختم على الإناء المملوء مسكا .

٥– الماء «القراح» بالفتح الذي لا يشوبه شيء .

وقوله – يسوطانه – يقال : سطت اللبن أو الدم أو غيرهما أسوطه ، إذا ضربت بعضه ببعض ، والسوط عود يضرب به .

وقوله : مغمز الشيطان ، هو الذى يغمزه الشيطان من كل مولود إلا عيسى ابن مريم وأمه لقول أمها حنة : إنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ، ولأنه لم يخلق من منى الرجل ، وإنما خلق من نفخة روح القدس .

قال السهيلى : ولا يدل هذا على فضله عليه السلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأن محمداً عندما نزع ذلك منه ملىء حكمة وإيماناً بعد أن غسله روح القدس بالثلج والبرد . وقد روى أنه عليه السلام ليله الإسراء ، أتى بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً فأفرغ فى قلبه ، وأنه غسل قلبه بماء زمزم ، فوهم بعض أهل العلم من روى ذلك ذاهباً فى ذلك إلى أنها واقعة واحدة متقدمة التاريخ على ليله الإسراء بكثير .

قال السهيلى . وليس الأمر كذلك ، بل كان هذا التقديس وهذا التطهير مرتين : الأولى فى حالة الطفولية ، لينقى قلبه من مغمز الشيطان ، والثانية عندما أراد أن يرفعه إلى الحضرة المقدسة ، وليصلى بملائكة السموات ، ومن شأن الصلاة الطهور ، فقدس باطناً وظاهراً ، وملىء قلبه حكمة وإيماناً ، وقد كان مؤمناً ولكن الله تعالى قال : (ويزداد الذين آمنوا إيمانا «١»)

رجع إلى الأول : وانطلق به أبو طالب ، وكانت حليمة بعد رجوعها من مكة لاتدعه أن يذهب مكاناً بعيداً ، فغفلت عنه يوماً فى الظهيرة ، فخرجت تطلبه حتى وجدته مع أخته فقالت : فى هذا الحر ؟ فقالت أخته : يا أمه ، ما وجد أخى حراً ، رأيت غمامة تظل عليه إذا وقف وقفت ، وإذا سار سارت حتى انتهى إلى هذا الموضع ، تقول أمها : أحقا يا بنيه ؟ قالت : أى والله ، قال : تقول حليمة : أعوذ بالله ، من شر ما نحذر على ابنى .

فكان ابن عباس يقول : رجع إلى أمه وهو ابن خمس سنين ، وكان غيره يقول : رد إليها وهو ابن أربع سنين ، وهذا كله عن الواقدى . وقال أبو عمر: ردته ظئره حليمة إلى أمه بعد خمس سنين ويومين من مولده ، وذلك سنة ست من عام الفيل .

وأسلمت حليمة بنت أبى ذؤيب وهو عبدالله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام ابن ناصرة بن قبيصة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن . قال أبو عمر روى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال : جاءت حليمة ابنة عبدالله أم النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاعة إلى النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقام إليها وبسط لها رداءه فجلست عليه . روت عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنها ابنها عبدالله بن جعفر .

قرىء على أبى العباس أحمد بن يوسف الصوفى وأنا أسمع سنة ست وسبعين قال :

«١» سورة المدثر : الآية ٣١

أنا أبوروح البيهقى سماعاً عليه سنة خمس وستمائة ، قال : أنا الإمام أبو بكر محمد بن على الطوسى قراءة عليه ، ونحن نسمع قال : أنا أبو على نصر الله بن أحمد بن عثمان الخشنامى قال : أنا أبو بكر أحمد بن الحسن النيسابورى ، قال : أنا أبو على محمد ابن أحمد الميدانى ، قال أنا أبو عبدالله محمد بن خالد بن فارس ثنا أبو عاصم النبيل ، عن جعفر بن يحيى بن ثوبان عن عمه عمارة عن أبى الطفيل قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لحماً بالجعرانة (١) وأنا غلام شاب فأقبلت امرأة فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم . بسط لها رداءه ، فقعدت عليه . فقال : من هذه ؟ قال : أمه التى أرضعته . هكذا روينا فى هذا الخبر ، وكذا حكى أبو عمر بن عبدالبر ، عن حليمة أنها أسلمت وروت ، ومن الناس من ينكر ذلك .

وحكى السهيلى : أنها كانت وفدت على النبى صلى الله عليه وسلم ، قبل ذلك بعد تزويجه خديجة تشكو إليه السنة وأن قومها قد أسنتوا ، فكلم لها خديجة فأعطتها عشرين رأساً من غنم وبكرات .

وذكر أبو إسحق بن الأمين فى استدراكه على أبى عمر : خولة بنت المنذر بن زيد بن لبيد ابن خداش التى أرضعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وذكر غيره فيهن أيضاً أم أيمن بركة حاضنته عليه السلام .

١- الجعرانة : موضع بين مكة والطائف ، وماء

ذكر الخبر عن وفاة أمه آمنة بنت وهب
وحضانة أم أيمن له ، وكفالة عبدالمطلب إياه

قال ابن إسحق : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة وجده عبدالمطلب فى كلاءة من الله وحفظه ، ينبته الله نباتاً حسناً ، لما يريد به من كرامته ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين توفيت أمه آمنة بالأبواء بين مكة والمدينة ، قال أبو عمر بن عبد البروقيل : ابن سبع سنين ، قال : وقال محمد بن حبيب فى الخبر : توفيت أمه صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان سنين ، وقال : وتوفى جده عبدالمطلب بعد ذلك بسنة وأحد عشر شهراً سنة تسع من عام الفيل . وقيل : إنه توفى جده عبدالمطلب وهو ابن ثمان سنين .

رجع إلى ابن إسحق قال : وكانت قد قدمت به على أخواله من بنى عدى بن النجار تزيره إياهم ، فماتت وهى راجعة إلى مكة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبدالمطلب ، وكان يوضع لعبدالمطلب فراش فى ظل الكعبة فكان بنوه يجلسون حول ذلك الفراش حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى وهو غلام جفرحتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبدالمطلب إذا رأى ذلك منهم : دعوا أبنى ، فوالله إن له لشأنا ، ثم يجلسه معه عليه ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع قرأت على أحمد بن محمد المقدسى الزاهد ، أخبرك أبو إسحق إبراهيم بن عثمان عن محمد بن عبدالباقى ، عن أحمد بن الحسن . قال أبو إسحق ، وأنا أحمد بن محمد ابن على بن صالح قال : أنا أبو بكر أحمد بن الحسين قال : أنا أبو على بن شاذان ، قال أنا ابن درستويه قال : أنا يعقوب بن سفيان ثنا أبو الحسن مهدى بن عيسى ، قال أنا خالد بن عبدالله الواسطى ، عن داود بن أبى هند ، عن العباس بن عبدالرحمن عن كندير (١) عن أبيه قال : حججت فى الجاهلية فبينا أنا أطوف بالبيت إذا رجل يقول :

رد إلى راكبى محمداً   أردده رب واصطنع عندى يدا

قال : قلت : من هذا ؟ قال : عبدالمطلب بن هاشم بعث ابن ابنه فى إبل له ضلت ، وما بعثه فى شىء إلا جاء به قال : فما برحت حتى جاء بالإبل معه ، قال : فقال : يابنى حزنت عليك حزناً لا يفارقنى بعده أبداً .

قالوا : وكانت أم أيمن تحدث تقول : كنت أحضن رسول الله صلى الله عليه وسلم فغفلت عنه يوماً فلم أدر إلا بعبدالمطلب قائماً على رأسى يقول : يا بركة قلت : لبيك قال : أتدرين أين وجدت ابنى ؟ قلت : لا أدرى ، قال : وجدته مع غلمان قريباً من السدرة لا

١- بكسر الكاف وسكون النون وكسر الدال وآخره راء مهملة .

تغفلي عن ابني ، فإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة ، وأنا لا آمن عليه منهم ، وكان لا يأكل طعاماً إلا قال : علي بابني ، فيؤتى به إليه .

وروينا عن ابن سعد قال : أنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال : حدثني الوليد ابن عبدالله بن جميع الزهري : عن ابن لعبدالرحمن بن موهب بن رباح الأشعري حليف بني زهرة ، عن أبيه قال : حدثني مخرمة بن نوفل ، قال الزهري : قال سمعت أمي رقيقة (١) بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف تحدث ، وكانت لدة عبدالمطلب ، قالت : تتابعت على قريش سنون ذهبن بالأموال ، وأشفين على الأنفس . قالت : فسمعت قائلاً يقول في المنام : يا معشر قريش ، إن هذا النبي المبعوث منكم ، وهذا إبان خروجه ، وبه يأتيكم الحيا والخصب ، فانظروا رجلاً من أوسطكم نسباً طوالاً عظاماً أبيض مقرون الحاجبين ، أهدب الأشفار ، جعداً سهل الخدين ، رقيق العرنين فليخرج هو وجميع ولده ، وليخرج منكم من كل بطن رجل فتطهروا وتطيبوا ثم استلموا الركن ، ثم أرقوا إلى رأس أبي قبيس ، ثم يتقدم هذا الرجل فيستسقي وتؤمنون فإنكم ستسقون ، فأصبحت فقصت رؤياها عليهم ، فنظروا فوجدوا هذه الصفة ، صفة عبدالمطلب ، فاجتمعوا إليه ، وخرج من كل بطن منهم رجل ، ففعلوا ما أمرتهم به ثم علوا على أبي قبيس ومعهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام ، فتقدم عبدالمطلب وقال :لا هم هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك وإماؤك وبنات إمائك ، وقد نزل بنا ما ترى ، وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف وأشفت على الأنفس فأذهب عنا الجدب ، وائتنا بالحيا والخصب ، فما برحوا حتى سالت الأودية ، وبرسول الله صلى الله عليه وسلم سقوا ، فقالت رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف .

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا	وقد فقدنا الحيا واجلوذ المطر
فجاد بالماء جوني له سبل	دان فعاشت به الأنعام والشجر
مناً من الله بالميمون طائره	وخير من بشرت يوماً به مضر
مبارك الأمر يستسقى الغمام به	ما في الأنام له عدل ولا خطر

١- بضم الراء وسكون الياء وقافين مفتوحتين .

ذكر وفاة عبدالمطلب
وكفالة أبى طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم إن عبدالمطلب بن هاشم هلك عن سن عالية ، مختلف فى حقيقتها ، قال أبو الربيع ابن سالم : أدناها فيما انتهى إلى ووقفت عليه ، خمس وتسعون سنة ، ذكره الزبير ، وأعلاها فيما ذكره الزبير أيضاً عن نوفل بن عمارة قال : كان عبيد بن الأبرص ترب [1] عبدالمطلب وبلغ عبيد مائة وعشرين سنة ، وبقى عبدالمطلب بعده عشرين سنة [2] .

وكانت وفاته سنة تسع من عام الفيل ، والنبى صلى الله عليه وسلم يومئذ ثمان سنين ، وقيل : بل توفى عبدالمطلب وهو ابن ثلاث سنين حكاه أبو عمر .

وبقى رسول الله بعد مهلك جده عبدالمطلب مع عمه أبى طالب ، وكان عبدالمطلب يوصيه به - فيما يزعمون - وذلك أن عبدالله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا طالب أخوان لأب وأم فكان أبو طالب هو الذى يلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده ، فكان إليه ومعه .

وذكر الواقدى : أن أبا طالب كان مقلاً من المال ، وكانت له قطعة من الإبل تكون بعرنة فيغدوا إليها فيكون فيها ، ويؤتى بلبنها إذا كان حاضراً بمكة فكان عيال أبى طالب إذا أكلوا جميعاً وفرادى لم يشبعوا ، وإذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعوا فكان أبو طالب إذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم يقول : كما أنتم حتى يأتى ابنى ، فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فيفضلون من طعامهم ، وإن كان لبناً شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم ، ثم تناول القعب فيشربون منه فيروون من عند آخرهم من القعب الواحد ، وان كان أحدهم ليشرب قعباً وحده فيقول أبو طالب : إنك لمبارك .

وكان الصبيان يصبحون شعثاً رمصاً [3] ، ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهيناً كحيلاً . وقالت أم أيمن وكانت تحضنه : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم شكا جوعاً قط ولا عطشا ، وكان يغدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغداء فيقول : أنا شبعان .

١- أى فى سنه

٢- يقول ابن إسحق ١/ ١٨٠ هلك عبدالمطلب بن هاشم وذلك بعد الفيل بثمانى سنين . وقال ابن سعد فى الطبقات الكبرى ١/ ٧٥ مات عبدالمطلب قبل الفجار ، وهو ابن عشرين ومائة سنة . وذكر الطبرى ١/ ٢٧٧ أن عبدالمطلب توفى بعد الفيل بثمانى سنوات .

٣- الرمص : وسخ يجتمع فى موق العين .

ذكر سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه أبى طالب إلى الشام وخبره مع بحيرا الراهب وذكر نبذة من حفظ الله تعالى لرسوله عليه السلام قبل النبوة

قال أبو عمر : سنة ثلاث عشرة من الفيل ، وشهد بعد ذلك بثمان سنين يوم الفجار سنة إحدى وعشرين . وقال أبو الحسن الماوردى : خرج به عليه السلام عمه أبو طالب إلى الشام فى تجارة له ، وهو ابن تسع سنين ، وذكر ابن سعد بإسناد له من داود ابن الحصين أنه كان ابن اثنتى عشرة سنة .

قال ابن إسحق : ثم إن أبا طالب خرج فى ركب إلى الشام فلما تهيأ للرحيل صب [1] به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يزعمون - فرق له أبو طالب وقال : والله لأخرجن به معى ، ولا يفارقنى ولا أفارقه أبداً أو كما قال . فخرج به معه فلما نزل الركب من بصرى [2] من أرض الشام ، وبها راهب يقال له بحيرا فى صومعة له ، وكان إليه علم أهل النصرانية ، ولم يزل فى تلك الصومعة منذ قط [3] راهب إليه يصير علمهم عن كتاب فيها ، فيما يزعمون ، يتوارثونه كابراً عن كابر فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ، ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا به قريباً من صومعته ، صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك فيما يزعمون - عن شىء رآه و هو فى صومعته ، يزعمون ، أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ، ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريباً منه فنظر إلى الغمامة حتى أظلت الشجرة ، وتهصرت [4] أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته ، وقد أمر بذلك الطعام فصنع ، ثم أرسل إليهم إنى قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش وأحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم ، وعبيدكم وحركم ، فقال له رجل منهم : والله يا بحيرا إن بك اليوم لشأناً ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيراً ، ما شأنك اليوم ؟ قال له بحير : صدقت ، قد كان ماتقول . ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلوا منه كلكم . فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم - لحداثة سنه - فى رحال القوم ، فلما نزل بحيرا فى القوم لم ير الصفة التى

١- صب به : أى مال إليه . وفى الطبرى : وضب به : تعلق .

٢- قال ياقوت : «بصرى فى موضعين بالضم والقصر : أحدهما بالشام من أعمال دمشق ، وهى قصبة كورة حوران ، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً ذكرها كثيرفى أشعارهم وأغلب الظن أن هذا الموضع هو المقصود فى كلام كتبة السيرة

٣- قط هنا : اسم بمعنى الدهر

٤- تهصرت : مالت وتدلت

يعرف ويجد عنده فقال : يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى ، قالوا له : يا بحيرا ما تخلف أحد ينبغى له أن يأتيك إلاغلام وهو أحدث القوم سناً فتخلف فى رحالهم قال : لا تفعلوا أدعوه فليحضر هذا الطعام معكم ، فقال رجل من قريش : واللات والعزى إن كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبدالله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم قام إليه فاحتضنه(١)، وأجلسه مع القوم ، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده ، قد كان يجدها عنده من صفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم ، وتفرقوا قام إليه بحيرا فقال له : يا غلام ، أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ، وإنما قال له بحيراذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما ، فزعموا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تسألنى باللات والعزى شيئا ، فوالله ما بغضت شيئا قط بغضهما ، فقال له : بحيرا فبالله ، إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ، فقال له : سلنى عما بدا لك ، فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره : ويخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ، ثم نظر إلى ظهره ، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده ، فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب فقال : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابنى ، قال : ما هو بابنك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً قال : فإنه ابن أخى قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به ، قال : صدقت فارجع بابن أخيك إلى بلده ، وأحذر عليه يهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغن له شراً فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلاده ، فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام . فزعموا أن نفراً من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما رأى بحيرا فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه أبى طالب ، فأرادوه فردهم عنه بحيرا فى ذلك ، وذكرهم الله تعالى وما يجدون فى الكتاب من ذكره وصفاته ، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا لم يخلصوا إليه حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال ، فتركوه وانصرفوا عنه .

قوله : فصب به رسول الله صلى الله عليه وسلم : الصبابة : رقة الشوق وصببت أصب . وعند بعض الرواة فضب به أى لزمه قاله السهيلى .

وروينا من طريق الترمذى ثنا الفضل بن سهل أبو العباس الأعرج البغوى ثنا عبدالرحمن ابن غزوان أبو نوح قال : أنا يونس بن أبى إسحق ، عن أبى بكر بن أبى موسى ، عن أبيه قال : خرج أبو طالب إلى الشام ، وخرج معه النبى صلى الله عليه وسلم فى أشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب ، وكانوا

١- «احتضنه أى : أخذه مع حضنه أى : جنبه.

قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت ، قال : فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين ، يبعثه الله رحمة للعالمين . فقال الأشياخ من قريش : ما علمك ؟ فقال : إنكم حين أشرفتم على العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا ولا يسجدان إلا لنبى ، وإنى لأعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ، ثم رجع فصنع لهم طعاماً ، فلما آتاهم به وكان هو فى رعيه الإبل قالوا «١» : أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غمامة تظله ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فىء الشجرة فلما جلس مال فىء الشجرة عليه فقال : انظروا إلى فىء الشجرة مال عليه قال : فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه ، فالتفت فإذا سبعة «٢» قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا أن هذا النبى خارج فى هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس ، وإنا قد أخبرنا خبره بعثنا إلى طريقك هذا فقال : هل خلفكم أحد هو خير منكم ؟ قالوا : إنما أخبرنا خبره بعثنا لطريقك هذا ، قال : أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه ، هل يستطيع أحد من الناس رده ؟ قالوا لا ، قال : فبايعوه ، وأقاموا معه ، قال : أنشدكم بالله ، أيكم وليه ؟ قالوا : أبو طالب . فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر وبلالا ، وزوده الراهب من الكعك والزيت .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، قلت : ليس فى إسناد هذا الحديث إلا من خرج له فى الصحيح ، وعبدالرحمن بن غزوان أبو نوح لقبه قراد إنفرد به البخارى ، ويونس بن أبى إسحق انفرد به مسلم ، ومع ذلك ففى متنه نكارة وهى إرسال أبى بكر مع النبى صلى الله عليه وسلم بلالا ، وكيف وأبو بكر حينئذ لم يبلغ العشر سنين ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم أسن من أبى بكر بأزيد من عامين ، وكانت للنبى صلى الله عليه وسلم تسعة أعوام على ما قاله أبو جعفر محمد ابن جرير الطبرى وغيره ، أو إثنا عشر على ما قاله آخرون ، وأيضاً فإن بلالا لم ينتقل لأبى بكر إلا بعد ذلك بأكثر من ثلاثين عاماً ، فإنه كان لبنى خلف الجمحيين ، وعندما عذب فى الله على الإسلام اشتراه أبو بكر رضى الله عنه رحمة به ، واستنقاذاً له من أيديهم ، وخبره بذلك مشهور .

وقوله : فبايعوه ، إن كان المراد فبايعوا بحيرا على مسالمة النبى صلى الله عليه وسلم فقريب ، وان كان غير ذلك فلا أدرى ما هو ؟

رجع إلى خبر ابن إسحق ، وكان صلى الله عليه وسلم يحدث عما كان الله يحفظه به فى صغره أنه قال : لقد رأيتنى فى غلمان من قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به

١- فى الطبرى ١/ ٢٧٨ «قال»   ٢- فى الطبرى « بسبعة نفر »

الغلمان ، كلنا قد تعرى وأخذ إزاراً وجعله على رقبته يحمل عليها الحجارة ، فإنى لأقبل معهم كذلك وأدبر ، إذ لكمنى «١» لاكم ما أراه لكمة وجيعة ، ثم قال : شد عليك إزارك ، قال : فأخذته فشددته على ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وإزارى على من بين أصحابى » .

قال السهيلى : وهذه القصة إنما وردت فى الحديث الصحيح فى بنيان الكعبة ، كان صلى الله عليه وسلم يحمل الحجارة وإزاره مشدود عليه ، فقال له العباس : يابن أخى ، لو جعلت إزارك على عاتقك ، ففعل فسقط مغشياً عليه ، ثم قال : إزارى إزارى فشد عليه إزاره ، وقام يحمل الحجارة .

وفى حديث آخر أنه لما سقط ، ضمه العباس إلى نفسه وسأله عن شأنه ، فأخبره أنه نودى من السماء ، أن أشدد عليك إزارك يا محمد قال ، وإنه لأول ما نودى به .

قال : وحديث أبى إسحق إن صح محمول على أن هذا الأمر كان مرتين فى حال صغره ، وعند بنيان الكعبة ، وذكر البخارى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما هممت بسوء من أمر الجاهلية إلا مرتين .

وقد قرأت على أبى عبدالله بن أبى الفتح الصورى بمرج دمشق : أخبركم أبو القاسم عبدالصمد بن محمد بن الحرستانى سماعاً عليه قال : أنا أبو محمد طاهر بن سهل ابن بشر بن أحمد الإسفراينى قال أنا : أبو الحسين محمد بن مكى بن عثمان الأزدى قال : أنا القاضى أبو الحسن على بن محمد بن إسحق الحلبى ثنا أبو عبد الله الحسين ابن إسماعيل المحاملى ببغداد ثنا أبو الاشعث أحمد بن المقدام ثنا وهب بن جرير ثنا أبى ، عن محمد بن إسحق وبه قال وحدثنى محمد بن عبدالله بن قيس بن مخرمة عن الحسن بن محمد بن على ، عن أبيه ، عن جده على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما هممت بقبيح مما يهم به أهل الجاهلية إلا مرتين من الدهر ، كلتاهما عصمنى الله عز وجل منهما ، قلت ليلة لفتى كان معى من قريش ، بأعلى مكة فى غنم لأهله يرعاها : أبصر لى غنمى حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان ، قال : نعم ، فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء ، وصوت دفوف ومزامير ، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : فلان تزوج فلانة ، لرجل من قريش تزوج امرأة من قريش ، فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتنى عينى فنمت ، فما أيقظنى إلامس الشمس ، فرجعت إلى صاحبى فقال : ما فعلت ؟ فأخبرته ، ثم فعلت الليلة الأخرى ، مثل ذلك فسمعت مثل ذلك ، فقيل لى مثل ما قيل لى فسمعت كما سمعت حتى غلبتنى عينى ، فما أيقظنى إلامس الشمس ، ثم رجعت إلى صاحبى ، فقال لى

١- اذ لكمنى : اى وكزنى

ما فعلت ؟ فقلت : ما فعلت شيئاً ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله ما هممت بغيرهما بسوء مما يعمله أهل الجاهلية حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته .

وذكر الواقدى عن أم أيمن قالت : كانت بوانة صنماً تحضره قريش ، وتعظمه ، وتنسك له ، وتحلق عنده ، وتعكف عليه يوماً إلى الليل فى كل سنة ، فكان أبو طالب يحضره مع قومه ، ويكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر ذلك العيد معهم فيأبى ذلك قالت : حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ، ورأيت عماته غضبن يومئذ أشد الغضب وجعلن يقلن : إنا لنخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا ويقلن : ما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ، ولا تكثر لهم جمعاً ، فلم يزالوا به حتى ذهب ، فغاب عنهم ما شاء الله ، ثم رجع مرعوباً فزعاً ، فقلنا : ما دهاك ؟ قال : إنى أخشى أن يكون بى لم «١» فقلنا : ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان ، وكان فيك من خصال الخير ما كان ، فما الذى رأيت ؟ قال : إنى كلما دنوت من صنم منها ، تمثل لى رجل أبيض طويل يصيح بى : وراءك يا محمد لا تمسه . قالت : فما عاد إلى عيد لهم حتى تنبأ صلوات الله عليه وسلامه .

ذكر رعيته صلى الله عليه وسلم الغنم

روينا عن محمد بن سعد قال : أنا سويد بن سعيد ، وأحمد بن محمد الأزرقى ، قالا ثنا عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص القرشى ، عن جده سعيد يعنى ابن عمرو ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بعث الله نبياً إلا راعى غنم . قال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط » .

وروينا عن ابن سعد قال : أنا أحمد بن عبدالله بن يونس ثنا زهير ثنا أبو إسحق قال : كان بين أصحاب الإبل ، وأصحاب الغنم تنازع فاستطال أصحاب الإبل ، قال : فبلغنا والله أعلم ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (بعث موسى وهو راعى غنم ، وبعث داود وهو راعى غنم ، وبعثت وأنا راعى غنم أهلى بأجياد «٢») .

١- اللمم : طرف من الجنون

٢- قال السهيلى بعد ذكر صحاح الأحاديث التى ثبت فيها أنه صلى الله عليه وسلم رعى الغنم : (وإنما جعل الله هذا فى الأنبياء تقدمة لهم ، ليكونوا دعاة الحق ، ولتكون أممهم رعايا لهم) .

شهوده صلى الله عليه وسلم يوم الفجار ثم حلف الفضول

قال السهيلى : والفجار – بكسر الفاء – بمعنى المفاجرة ، كالقتال والمقاتلة ، وذلك أنه كان قتالاً فى الشهر الحرام ففجروا فيه جميعاً ، فسمى الفجار ، وكانت للعرب ، فجارات أربعة ذكرها المسعودى ، آخرها فجار البراض ، وهو هذا وكان لكنانة ولقيس فيه أربعة أيام مذكورة : يوم شمطة ، ويوم العبلاء ، وهما عند عكاظ ، ويوم الشرب وهو أعظمها يوما فيه قيد حرب بن أمية ، وسفيان وأبو سفيان ابنا أمية أنفسهم كى لا يفروا فسموا العنابس [١] ، ويوم الحريرة عند نخلة ، ويوم الشرب أنهزمت قيس إلا بنى نصر منهم فإنهم ثبتوا .

وكان انقضاء أمر الفجار على يدى عتبة بن ربيعة ، وذلك أن هوازن تواعدوا مع كنانة للعام المقبل بعكاظ ، فجاءوا للوعد ، وكان حرب بن أمية رئيس قريش وكنانة ، وكان عتبة ابن ربيعة يتيماً فى حجره فضن به حرب ، وأشفق من خروجه معه ، فخرج عتبة بغير إذنه ، فلم يشعروا إلا وهو على بعيره بين الصفين ينادى : يا معشر مضر ، علام تفانون ؟ فقالت له هوازن : ما تدعو إليه ؟ قال : الصلح على أن ندفع لكم دية قتلاكم و تعفوا عن دمائنا . قالوا : وكيف ؟ قال : ندفع لكم رهناً منا ، قالوا : ومن لنا بهذا ؟ قال : أنا ، قالوا : ومن أنت ؟ قال : أنا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، فرضيت به كنانة ورضوا ، ودفعوا إلى هوازن أربعين رجلاً فيهم حكيم بن حزام ، فلما رأت بنو عامر ابن صعصعة الرهن فى أيديهم ، عفوا عن الدماء وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار وزعم أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقاتل فيها . وروينا عن ابن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم شهدها وله عشرون سنة وقال : قال عليه السلام : « قد حضرته مع عمومتى ورميت فيه بأسهم ، وما أحب أنى لم أكن فعلت » .

وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حلف الفضول منصرف قريش من الفجار ، قال محمد بن عمر : وكان الفجار فى شوال ، وهذا الحلف فى ذى القعدة ، وكان أشرف حلف كان قط ، وأول من دعا إليه الزبير بن عبدالمطلب ، فاجتمعت بنوهاشم ، وزهرة ، وبنو أسد بن عبد العزى فى دار ابن جدعان فصنع لهم طعاماً ، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله لنكونن مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه مابل بحر صوفة .

وقال عليه السلام : « ما أحب أن لى بحلف حضرته فى دار ابن جدعان حمر النعم ، وأنى أغدر به بعينه » .

قال محمد بن عمر : ولا نعلم أحداً سبق بنى هاشم بهذا الحلف .

١– العنابس : جمع عنبس وهو الأسد .

ذكر سفره عليه السلام إلى الشام مرة ثانية وتزويجه خديجة عليها السلام بعد ذلك

قال ابن إسحق : ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة ، تزوج خديجة بنت خويلد ، فيما ذكره غير واحد من أهل العلم . وقال ابن عبد البر : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام ، فى تجارة لخديجة سنة خمس وعشرين ، وتزوج خديجة بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يوماً ، فى عقب صفر سنة ست وعشرين ، وذلك بعد خمس وعشرين سنة وشهرين وعشرة أيام من يوم الفيل ، وقال الزهرى : كانت سن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم تزوج خديجة إحدى وعشرين سنة . قال أبو عمر ، و. قال أبو بكر بن عثمان وغيره : كان يومئذ ابن ثلاثين سنة ، قالوا : وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة .

وروينا عن أبى بشر الدولابى قال : حدثنى ابن البرقى أبو بكر ، عن ابن هشام ، عن غير واحد ، عن أبى عمرو بن العلاء قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة .

وروينا عن أبى الربيع بن سالم قال : وذكر الواقدى بإسناد له إلى نفيسة بنت منية أخت يعلى بن منية قال ، وقد رويناه أيضاً من طريق أبى على بن السكن ، وحديث أحدهما داخل فى حديث الآخر مع تقارب اللفظ ، وربما زاد أحدهما الشىء اليسير على الآخر ، وكلاهما ينمى إلى نفيسة قالت : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة ، وليس له بمكة اسم إلا الأمين ، لما تكاملت فيه من خصال الخير . قال له أبو طالب : يابن أخى أنا رجل لا مال لى . وقد اشتد الزمان علينا ، وألحت علينا سنون منكرة ، وليس لنا مادة ولا تجارة ، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام ، وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك فى عيرانها فيتجرون لها فى مالها ويصيبون منافع ، فلو جئتها فوضعت نفسك عليها لأسرعت إليك وفضلتك على غيرك ، لما يبلغها عنك من طهارتك ، وإن كنت لأكره أن تأتى الشام وأخاف عليك من يهود ، ولكن لا نجد من ذلك بداً .

وكانت خديجة بنت خويلد إمرأة تاجرة ، ذات شرف ومال كثير ، وتجارة تبعث بها إلى الشام ، فتكون عيرها كعامة عير قريش وكانت تستأجر الرجال ، وتدفع إليهم المال مضاربة ، وكانت قريش قوماً تجاراً ومن لم يكن تاجراً من قريش فليس عندهم بشىء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلعلها ترسل إلىّ فى ذلك ، فقال أبو طالب : إنى أخاف أن تولى غيرك فتطلب أمراً مدبراً .

وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له ، وقبل ذلك ما بلغها من صدق حديثه ، وعظم

أمانته ، وكرم أخلاقه ، فقالت : ما علمت أنه يريد هذا ، ثم أرسلت إليه فقالت : إنه دعانى إلى البعثة إليك ما بلغنى من صدق حديثك ، وعظم أمانتك ، وكرم أخلاقك ، وأنا أعطيك ضعف ما أعطى رجلاً من قومك ، ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقى أبا طالب فذكر له ذلك فقال : إن هذا لرزق ساقه الله إليك .

فخرج مع غلامها ميسرة حتى قدم الشام ، وجعل عمومته يوصون به أهل العير حتى قدم الشام ، فنزلا فى سوق بصرى فى ظل شجرة قريباً من صومعة راهب يقال له : نسطورا فاطلع الراهب إلى ميسرة ، وكان يعرفه فقال : يا ميسرة من هذا الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟ فقال : ميسرة : رجل من قريش من أهل الحرم . فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبى[1] ، ثم قال له : فى عينيه حمرة ؟ قال ميسرة : نعم لا تفارقه . قال الراهب : هو هو ، وهو آخر الأنبياء ، وياليت أنى أدركه حين يؤمر بالخروج ، فوعى ذلك ميسرة ، ثم حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سوق بصرى فباع سلعته التى خرج بها واشترى ، فكان بينه وبين رجل اختلاف فى سلعة فقال الرجل : أحلف باللات والعزى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حلفت بهما قط فقال الرجل : القول قولك ، ثم قال لميسرة وخلابه : يا ميسرة ، هذا نبى والذى نفسى بيده ، وإنه لهو تجده أحبارنا منعوتاً فى كتبهم . فوعى ذلك ميسرة .

ثم انصرف أهل العير جميعاً ، وكان ميسرة يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا كانت الهاجرة واشتد الحر ، يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو على بعيره .

قال : وكان الله عز وجل قد ألقى على رسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة من ميسرة ، فكان كأنه عبد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رجعوا وكانوا يمرون الظهران[2] ، تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل مكة فى ساعة الظهيرة ، وخديجة فى علية لها معها نساء فيهن نفيسة بنت منية ، فرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل وهو راكب على بعيره ، وملكان يظلان عليه ، فأرته نساءها فعجبن لذلك ، ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخبرها بما ربحوا ، فسرت بذلك ، فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت ، فقال لها ميسرة : قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام ، وأخبرها بقول الراهب نسطورا ، وقول الآخر الذى خالفه فى البيع .

قالوا : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجارتها ، فربحت ضعف ما كانت تربح ، وأضعفت له ما سمت له ، فلما استقر عندها هذا ، وكانت امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير ، وهى يومئذ أوسط نساء قريش نسباً ، وأعظمهن

١- قال السهيلى : يريد ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبى ، لبعد العهد بالأنبياء قبل ذلك .
٢- هو واد بين مكة وعسفان .

شرفاً ، وأكثرهن مالاً ، وكل قومها كان حريصاً على نكاحها لو يقدر عليه ، فعرضت عليه نفسها ، فقالت له – فيما يزعمون – يابن عم إنى قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك «١» فى قومك ، وأمانتك و حسن خلقك وصدق حديثك ، فلما قالت له ذلك ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه حتى دخل على خويلد بن أسد «٢» فخطبها إليه فتزوجها ، فقال أبو الربيع : هكذا ذكر ابن إسحق ، وذكر الواقدى وغيره من حديث نفيسة أن خديجة أرسلتها إليه دسيساً فدعته إلى تزويجها .

قلت : وقد روينا ذلك عن ابن سعد قال : أنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمى ثنا موسى ابن شيبة ، عن عميرة بنت عبدالله بن كعب بن مالك ، عن أم سعد بنت سعد بن الربيع عن نفيسة بنت منية قالت : كانت خديجة بنت خويلد امرأة حازمة جلدة شريفة ، مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير ، وهى يومئذ أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهم شرفاً ، وأكثرهم مالاً ، وكل قومها كان حريصاً على نكاحها لوقدر على ذلك ، قد طلبوها وبذلوا لها الأموال ، فأرسلتنى دسيساً إلى محمد بعد أن رجع من عيرها من الشام ، فقلت : يا محمد : ما يمنعك أن تتزوج ؟ قال : ما بيدى ما أتزوج به ، قلت : فإن كفيت ذلك ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب ؟ قال : فمن هى ؟ قلت : خديجة .

قال : فكيف لى بذلك ؟ قالت : قلت : علىّ . قال : فأنا أفعل ، فذهبت فأخبرتها ، فأرسلت إليه أن أئت لساعة كذا وكذا ، فأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فحضر ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمومته ، فزوجه أحدهم ، فقال عمرو ابن أسد : هذا الفحل لا يقدع أنفه «٣» وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وهى يومئذ بنت أربعين سنة ، ولدت قبل الفيل بخمس عشرة سنة وذكر ابن إسحق : أن أباها خويلد بن أسد هو الذى أنكحها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك وجدته عن الزهرى ، وفيه وكان خويلد أبوها سكران من الخمر ، فلما كلم فى ذلك أنكحها ، فألقت عليه خديجة حلة ، وضمخته بخلوق «٤» فلما صحا من سكره ، قال : ما هذه الحلة والطيب ؟ فقيل له : أنكحت محمداً خديجة ، وقد ابتنى بها ، فأنكر ذلك ثم رضيه وأمضاه .

١– السطة : مثل الوسط : وهو من أوصاف المدح والتفضيل .

٢– قال السهيلى : (وذكر غير ابن إسحق أن خويلداً كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنكح خديجة رضى الله عنها هو عمها عمرو بن أسد ، قاله المبرد وطائفة معه و قال أيضاً : إن أبا طالب هو الذى نهض مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى خطب خطبة النكاح .

٣– أى أنه كفء كريم لايرد

٤– أى طيبته بطيب

وقال محمد بن عمر : التثبت عندنا المحفوظ من أهل العلم ، أن أباها خويلد بن أسد مات قبل الفجار ، وأن عمها عمرو بن أسد زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأيت ذلك عن غير الواقدى . وقد قيل : إن أخاها عمرو بن خويلد هو الذى أنكحها منه والله أعلم .

وروينا عن أبى بشر الدولابى ثنا يونس بن عبد الأعلى ، عن عبدالله بن وهب ، قال : أخبرنى يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب الزهرى قال : فلما استوى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ أشده ، وليس له كبير مال ، استأجرته خديجة بنت خويلد إلى سوق حباشة وهو سوق بتهامة ، واستأجرت معه رجلاً آخر من قريش ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عنها : ما رأيت من صاحبة لأجير خيراً من خديجة ، ما كنا نرجع أنا وصاحبى إلا وجدنا عندها تحفة من طعام تخبؤه لنا .

وروينا عن أبى بشر محمد بن أحمد بن حماد قال : وحدثنى أبو أسامة الحلبى ثنا حجاج ابن أبى منيع ثنا جدى ، عن الزهرى قال : تزوجت خديجة بنت خويلد بن أسد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين : الأول منهما عتيق بن عايذ بن عبدالله ابن عمر بن مخزوم فولدت له جارية ، وهى أم محمد بن صيفى المخزومى ، ثم خلف على خديجة بعد عتيق ابن عايذ ، أبو هالة التميمى وهو من بنى أسيد بن عمرو ، فولدت له هند بن هند . كذا وقع فى هذه الرواية عتيق بن عايذ ، والصواب عابد – بالباء – قاله الزبير ، وسمى الزبير الجارية التى ولدتها منه هنداً واسم أبى هالة هند بن زرارة ابن النباش بن غذى بن خبيب بن صرد بن سلامة بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم ، فيما رويناه عن الدولابى : حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام العجلى ثنا زهير بن العلاء ثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة بن دعامة فذكره .

قال ابن إسحق : وكانت خديجة قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى ، وكان ابن عمها ، وكان نصرانياً قد تتبع الكتب ، وعلم من علم الناس – ما ذكره لها غلامها ميسرة من قول الراهب ، وما كان يرى منه إذا كان الملكان يظلانه فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة ، إن محمداً لنبى هذه الأمة ، قد عرفت أنه كائن بهذه الأمة نبى ينتظر هذا زمانه ، أو كما قال ، فجعل ورقة يستبطىء الأمر ، وله فى ذلك أشعار منها ما رواه يونس بن بكير عن ابن إسحق :

أتبكر أم أنت العشية رائح ... فى الصدر من إضمارك الحزن قادح
لفرقة قوم لا أحب فراقهم ... كأنك عنهم بعد يومين نازح
وأخبار صدق خبرت عن محمد ... يخبرها عنه إذا غاب ناصح
بأن ابن عبدالله أحمد مرسل ... إلى كل من ضمت عليه الأباطح
وظنى به أن سوف يبعث صادقاً ... كما أرسل العبدان نوح وصالح

فى أبيات ذكرها .

ذكر بنيان قريش الكعبة شرفها الله تعالى

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وثلاثين سنة ، إجتمعت قريش لبنيان الكعبة ، قال موسى بن عقبة : و إنما حمل قريشاً على بنائها أن السيل كان أتى من فوق الردم الذى صنعوا فأخربه فخافوا أن يدخلها الماء ، وكان رجل يقال له مليح سرق طيب الكعبة ، فأرادوا أن يشيدوا بنيانها ، وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخل إلا من شاءوا ، وأعدوا لذلك نفقة وعمالا ، ثم عمدوا إليها ليهدموها على شفق وحذر من أن يمنعهم الله الذى أرادوا .

قال ابن إسحق : ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنيانها ، كل قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فإختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوروا «١» وتخالفوا ، وأعدوا للقتال ، فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً ، ثم تعاقدوا هم وبنو عدى على الموت ، وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة فسموا لعقة الدم ، فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً ، ثم إنهم إجتمعوا فى المسجد فتشاوروا وتناصفوا ، فزعم بعض أهل الرواية ، أن أبا أمية ابن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، وكان يومئذ أسن قريش كلها ، قال : يا معشر قريش إجعلوا بينكم - فيما تختلفون فيه - أول من يدخل من باب هذا المسجد «٢» يقضى بينكم فيه ، ففعلوا ، فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد ، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال صلى الله عليه وسلم : « هلم إلى ثوباً » فأتى به ، فأخذ الركن ، فوضعه فيه بيده ، ثم قال : « لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعاً » ففعلوا ، حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم ، ثم بنى عليه .

وحكى السهيلى : أنها كانت تسع أذرع من عهد إسماعيل ، يعنى إرتفاعها ، ولم يكن لها سقف فلما بنتها قريش قبل الإسلام ، زادوا فيها تسع أذرع فكانت ثمان عشرة ذراعاً ، ورفعوا بابها عن الأرض فكان لا يصعد إليها إلا فى درج أو سلم .

وأول من عمل لها غلقاً تبع ، ثم لما بناها ابن الزبير ، زاد فيها تسع أذرع فكانت سبعاً وعشرين ذراعاً ، وعلى هذا هى إلى الآن .

١- تحاوروا : أى تجادلوا وكثر الكلام والحوار بينهم .

٢- هو باب بنى شيبة ، كان يقال له فى الجاهلية باب بنى عبدشمس، و يقال له الآن باب السلام ، وفى رواية أول من يدخل باب الصفا ، وروى أن المشير على قريش مهشم بن المغيرة ويكنى أبا حذيفة .

وكان بناؤها فى الدهر خمس مرات ، الأولى حين بناها شيث بن آدم عليهما السلام ، والثانية حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى ، والثالثة حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام ، والرابعة حين احترقت فى عهد ابن الزبير بشرارة طارت من أبى قبيس فوقعت فى أستارها فإحترقت ، وقيل : إن امرأة أرادت أن تجمرها فطارت شرارة من الجمرة فإحترقت فشاور ابن الزبير فى هدمها من حضر فهابوا هدمها ، وقالوا : نرى أن تصلح ما وهى ولا تهدم . فقال : لو أن بيت أحدكم إحترق لم يرض له إلا باكمل إصلاح ، ولا يكمل إصلاحها إلا بهدمها ، فهدمها ، حتى انتهى إلى قواعد إبراهيم وأمرهم أن يزيدوا فى الحفر فحركوا حجراً منها فرأوا تحته ناراً وهولاً أفزعهم ، فأمرهم أن يقروا القواعد ، وأن يبنوا من حيث انتهى الحفر .

وفى الخبر أنه سترها حين وصل إلى القواعد فطاف الناس بتلك الأستار ، فلم تخل من طائف حتى ذكر أن يوم قتل ابن الزبير «١» أشتدت الحرب ، وأشتغل الناس ، فلم يرطائف يطوف بالكعبة : إلا جمل يطوف بها ، فلما استتم بنيانها ألصق بابها بالأرض ، وعمل لها خلفاً أى باباً آخر من ورائها وأدخل الحجر فيها ، وذلك لحديث حدثته به خالته عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ألم ترى قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد إبراهيم ، حين عجزت بهم النفقة » ثم قال عليه السلام « لولا حدثان قومك بالجاهلية لهدمتها وجعلت لها خلفاً ، وألصقت بابها بالأرض ولأدخلت الحجر فيها » أو كما قال عليه السلام قال ابن الزبير : فليس بنا اليوم عجز عن النفقة فبناها على مقتضى حديث عائشة .

فلما قام عبدالملك بن مروان قال : لسنا من تخليط أبى خبيب «٢» بشىء فهدمها ، وبناها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من بنائها جاءه الحارث بن أبى ربيعة المعروف بالقباع ، وهو أخو عمر بن أبى ربيعة الشاعر ومعه رجل

١- هو عبدالله بن الزبير بن العوام ، أول مولود ولد فى الإسلام بعد الهجرة للمهاجرين ، فحنكه الرسول الكريم بتمرة لاكها فى فيه ، ثم حنكه بها ، فكان ريق الرسول أول شىء يدخل فى جوفه ، وسماه عبدالله ، كان صواماً قواماً ، عظيم الشجاعة غزا ابن الزبير افريقية مع عبدالله بن سعد بن أبى سرح امتنع عن بيعة يزيد بن معاوية ، فارسل يزيد جيشاً حاصر مكة فى ٢٦ محرم سنة ٦٤ هـ وفى هذا الحصار احترقت الكعبة ، وبويع ابن الزبير بالخلافة بعد موت يزيد وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق ، وخراسان ، وجدد عمارة الكعبة ، قتل سنة ٧٢ هـ « ابن الأثير : أسد الغابة ٣/٢٤٢ »

٢- أبو خبيب – بالخاء المعجمة المضمومة – كنية عبدالله بن الزبير ، وهو اسم أكبر أولاده .

آخر فحدثاه ، عن عائشة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . بالحديث المتقدم ، فندم وجعل ينكث فى الأرض بمخصرة «١» فى يده ويقول : وددت أنى تركت أبا خبيب وما تحمل من ذلك . فهذه المرة الخامسة .

فلما قام أبو جعفر المنصور أراد أن يبنيها على ما بناها ابن الزبير ، وشاور فى ذلك فقال له مالك بن أنس : أنشدك الله ، يا أمير المؤمنين ، وأن تجعل هذا البيت ملعبة للملوك بعدك ، لا يشاء أحد منهم أن يغيره إلا غيره فتذهب هيبته من القلوب ، فصرفه عن رأيه فيه .

وقد قيل : إنه بنى فى أيام جرهم مرة أو مرتين لأن السيل كان قد صدع حائطه ، ولم يكن ذلك بنياناً ، وإنما كان إصلاحاً لما وهى منه ، وجداراً يبنى بينه وبين السيل بناه عامر الجادر .

وكانت الكعبة قبل أن يبنيها شيث عليه السلام ، خيمة من يا قوتة حمراء ، يطوف بها آدم ويأنس بها ، لأنها أنزلت إليه من الجنة ، وكان قد حج إلى موضعها من الهند .

وقد قيل أيضاً : إن آدم هو أول من بناها ، ذكره ابن إسحق فى غير رواية البكائى .

وفى الخبر أن موضعها كان غثاءة على الماء ، قبل أن يخلق الله السموات والأرض ، فلما بدأ الله يخلق الأشياء خلق التربة قبل السماء فلما خلق السماء ، وقضاهن سبع سموات ، دحى الأرض أى بسطها ، وذلك قوله سبحانه وتعالى : (والأرض بعد ذلك دحاها «٢») وإنما دحاها من تحت مكة ولذلك سميت أم القرى .

وفى التفسير أن الله سبحانه حين قال للسموات والأرض « ائتيا طوعاً أو كرها قالتا آتينا طائعين » لم يجبه بهذه المقالة إلا أرض الحرم فلذلك حرمها .

وفى الحديث : « أن الله حرم مكة قبل أن يخلق السموات والأرض » الحديث .

١- المخصرة : بكسر الميم كالسوط ، وكل ما اختصر الإنسان بيده فامسكه من عصا ونحوها .

٢- سورة النازعات : الآية ٣٠ .

ذكر ما حفظ من الأحبار والرهبان والكهان وعبدة الأصنام من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى ما تقدم

قال ابن إسحق : وكانت الأحبار من يهود ، والرهبان من النصارى ، والكهان من العرب ، قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب من زمانه .

أما الأحبار من يهود ، والرهبان من النصارى فعما وجدوا فى كتبهم من صفته ، وصفة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه .

وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين فيما تسترق من السمع ، إذ كانت لا تحجب عن ذلك ، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره ، ولا تلقى العرب لذلك فيه بالاً حتى بعثه الله ، ووقعت تلك الأمور التى كانوا يذكرون فعرفوها فلما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه ، حجبت الشياطين عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التى كانت تقعد فيها لاستراقه فرموا بالنجوم فعرف الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله فى العباد . يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حين بعثه يقص عليه خبرهم إذ حجبوا : « قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به ، ولن نشرك بربنا أحدا ، وأنه تعالى جد «١» ربنا ما اتخذ صاحبة «٢» ولا ولداً ، وأنه كان يقول سفيهنا «٣» على الله شططا «٤» وأننا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً ، وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ، وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً ، وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً ، وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجدله شهاباً رصداً ، وأنا لاندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً «٥») فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها منعت من السمع قبل ذلك لئلا يشكل الوحى بشىء من خبر السماء فيلبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه لوقوع الحجة وقطع الشبهة ، فآمنوا به وصدقوا ، ثم (ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم «٦»)

١- جد ربنا : أى عظمته وجلاله .

٢- صاحبة : المراد زوجة .

٣- سفيهنا : أرادوا من السفيه جنسه فيشمل إبليس وجنوده . والسفه : هو الطيش ، وخفه العقل .

٤- شططا : أصل الشطط البعد الشديد ، ويقال : شطت به الدار أى اشتد بعدها ، وأرادوا به هنا القول البعيد عن الصواب

٥- سور الجن : الآيات ١- ١٠ ٦- سورة الأحقاف : الآيتان ٢٩ - ٣٠

وقول الجن : (وأنه كان رجال من الأنس يعوذون برجال من الجن) الآية .
هو أن الرجل من العرب من قريش وغيرهم ، كان إذا سافر فنزل بطن واد من الأرض ليبيت فيه قال : إنى أعوذ بعزيز هذا الوادى من الجن الليلة من شر ما فيه .
وذكر أن أول العرب فزع للرمى بالنجوم حين رمى بها ثقيف ، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية ، أحد بنى علاج ، وكان أدهى العرب وأنكرها رأيا ، فقالوا له : ياعمرو ألم تر ما حدث فى السماء من القذف بهذه النجوم ؟ قال : بلى فأنظروا ، فإن كانت معالم النجوم التى يهتدى بها فى البر والبحر ويعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء ، لما يصلح الناس فى معايشهم هى التى يرمى بها ، فهو والله طى هذه الدنيا ، وهلاك هذا الخلق الذى فيها ، وإن كانت نجوماً غيرها وهى ثابتة على حالها فهذا لأمر أراد الله بهذا الخلق .
وقد روى أبو عمر النمرى من طريق أبى داودثنا وهب بن بقية ، عن خالد ، وبه قال وحدثنا محمد بن العلاء ، عن ابن إدريس كلاهما ، عن حصين ، عن عامر الشعبى قال : لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم رجمت الشياطين بنجوم لم يكن يرجم بها قبل ، فأتوا عبد ياليل بن عمرو الثقفى فقالوا : إن الناس قد فزعوا وقد أعتقوا رقيقهم ، وسيبوا أنعامهم ، لما رأوا فى النجوم ، فقال لهم . وكان رجل أعمى - لاتعجلوا وأنظروا فإن كانت النجوم التى تعرف فهى عند فناء الناس ، وإن كانت لا تعرف فهو من حدث . فنظروا فإذا هى نجوم لا تعرف فقالوا : هذا من حدث ، فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبى صلى الله عليه وسلم .
وروينا من طريق مسلم ثنا الحسن بن على الحلوانى ، وعبد بن حميد . قال : حسن ثنا يعقوب وقال عبد ، حدثنى يعقوب بن إبراهيم بن سعد ثنا أبى ، عن صالح ، عن ابن شهاب قال : حدثنى على بن حسين أن عبدالله بن عباس قال : أخبرنى رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من الأنصار ، أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رمى بنجم فإستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما كنتم تقولون فى الجاهلية إذا رمى بمثل هذا عبد » . حدثنى يعقوب بن إبراهيم بن سعد ثنا أبى ، عن صالح ، عن ابن شهاب قال ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، كنا نقول : ولد الليلة رجل عليم ، ومات رجل عظيم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فإنها لا يرمى بها لموت أحد ، ولا لحياته ، ولكن ربنا تبارك اسمه ، إذا قضى أمراً ، سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا ثم قال الذين يلون حملة العرش ، لحملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ماذا قال ، فيستخبر بعض أهل السموات بعضاً حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا ، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم ويرمون ، فما جاءوا به على وجهه

فهو حق ، ولكنهم يقذفون فيه ويزيدون .
أخبرنا أبو محمد بن إسماعيل المكى قراءة عليه وأنا أسمع قال أنا أبو عبدالله بن أبى المعالى بن محمد بن الحسين نزيل الإسكندرية سماعاً قال أنا أحمد بن محمد الشافعى قراءة عليه وأنا أسمع قال أنا أحمد بن على بن الحسين قال أنا الحسن بن أحمد قال أنا عبدالله بن جعفر قال أنا يعقوب بن سفيان ثنا يوسف بن حماد المعنى ثنا عبدالأعلى ، عن محمد بن إسحق ، وروينا من طريق البكائى ، عن ابن إسحق ومعناهما واحد ، وهذا اللفظ للبكائى ، عن ابن إسحق . قال : وحدثنى صالح بن إبراهيم ، عن محمود بن لبيد ، عن سلمة بن سلامة بن وقش ، وكان من أصحاب بدر قال : كان لنا جار من يهود من بنى عبد الأشهل ، فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان ، والجنة والنار فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت ، فقالوا له : ويحك يا فلان ، أو ترى هذا كائناً أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، ويجزون فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم ، والذى يحلف به ، ولود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور فى داره يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه ، بأن ينجو من تلك النار غداً ، فقالوا له : ويحك يا فلان ، وما آية ذلك ؟ قال : نبى مبعوث من نحو هذه البلاد ، وأشار بيده إلى مكة واليمن ، قالوا : ومتى نراه ؟ فنظر إلىّ وأنا من أحدثهم سناً فقال : أن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه ، قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم وهو بين أظهرنا فآمنا به ، وكفر به بغياً وحسداً . فقلنا له : ويحك يا فلان ، ألست الذى قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال : بلى ، ولكن ليس به .

وروينا عن محمد بن سعد قال أنا محمد بن عمر قال : حدثنى الحجاج بن صفوان ، عن أبى حسين ، عن شهر بن حوشب ، عن عمرو بن عتبة السلمى قال : رغبت عن آلهة قومى فى الجاهلية ، وذلك أنها باطل ، فلقيت رجلاً من أهل الكتاب من أهل تيماء فقلت له : إنى امرؤ ممن يعبد الحجارة ، فينزل الحى ليس معهم إله ، فيخرج الرجل منهم فيأتى بأربعة أحجار فينصب ثلاثة لقدره ، ويجعل أحسنها إلهاً يعبده ، ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل ، فيتركه ويأخذ غيره إذا نزل منزلاً سواه ، فرأيت أنه إله باطل ، لا ينفع ولا يضر ، فدلنى على خير من هذا . فقال : يخرج من مكة رجل يرغب عن آلهة قومه ، ويدعو إلى غيرها ، فإذا رأيت ذلك فاتبعه ، فإنه يأتى بأفضل الدين فلم يكن لى همة منذ قال لى ذلك إلا مكة ، فآتى ، فأسأل : هل حدث فيها حدث ؟ فيقال : لا ، ثم قدمت مرة فسألت فقالوا : حدث فيها رجل يرغب عن آلهة قومه ، ويدعو إلى غيرها فشددت راحلتى برحلها ، ثم قدمت منزلى الذى كنت أنزل بمكة فسألت عنه فوجدته مستخفياً ، ووجدت قريشاً عليه أشداء ، فتلطفت له حتى دخلت عليه فسألته

فقلت : أى شىء أنت ؟ قال :نبى ، فقلت : ومن أرسلك ؟ قال : الله ، قلت : وبم أرسلك ؟ قال : بعبادة الله وحده لا شريك له ، وبحقن الدماء ، وبكسر الأوثان ، وصلة الرحم ، وأمان السبيل ، فقلت : نعم ما أرسلت به ، قد آمنت بك وصدقتك ، أتامرنى أن أمكث معك أو أنصرف ؟ فقال : « ألا ترى كراهة الناس ماجئت به ، فلا تستطيع أن تمكث ، كن فى أهلك ، فإذا سمعت بى قد خرجت مخرجاً فاتبعنى » فمكثت فى أهلى حتى إذا خرج إلى المدينة سرت إليه فقدمت المدينة فقلت : يا نبى الله ، أتعرفنى ؟ قال : نعم أنت السلمى الذى أتيتنى بمكة ، وذكر باقى الحديث .

وروينا عن ابن إسحق قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجال من قومه قالوا : إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله لنا وهداه ، لما كنا نسمع من أحبار يهود ، كنا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا ، وكان لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : إنه قد تقارب زمان نبى يبعث الآن يقتلكم قتل عاد وإرم ، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا إلى الله عز وجل ، وعرفنا ما كانوا يتواعدوننا به فبادرناهم إليه فآمنا به ، وكفروا ففى ذلك نزلت هذه الآيات فى البقرة : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون «١» على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا «٢» كفروا به فلعنة الله على الكافرين «٣» »

وذكر الواقدى ، عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص ، فقلت :

أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة قال : أجل ، والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن « يأيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين ، أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، يفتح به أعيناً عمياً ، وآذانا صماً ، وقلوباً غلفاً . قال عطاء : ثم لقيت كعب الأحبار فسألته فما أختلف فى حرف » .

وروينا عن ابن إسحق قال : حدثنى عاصم بن عمر ، عن شيخ بنى قريظة قال لى : هل تدرى عم كان إسلام ثعلبة بن سعية ، وأسيد بن سعية ، وأسيد بن عبيد نفر من هدل «٤» أخوة قريظة ، كانوا معهم فى جاهليتهم ، ثم كانوا ساداتهم فى الإسلام . قال : قلت : لا ، قال : فإن رجلاً من يهود من أهل الشام يقال له ابن الهيبان «٥» قدم علينا قبل الإسلام بسنين فحل بين أظهرنا ، لا والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلى الخمس أفضل

١- يستفتحون : يستنصرون

٢- أى فلما جاءهم محمد على الصفات التى يعرفونها فى التوراة

٣- سورة البقرة : الآية ٨٩

٤- بفتح الهاء وسكون الدال المهملة . وذكره السهيلى بفتح الهاء والدال .

٥- الهيبان : بفتح الباء وتشديد الياء مفتوحة بعدها باء موحدة وآخره نون ، وأصله صفة ، يقال قطن هيبان إذا كان منفوشاً

منه ، فأقام عندنا فكنا إذا قحط المطر ، قلنا له : أخرج يا بن الهيبان فإستسق لنا فيقول : لا والله حتى تقدموا بين يدى نجواكم صدقة ، فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعاً من تمر أو مدين (١) من شعير فنخرجها ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستسقى لنا ، فوالله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب ونسقى ، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت قال : يا معشر يهود ما ترونه أخرجنى من أمر الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ فقلنا : أنت أعلم ، قال : فإنما قدمت هذه البلدة أتوكف (٢) خروج نبى قد أظل زمانه (٣) وهذه البلدة مهاجره ، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه ، قد أظلكم زمانه ، فلا تسبقن إليه يا معشر يهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء ، وسبى الذرارى والنساء ومن خالفه فلا يمنعنكم ذلك منه ، فلما بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم وحاصر بنى قريظة ، قال : هؤلاء الفتية – وكانوا شباناً أحداثاً – يا بنى قريظة والله إنه للنبى الذى عهد إليكم فيه ابن الهيبان ، قالوا : ليس به ، قال : بلى ، والله إنه بصفته فنزلوا وأسلموا ، فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم .

وذكر الواقدى ، عن النعمان السبائى قال : وكان من أحبار يهود باليمن فلما سمع بذكر النبى صلى الله عليه وسلم قدم عليه ، فسأله عن أشياء ثم قال : إن أبى كان يختم على سفر يقول : لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبى قد خرج بيثرب ، فإذا سمعت به فإفتحه ، قال نعمان : فلما سمعت بك فتحت السفر ، فإذا فيه صفتك كما أراك الساعة ، وإذا فيه ما تحل وما تحرم ، وإذا فيه أنك خير الأنبياء ، وأمتك خير الأمم ، وإسمك أحمد صلى الله عليك وسلم ، وأمتك الحمادون ، قربانهم دماؤهم وأناجيلهم صدورهم ، لا يحضرون قتالاً إلا وجبريل معهم ، يتحنن الله إليهم كتحنن الطير على أفراخه ، ثم قال لى : إذا سمعت به ، فإخرج إليه ، وآمن به ، وصدق به ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يحب أن يسمع أصحابه حديثه ، فأتاه يوماً فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « يا نعمان حدثنا » فأتبدأ النعمان الحديث من أوله ، فرئى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتسم ثم قال : « أشهد أنى رسول الله » ويقال : إن النعمان هذا هو الذى قتله الأسود العنسى ، وقطعه عضواً عضواً وهو يقول : أشهد أن محمداً رسول الله ، وأنك كذاب مفتر على الله عز وجل ، ثم حرقه بالنار .

أخبرنا الشيخان أبو الفضل عبدالرحيم بن يوسف بن يحيى الموصلى ، وأبو الهيجاء غازى بن أبى الفضل بن عبدالوهاب . قراءة على الأول و أنا أسمع و بقراءتى على

١– المد : مكيال وهو رطل وثلث عند أهل الحجاز ورطلان عند أهل العراق .

٢– أتوكف خروج نبى : معناه أنتظر خروجه وأستشعره .

٣– أظل زمانه : معناه أشرف عليكم واقترب .

الثانى ، قالا أنا أبو حفص عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد الدارقزى قراءة عليه قال الأول : و أنا فى الخامسة ، و قال الثانى : و أنا أسمع قال : أنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيبانى قال : أنا أبو طالب محمد بن محمد ابن إبراهيم بن غيلان البزار قال : أنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن إبراهيم الشافعى ثنا محمد بن يونس ثنا يعقوب بن محمد الزهرى ثنا عبد العزيز بن عمران عن عبد الله ابن جعفر ، عن أبى عون ، عن المسود بن مخرمة ، عن ابن عباس ، عن أبيه العباس ابن عبد المطلب . قال : قال لى أبى عبد المطلب بن هاشم خرجت إلى اليمن فى رحلة الشتاء و الصيف ، فنزلت على رجل من اليهود يقرأ الزبور فقال : يا عبد المطلب بن هاشم ، ائذن لى أنظر فى بعض جسدك . قال ، قلت : فإنظر ما لم يكن عورة . قال: فنظر فى منخرى .

قال: أجد فى إحدى منخريك ملكاً ، و فى الأخرى نبوة ، فهل لك من شاعة ؟ قال : قلت : وماالشاعة ؟ قال : الزوجة ، قال : قلت : أما اليوم ، فلا . قال : فإذا قدمت مكة فتزوج . قال : فقدم عبد المطلب مكة ، فتزوج هالة بنت وهيب بن زهرة ، فولدت له حمزة و صفية ، و تزوج عبد الله آمنة بنت وهب ، فولدت رسول الله صلى الله عليه و سلم : فكانت قريش تقول : فلج «١» عبد الله على أبيه .

خبر سلمان الفارسى رضى الله عنه

روينا عن ابن إسحق قال : حدثنى عاصم ، عن محمود ، عن ابن عباس ، قال: حدثنى سلمان الفارسى من فيه قال : كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان من قرية يقال لها جى ، و كان أبى دهقان «٢» قريته ، و كنت أحب خلق الله إليه ، لم يزل حبه إياى حتى حبسنى فى بيت كما تحبس الجارية ، و اجتهدت فى المجوسية حتى كنت قطن «٣» النار الذى يوقدها لا يتركها تخبو ساعة . و كانت لأبى ضيعة عظيمة فشغل فى بنيان له يوماً فقال لى : يا بنى إنى قد شغلت فى بنيانى هذا اليوم عن ضيعتى ، فاذهب إليها فاطلعها وأمرنى فيها ببعض ما يريد ، ثم قال لى : و لا تحتبس عنى ، فإنك إن احتبست عنى ، كنت أهم إلىّ من ضيعتى و شغلتنى عن كل أمر من أمرى ، فخرجت أريد ضيعته التى بعثنى إليها ، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها و هم يصلون ، و كنت لا أدرى ما أمر الناس ، لحبس أبى إياى فى بيته ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون ، فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ،

١- الفلج : الظفر و الفوز . هنا فى هامش الأصل "بلغ مقابلة "
٢- دهقان : بكسر فسكون ـ شيخ القرية العارف بالفلاحة ، و ما يصلح بالأرض من الشجر ، يلجأ إليه فى معرفة ذلك .
٣- قطن النار : هو خادمها الذى يخدمها و يمنعها من أن تنطفىء..

و رغبت فى أمرهم ، و قلت : هذا و الله خير من الدين الذى نحن عليه ، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس ، و تركت ضيعة أبى فلم آتها ، ثم قلت لهم : أين أصل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام ، فرجعت إلى أبى و قد بعث فى طلبى ، و شغلته عن عمله كله ، فلما جئته قال : أى بنى ، أين كنت ؟ أولم أعهد إليك ما عهدت ؟ قلت : يا أبت مررت بالناس يصلون فى كنيسة ، فأعجبنى ما رأيت من دينهم ، فوالله مازلت عندهم حتى غربت الشمس . قال : أى بنى ، ليس فى ذلك الدين خير ، دينك و دين آبائك خير منه . فقلت له : كلا ، و الله إنه لخير من ديننا ، قال : فخافنى فجعل فى رجلى قيداً ثم حبسنى فى بيته ، و بعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبرونى بهم ، فقدم عليهم تجار من النصارى ، فأخبرونى ، فقلت لهم : إذا قضوا حوائجهم ، و أرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنونى بهم قال : فلما أرادوا الرجعة أخبرونى بهم ، فألقيت الحديد من رجلى ، ثم قدمت معهم حتى قدمت الشام ، فلما قدمتها قلت : من أفضل أهل هذا الدين علماً ؟ قالوا : الأسقف (1) فى الكنيسة . فجئته ، فقلت له :إنى قد رغبت فى هذا الدين ، وأحببت أن أكون معك ، فأخدمك فى كنيستك و أتعلم من علمك و أصلى معك . قال : أدخل ، فدخلت معه فكان رجل سوء : يأمرهم بالصدقة و يرغبهم فيها ، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزه لنفسه و لم يعطه المساكين ، حتى جمع سبع قلال من ذهب و ورق ، فأبغضته بغضاً شديداً ، لما رأيته يصنع ، ثم مات ، وإجتمعت النصارى ليدفنوه ، قلت لهم : إن هذا كان رجل سوء : يأمركم بالصدقة و يرغبكم فيها ، فإذا جئتموه بها إكتنزها لنفسه و لم يعط المساكين منها شيئاً ، فقالوا لى : وماعلمك بذلك ؟ قلت : أنا أدلكم على كنزه ، فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً و ورقاً ، فلما رأوها قالوا : و الله لا ندفنه أبداً، فصلبوه و رموه بالحجارة .

و جاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه ، فمارأيت رجلاً لا يصلى الخمس أرى أنه أفضل منه و أزهد فى الدنيا ، و لا أرغب فى الآخرة و لا أدأب ليلاً او نهارا منه ، فأحببته حباً لم أحبه شيئاً قبله فأقمت معه زماناً ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : يا فلان إنى قد كنت معك وأحببتك حباً شديداً لم أحبه شيئاً قبلك ، و قد حضرك من الأمر ما ترى فإلى من توصى بى ؟ و بم تأمرنى ؟ فقال : أى بنى ، و الله ما أعلم أحداً على ما كنت عليه ، و لقد هلك الناس و بدلوا و تركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلاً بالموصل و هو فلان و هو على ماكنت عليه ، فالحق به .

فلما مات و غيب ، لحقت بصاحب الموصل فقلت له : يا فلان ، إن فلاناً أوصانى عند موته أن الحق بك و أخبرنى أنك على أمره : فقال لى : أقم عندى ، فأقمت عنده ،

1- الأسقف : هو عالم النصارى الذى يقيم لهم أمر دينهم ، يقال بضم الهمزه وسكون السين و ضم القاف و الفاء مشددة أو مخففة

فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان ، إن فلاناً أوصى بى إليك ، و أمرنى باللحوق بك ، و قد حضرك من أمر الله ماترى ، فإلى من توصى بى ؟ و بم تأمرنى ؟ قال : يا بنى ، و الله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين و هو فلان فالحق به .

فلما مات و غيب لحقت بصاحب نصيبين ، فأخبرته خبرى ، و ما أمرنى به صاحبى فقال : أقم عندى ، فأقمت عنده ، فوجدته على أمر صاحبه ، فأقمت مع خير رجل ، فوالله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حضر قلت له : يا فلان ، إن فلاناً كان أوصى بى إلى فلان ثم أوصى بى فلان إليك ، فإلى من توصى بى ؟ و بم تأمرنى ؟ قال : يا بنى ، والله ما أعلم بقى أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية من أرض الروم ، فأته فإنه على مثل ما نحن عليه ، فإن أحببته فأته .

فلما مات و غيب لحقت بصاحب عمورية فأخبرته خبرى فقال : أقم عندى ، فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه و أمرهم ، و اكتسبت حتى كانت لى بقرات و غنيمة ، ثم نزل به أمر الله فلما حضر قلت له : يا فلان إنى كنت مع فلان ، فأوصى بى إلى فلان ثم أوصى بى فلان إلى فلان ثم أوصى بى فلان إليك ، فإلى من توصى بى ؟ و بم تأمرنى ؟ قال : يا بنى ، و الله ماأعلمه أصبح على مثل ماكنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ، و لكنه قد أظل زمان نبى مبعوث بدين إبراهيم يخرج من أرض العرب ، مهاجره إلى أرض بين حرتين «١» ، بينهما نخل ، به علامات لا تخفى ، يأكل الهدية ، و لا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فإفعل .

ثم مات و غيب ، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث ، ثم مر بى نفر من كلب تجار ، فقلت لهم : إحملونى إلى أرض العرب و أعطيكم بقراتى هذه ، وغنيمتى هذه ، فقالوا : نعم ، فأعطيتموها ، و حملونى معهم ، حتى إذا بلغوا وادى القرى ظلمونى ، فباعونى من رجل يهود عبداً ، فكنت عنده فرأيت النخل ، فرجوت أن يكون البلدة التى وصف لى صاحبى ، و لم تحق عندى،فبينا أناعنده إذقدم عليه ابن عم له من بنى قريظة من المدينة فابتاعنى منه ، فحملنى إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبى ، فأقمت بها ، و بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و أقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر ، مع ما أنا فيه من شغل الرق ، ثم هاجر إلى المدينة فوالله إنى لفى رأس عذق «٢» لسيدى أعمل له فيه بعض العمل ، و سيدى جالس تحتى ، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه ، قال : يا فلان قاتل الله بنى قيلة «٣» و الله إنهم مجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم ، يزعمون أنه نبى ، فلما سمعتها أخذتنى العرواء «٤»

١- الحرة : كل أرض ذات حجارة سود ٢- عذق : بفتح العين النخلة ، و بكسر ها الكباسة و هو عنقود النخلة .

٣- قيلة : قال ابن هشام قيلة : بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن إلحاف بن قضاعة ، أم الأوس و الخزرج ٤- العرواء : الرعدة من البرد و الانتفاض .

حتى ظننت أني ساقط على سيدى ، فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه ذلك : ما تقوله ؟ فغضب سيدى ، و لكمنى لكمة شديدة ، ثم قال : ما لك و لهذا ؟ أقبل على عملك ، فقلت : لا شيء إنما أردت أن أستثبته عما قال .

و قد كان عندى شيء جمعته ، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و هو بقباء ، فدخلت عليه ، فقلت له : إنه قد بلغنى أنك رجل صالح ، و معك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، و هذا شيء كان عندى للصدقة ، فرأيتكم أحق به من غيركم ، فقربته إليه فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأصحابه : «كلوا» و أمسك يده فلم يأكل ، فقلت فى نفسى : هذه واحدة ، ثم انصرفت عنه ، فجمعت شيئاً ، و تحول رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى المدينة ، ثم جئته فقلت : إنى رأيتك لا تأكل الصدقة ، و هذه هدية أكرمتك بها ، فأكل رسول الله صلى الله عليه و سلم و أمر أصحابه فأكلوا معه قلت فى نفسى : هاتان اثنتان ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو ببقيع الغرقد «١» قد تبع جنازة «٢» من أصحابه ، و علىّ شملتان «٣» لى ، وهو جالس فى أصحابه ، فسلمت عليه ، ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذى و صف لى صاحبى ، فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه و سلم استدبرته عرف أنى أستثبت فى شيء وصف لى ، فألقى الرداء عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم ، فعرفته ، فأكببت عليه أقبله و أبكى ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه و سلم : تحول ، فتحولت ، فجلست بين يديه ، فقصصت عليه حديثى كما حدثتك يا بن عباس ، فأعجب رسول الله صلى عليه وسلم أن يسمع ذلك أصحابه.

ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه و سلم بدر و أحد ، قال سلمان : ثم قال لى رسول الله صلى الله عليه و سلم : « كاتب يا سلمان » . فكاتبت صاحبى على ثلثمائة نخلة أحييها بالفقير «٤» وأربعين أوقية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعينوا أخاكم » فأعانونى بالنخل ، الرجل بثلاثين ودية «٥» ، والرجل بعشرين ودية ، والرجل بخمسة عشر ، والرجل بعشر ، والرجل بقدر ما عنده حتى إجتمعت لى ثلثمائة ودية ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أذهب يا سلمان ففقر لها ، فإذا فرغت فأتنى أكن أنا أضعها بيدى » ففقرت وأعاننى أصحابى ، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته ، فخرج معى إليها فجعلنا نقرب إليه الودى ويضعه رسول الله

١- بقيع الغرقد : مقبرة المدينة .

٢- الميت هو كلثوم بن الهرم ، قاله أبوذر .

٣- الشملة : الكساء الغليظ يشتمل به الانسان ، أى : يلتحف به .

٤- بالفقير : قال فى القاموس : الفقير : البئر تغرس فيها الفسيلة ، الجمع فقر - بضمتين - وقد فقر لها تفقيرا . وقال أبو ذر : بالفقير : أى بالحفر والغرس ، يقال فقرت الأرض ، اذا حفرتها ، و منه سميت البئر فقيرا .

٥- الودية : واحد الودى ، وهى النخلة الصغيرة

صلى الله عليه وسلم بيده ، حتى فرغت ، فو الذى نفس سلمان بيده ما مات منها ودية واحدة ، فأديت النخل ، وبقى على المال ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن ، فقال : « ما فعل الفارسى المكاتب » فدعيت له فقال : « خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان » قلت : وأين تقع هذه يا رسول الله – مما علىّ ؟ قال : « فإن الله سيؤدى بها عنك » . فأخذتها فوزنت لهم منها ، والذى نفس سلمان بيده ، أربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم . وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفتنى معه مشهد .

وذكر أبو عمر فى خبر سلمان من طريق يزيد بن الحباب قال : حدثنى حسنين ابن واقد ، عن عبدالله بن بريدة ، عن أبيه ، أن سلمان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من قوم من اليهود بكذا وكذا درهماً وعلى أن يغرس لهم كذا وكذا من النخل يعمل فيها سلمان حتى تدرك ، فغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل كله ، إلا نخلة غرسها عمر ، فأطعم النخل كله إلا تلك النخلة التى غرسها عمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من غرسها ؟ قالوا : عمر ، فقلعها وغرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأطعمت من عامها .

وذكر البخارى رحمه الله حديث سلمان كما ذكره ابن إسحق ، غير أنه ذكر أن سلمان غرس بيده ودية واحدة ، وغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرها فعاشت كلها ، إلا التى غرس سلمان ، هذا معنى حديث البخارى رحمه الله .

وعن سلمان أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره أن صاحب عمورية قال له : إئت كذا وكذا من أرض الشام ، فإن بها رجلاً بين غيضتين «١» يخرج فى كل سنة من هذة الغيضة إلى هذه الغيضة مستجيزاً يعترضه ذوو الأسقام ، فلا يدعو لأحد منهم إلا شفى فسله عن هذا الدين الذى تبتغى فهو يخبرك عنه ، قال سلمان : فخرجت حتى جئت حيث وصف فوجدت الناس قد إجتمعوا بمرضاهم هناك حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزاً من إحدى الغيضتين إلى الأخرى ، فغشيه الناس بمرضاهم لا يدعو لمريض إلا شفى ، وغلبونى عليه ، فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التى يريد أن يدخل إلا منكبه ، فتناولته ، فقال : من هذا ؟ والتفت إلىّ ، فقلت : يرحمك الله أخبرنى عن الحنيفية دين إبراهيم ، قال : إنك لتسأل عن شىء ما يسأل عنه الناس اليوم ، قد أظلك نبى «٢» يبعث بهذا الدين من أهل الحرم فأته فهو يحملك عليه ، ثم دخل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن كنت صدقتنى لقد لقيت عيسى ابن مريم » .

رواه ابن إسحق ، عن داود بن الحصين ، قال حدثنى من لا أتهم ، عن عمر ابن

١– غيضتين : الغيضة : الشجر الملتف .

٢– فى السيرة : قد أظلك زمان نبى

عبدالعزيز قال : قال سلمان فذكره ، قيل إن الرجل المطوى الذكر فى هذا الإسناد هو الحسن بن عمارة ، فإن يكنه فهو ضعيف قاله السهيلى ، و قال : وإن صح هذا الحديث فلا تكارة فى متنه ، فقد ذكر الطبرى : أن المسيح عليه السلام نزل بعد ما رفع ، وأمه وامرأة أخرى عند الجذع الذى فيه الصليب يبكيان ، فكلمهما ، وأخبرهما أنه لم يقتل ، وأن الله رفعه ، وأرسله إلى الحواريين ، ووجههم إلى البلاد . وإذا جاز أن ينزل مرة ، جاز أن ينزل مراراً ولكن لا يعلم به أنه هو ، حتى ينزل النزول الظاهر ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ، كما جاء فى الصحيح ، والله أعلم . ويروى أنه إذا نزل تزوج امرأة من جذام ، ويدفن إذا مات فى روضة النبى صلى الله عليه وسلم .

وقوله : فقر لثلثمائة ودية معناه حفر . وقوله : أحييها له بالفقير ، قيل : الوجه بالتفقير وقطن النار : خازن النار وخادمها . والعرواء : الرعدة ، ورأيت بخط جدى رحمه الله ، فيما علقه على نسخته بكتاب السيرة الهشامية ، من حواشى كتاب أبى الفضل عياض ابن موسى وغيره قال الصدقى : العرواء : الحمى النافض ، والبرحاء : الحمى الصالب ، والرحضاء : الحمى التى تأخذ بالعروق ، والمطواء : التى تأخذ بالتمطى ، والثوباء : التى تأخذ بالتثاؤب .

(خبر زيد بن عمرو بن نفيل)

ذكر ابن إسحق فى خبر زيد بن عمرو بن نفيل قال : وكان زيد قد أجمع الخروج من مكة ليضرب فى الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام ، فكانت امرأته صفية بنت الحضرمى كلما رأته تهيأ للخروج وأراده ، آذنت به الخطاب بن نفيل ، و كان الخطاب وكلها به ، فقال : إذا رأيتيه هم بأمر فآذنينى به ، ثم خرج يطلب دين إبراهيم عليه السلام ، ويسأل الرهبان والأحبار ، حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ، ثم أقبل فجال الشام كلها حتى إذا أنتهى إلى راهب بميفعة «١» من الأرض البلقاء «٢» كان ينتهى إليه علم النصرانية «٣» فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفة دين إبراهيم عليه السلام ، فقال : إنك لتطلب ديناً ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ، ولكن قد أظلك زمان نبى يخرج من بلادك التى خرجت منها ، يبعث بدين إبراهيم الحنيفية ، فالحق به فإنه مبعوث الآن ، هذا زمانه ، وقد كان زيد شام اليهودية والنصرانية ، فلم يرض شيئاً منهما ، فخرج سريعاً حين قال له ذلك الراهب ما قال ، يريد مكة ، حتى إذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه .

١- الميفعة : الموضع المرتفع من البقاع ٢- فى السيرة لابن هشام ١/٢٥٠ : « من أرض البلقاء » قال ياقوت : البلقاء كورة من أعمال دمشق قصبتها عمان ، وفيها قرى كثيرة ، ومزارع واسعة .

٣- فى السيرة : « أعلم أهل النصرانية » .

(صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإنجيل)

قال ابن إسحق : وكان فيما بلغنى ، عما كان وضع عيسى ابن مريم ، فيما جاءه من الله فى الإنجيل ، من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما أثبت لهم يحنس [1] الحوارى حين نسخ لهم الإنجيل من عهد عيسى ابن مريم إليهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : من أبغضنى فقد أبغض الرب ، ولولا أنى صنعت بحضرتهم صنايع لم يصنعها أحد قبلى ما كانت لهم خطيئة ، ولكن من الآن بطروا وظنوا أنهم يعزوننى [2] وأيضاً للرب ، ولكن لابد أن تتم الكلمة التى فى الناموس ، إنهم أبغضونى مجاناً أى باطلاً ، فلو قد جاء المنحمنا هذا الذى يرسله الله إليكم من عند الرب روح القدس ، هذا الذى من عند الرب خرج ، فهو شهيد على ، وأنتم أيضاً ، لأنكم قديماً كنتم معى على هذا ، قلت لكم لكى لا تشكوا .

والمنحمنا بالسريانية هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو بالرومية البرقليطس .

قال ابن هشام : وبلغنى أن رؤساء نجران ، كانوا يتوارثون كتباً عندهم ، فكلما مات رئيس منهم فأفضت الرياسة إلى غيره ختم على تلك الكتب خاتماً مع الخواتم التى قبله ولم يكسرها ، فخرج الرئيس الذى كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم يمشى فعثر ، فقال ابنه : تعس الأ بعد - يريد النبى صلى الله عليه وسلم - فقال له أبوه : لا تفعل ، فإنه نبى واسمه فى الوضائع - يعنى الكتب - فلما مات ، لم يكن له همة إلا أن شد فكسر الخواتم ، فوجد ذكر النبى صلي الله عليه وسلم فأسلم ، وحسن إسلامه فحج ، وهو الذى يقول :

إليك تغدو قلقاً وضينها ... معترضاً فى بطنها جنينها

مخالفاً دين النصارى دينها

وقد روينا عن دحية بن خليفة الكلبى فى توجهه بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى ملك الروم ، وأن ملك الروم قال لقومه : هذا كتاب النبى الذى بشرنا به المسيح من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام . وسيأتى بسنده إن شاء الله تعالى عند ذكركتب النبى صلى الله عليه وسلم إلى الملوك .

أخبرنا الإمام أبو عبدالله محمد بن إبراهيم المقدسى حضوراً فى الرابعة بقراءة والدى رحمة الله عليه بالقاهرة ، وأبو عبدالله محمد بن عبد المؤمن بن أبى الفتح بقراءتى عليه بمرج دمشق قالا : أنا أبو البركات داود بن أحمد بن محمد بن ملاعب قال : أنا أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأرموى قال : أنا أبو القاسم يوسف بن أحمد ابن

١- بضم الياء وفتح الحاء وتشديد النون ، ويجوز فيها الفتح والكسر معاً .

٢- يعزوننى : أى يغلبوننى

محمد المهروانى بانتقاء أبى بكر الخطيب البغدادى الحافظ عليه قال : أنا أبو سهل محمود بن عمر العكبرى ثنا أبو صالح سهل بن إسماعيل الموسوى ثنا أبو العباس عبدالله بن وهب الغزى بالرملة ثنا محمد بن أبى السرى العسقلانى ثنا شيخ ابن أبى خالد البصرى ثنا حماد بن سلمة ، عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبدالله قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما السلام لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

وروينا عن محمد بن سعد قال : أخبرنا محمد بن عمر ، حدثنى العطاف بن خالد عن خالد بن سعيد قال : قال تميم الدارى كنت بالشام ، حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إلى بعض حاجتى ، فأدركنى الليل فقلت : أنا فى جوار عظيم هذا الوادى ، فلما أخذت مضجعى ، إذ مناد ينادى لا أراه : عذ بالله ، فإن الجن لا تجير أحداً على الله تعالى . فقلت : أيم تقول ؟ فقال : قد خرج رسول الأميين رسول الله ، وصلينا خلفه بالحجون وأسلمنا واتبعناه ، وذهب كيد الجن ، ورميت بالشهب ، فانطلق إلى محمد فأسلم ، فلما أصبحت ذهبت إلى دير أيوب فسألت راهباً به ، وأخبرته الخبر فقال : صدقوك ، نجده يخرج من الحرم ، ومهاجره الحرم ، وهو خير الأنبياء ، فلا تسبق إليه . قال تميم : فتكلفت الشخوص حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت .

خبر قس بن ساعدة الأيادى

قرىء على الشيخة الأصيلة أمة الحق شامية ابنة الإمام الحافظ أبى على الحسن ابن محمد بن محمد بن محمد البكرى وأنا أسمع بالقاهرة قالت : أنا أبو محمد عبدالجليل ابن أبى غالب بن أبى المعالى بن مندوية الأصبهانى قراءة عليه وأنا أسمع ، سنة عشر و ستمائة ، قال : أنا أبو المحاسن نصر بن المظفر بن الحسين البرمكى الجرجانى سماعاً عليه سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، قال أنا أبو الحسين أحمد بن محمد ابن أحمد بن النقور قال : أنا أبو الحسن على بن عمر بن محمد بن الحسن الحربى ثنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوى ثنا محمد بن حسان بن خالد السمنى أبو جعفر سنة ثمان وعشرين ومائتين ، وفيها توفى ثنا محمد بن الحجاج اللخمى ، عن مجالد ، عن الشعبى ، عن ابن عباس قال : قدم وفد عبد قيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أيكم يعرف قس بن ساعدة الأيادى ؟ قالوا : كلنا يا رسول الله يعرفه . قال : فما فعل ؟ قالوا : هلك . قال : ما أنساه بعكاظ على جمل أحمر ، وهو يقول : أيها الناس إجتمعوا واسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، وإن فى السماء لخبراً ، وإن فى الأرض لعبراً ، مهاد موضوع ، وسقف

مرفوع ، ونجوم تمور ، وبحار لاتغور ، أقسم قس قسماً حتماً ، لئن كان في الأمر رضى ليكونن سخطاً ، إن لله لديناً هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه ، مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا فناموا ؟ ثم قال : أيكم يروي شعره ؟ فأنشدوه:

في الذاهبين الأولين	من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً	للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها	يمضي الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي إلي	ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة	حيث صار القوم صائر

وقرأت على أبي يوسف بن يعقوب الشيباني بدمشق ، أخبركم أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي قراءة عليه ، وأنتم تسمعون ، قال : أنا الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد ابن عمر بن السمرقندي قراءة عليه وأنا أسمع قال أنا أبو صالح أحمد بن عبدالملك المؤذن ثنا أبو عبدالرحمن محمد بن الحسين السلمي ثنا أبو العباس الوليد بن سعيد ابن حاتم بن عيسى الفسطاطي بمكة من حفظه ، وزعم أن له خمساً وتسعين سنة في ذي الحجة سنة ست وستين وثلثمائة ، على باب إبراهيم ، قال ثنا محمد بن عيسى بن محمد الأخباري ثنا أبي عيسى بن محمد بن سعيد القرشي ثنا علي بن سليمان بن علي ، عن علي بن عبدالله ، عن عبدالله بن عباس قال : قدم الجارود بن عبدالله (1) وكان سيداً في قومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والذي بعثك بالحق ، لقد وجدت صفتك في الإنجيل ، ولقد بشر بك ابن البتول ، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله ، قال: فآمن الجارود وآمن من قومه كل سيد ، فسر النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا جارود ، هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لناقساً ؟ قالوا : كلنا نعرفه يا رسول الله ، وأنا من بين يدي القوم ، كنت أقفو أثره ، كان من أسباط العرب ، فصيحاً عمر سبعمائة سنة ، أدرك من الحواريين سمعان ، فهو أول من تأله من العرب كأني أنظر إليه يقسم بالرب الذي هوله ، ليبلغن الكتاب أجله ، وليوفين كل عامل عمله ثم أنشأ يقول :

هاج للقلب (2) من جواه ادكار	وليال خلالهن نهار

في أبيات آخرها .

والذي قد ذكرت دل على الله	نفوساً لها هدى واعتبار

1- هو الجارود بن المعلى ، واختلف في اسم أبيه كما في أسد الغابة 1/311 وليس في آبائه عبدالله فلينظر .
2- في البداية والنهاية : 2/233 : ذكر القلب من جواه ادكار

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : على رسلك يا جارود ، فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل أورق «١» ، وهو يتكلم بكلام ما أظن أنى أحفظه ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، فإنى أحفظه ، كنت حاضراً ذلك اليوم بسوق عكاظ ، فقال فى خطبته : يا أيها الناس اسمعوا وعوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا ، إنه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، مطر ونبات ، وأرزاق وأقوات ، وآباء وأمهات ، وأحياء وأموات ، جمع وأشتات ، وآيات بعد آيات ، إن فى السماء لخبراً ، وإن فى الأرض لعبراً ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، وأرض ذات رتاج ، وبحار ذات أمواج ، مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا هناك فناموا ، أقسم قس قسماً لا حانثاً فيه ، ولا آثماً ، إن لله ديناً هو أحب إليه من دينكم الذى أنتم عليه ، ونبياً قد حان حينه ، وأظلكم أوانه ، فطوبى لمن آمن به فهداه ، وويل لمن خالفه وعصاه . ثم قال : تباً لأرباب الغفلة من الأمم الخالية والقرون الماضية ، يا معشر إياد ، أين الآباء والأجداد ، وأين المريض والعواد ، وأين الفراعنة الشداد ، أين من بنى وشيد وزخرف ونجد ، وغره المال والولد ، أين من بغى وطغى وجمع فأوعى وقال : أنا ربكم الأعلى ، ألم يكونوا أكثر منكم أموالا ، وأطول منكم آجالاً ، وأبعد منكم آمالا ، طحنهم الثرى بكلكله ، ومزقهم بتطاوله ، فتلك عظامهم بالية ، وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب العاوية ، كلا ، بل هو الله الواحد المعبود ، ليس بوالد ولا مولود ، ثم أنشأ يقول :

فى الذاهبين الأولـيـ	ـن من القرون لنا بصائر
لما رأيت مـوارداً	للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها	يمضى الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضى إلى	ولا من الباقين غابر
أيقنت أنى لا مـحـا	لة حيث صار القوم صائر

قال : ثم جلس ، وقام رجل أشدق أجش «٢» الصوت فقال : لقد رأيت من قس عجباً ، خرجت أطلب بعيراً لى حتى إذا عسعس «٣» الليل ، وكاد الصبح أن يتنفس «٤» ، هتف بى هاتف يقول :

يأيها الراقد فى الليل الأجم	قد بعث الله نبيـاً فى الحرم
من هاشم أهل الوفاء والكرم	يجلو دجنات الليالى والبهم «٥»

١- هو ما فى لونه بياض الى سواد

٢- أجش : أى غليظ .

٣- عسعس : قال الفراء : إن معنى عسعس أدبر .

٤- تنفس الصبح تبلج .

٥- دجنات : أى ظلمات ، والبهم جمع لبهم وهى السود

قال : فأدرت طرفي فمارأيت شخصاً ، فأنشأت أقول :

يأيها الهاتف فى داجى الظلم   أهلاً وسهلاً بك من طيف ألم
بين هداك الله فى لحن الكلم   من ذا الذى تدعو إليه يغتنم

قال : فإذا أنا بنحنحة وقائل يقول : ظهر النور ، وبطل الزور ، وبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، صاحب النجيب «١» الأحمر ، والتاج والمغفر ، والوجه الأزهر ، والحاجب الأقمر ، والطرف الأحور ، صاحب قول شهادة أن لا إله إلا الله ، فذلك محمد المبعوث إلى الأسود والأحمر ، أهل المدر والوبر ، ثم أنشأ يقول :

الحمد لله الذى   لم يخلق الخلق عبث
لم يخلنا يوماً سدى   من بعد عيسى وأكترث
أرسل فينا أحمداً   خير نبى قد بعث
صلى عليه الله ما   حج له راكب وحث

قال : ولاح الصباح وإذا بالفنيق «٢» يشقشق «٣» إلى النوق فملكت خطامه ، وعلوت سنامه ، حتى إذا لغب «٤» فنزل فى روضة خضرة ، فإذا أنا بقس بن ساعدة فى ظل شجرة ، وبيده قضيب من أراك «٥» ينكت به فى الأرض وهو يقول :

يا ناعى الموت واللحود فى جدث   عليهم من بقايا نومهم خرق
دعهم فإن لهم يوماً يصاح بهم   فهم إذا انتبهوا من نومهم فرقوا
حتى يعودوا بحال غير حالهم   خلقاً جديداً كما من قبله خلقوا
منهم عراة ومنهم فى ثيابهم   منها الجديد ومنها المنهج الخلق

قال : فدنوت منه ، فسلمت عليه فرد علىّ السلام ، فإذا أنا بعين حرارة فى أرض خوارة ، ومسجد بين قبرين ، وأسدين عظيمين يلوذان به ، وإذا بأحدهما قد سبق الآخر إلى الماء فتبعه الآخر يطلب الماء فضر به بالقضيب الذى فى يده ، وقال له : ارجع ثكلتك أمك ، حتى يشرب الذى ورد قبلك ، فرجع ، ثم ورد بعده فقلت له : ما هذان القبران ؟
قال : هذان قبرا أخوين كانالى يعبدان الله عز وجل معى فى هذا المكان لا يشركان بالله شيئاً فأدركهما الموت فقبرتهما ، وها أنا بين قبريهما حتى ألحق بهما ، ثم نظر إليهما وجعل يقول :

خليلى هبا طالما قد رقدتما   أجدكما لا تقضيان كراكما
ألم تعلما أنى بسمعان مفرداً   ومالى فيه من خليل سواكما

١- النجيب من الإبل وجمعه نجب بضمتين ونجائب قال الأزهرى : هى عتاقها التى يسابق عليها
٢- الفينق : بفتح الفاء وكسر النون ، وهو الجمل المكرم لا يركب ولا يهان لكرامته .
٣- يشقشق : أى يخرج شقشقته من جوفه فينفخها فتظهر من شقه عند هياجه .
٤- اللغوب : بضمتين التعب والإعياء
٥- الأراك : شجر الواحدة أراكه .

مقيم على قبريكما لست بارحاً ... طوال الليالى أو يجيب صداكما
أبكيكما طول الحياة وما الذى ... يرد على ذى لوعة إن بكاكما
كأنكما والموت أقرب غائب «١» ... بروحى فى قبريكما قد أتاكما
أمن طول نوم لا تجيبان داعياً ... كأن الذى يسقى العقار «٢» سقاكما
فلو جعلت نفس لنفس وقاية ... لجدت بنفسى أن تكون فداكما

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله قساً ، إنى أرجو أن يبعثه الله عز وجل أمة وحده «٣» » .

خبر سواد بن قارب
وكان يتكهن فى الجاهلية ، وكان شاعراً ، ثم أسلم

قرأت على أبى عبدالله بن أبى الفتح بن وثاب الصورى بالزعيزعية «٤» بمرج دمشق ، قلت له : أخبركم الشيخان المؤيد هشام بن عبدالرحيم بن أحمد بن محمد البغدادى نزيل أصبهان ، وأم حبيبة بنت معمر بن الفاخر القرشية إجازة قالا : أنا أبو الفرج سعيد ابن أبى الرجاء الصيرفى قراءة عليه ، ونحن نسمع بأصبهان قال : أنا أبو نصر إبراهيم ابن محمد بن على الأصبهانى الكسائى ، قال : أنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن على ابن عاصم بن المقرى ، قال : أنا أبو يعلى أحمد بن على بن المثنى الموصلى ثنا يحيى ابن حجر بن النعمان السامى ثنا على بن منصور الأنبارى ، عن عثمان بن عبدالرحمن الوقاصى ، عن محمد بن كعب القرظى قال : بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذات يوم جالساً ، إذ مر به رجل فقيل : يا أمير المؤمنين ، أتعرف هذا المار ؟ قال : ومن هذا ؟ قالوا : هذا سواد بن قارب الذى أتاه رئيه «٥» بظهور النبى صلى الله عليه وسلم قال : فأرسل إليه عمر رضى الله عنه فقال له : أنت سواد بن قارب ؟ قال : نعم ، قال : أنت الذى أتاك رئيك بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قال : فأنت على ما كنت عليه من كهانتك ؟ قال : فغضب ، وقال : ما استقبلنى بهذا أحد منذ أسلمت يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : سبحان الله ، ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك ، فأخبرنى بإتيانك رئيك بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

١- فى البداية والنهاية ٢/٢٣٥ كأنكما والموت أقرب غاية

٢- أى الخمر   ٣- قال الحافظ بن كثير فى البداية والنهاية ٢/٢٣٧ قصة قس بن ساعدة لها طرق كلها ضعيفة وهى مع ضعفها كالمتعاضدة على اثبات أصل القصة والله تعالى أعلم

٤- الزعيزعية : بضم ففتح فسكون فكسر ففتح بتشديد من قرى مرج دمشق .

٥- أتاه رئيه : أى تابعه من الجن .

قال : نعم يا أمير المؤمنين ، بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان ، إذ أتاني رئيي فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب ، فإسمع مقالتي وأعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب ، يدعو إلى الله عز وجل وإلى عبادته : ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتطلابها ... وشدها العيس «١» بأقتابها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ... ما صادق الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ... ليس قدامها كأذنا بها

قال : قلت : دعني أنام ، فإني أمسيت ناعساً ، فلما كانت الليلة الثانية ، أتاني ، فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب فإسمع مقالتي ، وأعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب ، يدعو إلى الله عز وجل وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتخبارها ... وشدها العيس بأكوارها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ... ما مؤمن الجن ككفارها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ... بين روابيها وأحجارها

قال : قلت : دعني أنام فإني أمسيت ناعساً ، فلما كانت الليلة الثالثة ، أتاني فضربني برجله ، وقال : قم ياسواد بن قارب ، فإسمع مقالتي وأعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب ، يدعو إلى الله عز وجل وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتجساسها ... وشدها العيس بأحلاسها «٢»
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ... ما خير الجن كأنجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ... واسم بعينك إلى راسها

فقمت فقلت : قد إمتحن الله قلبي ، فرحلت ناقتي ، ثم أتيت المدينة «٣» ، فإذا رسول الله وصحبه حوله ، فدنوت فقلت : اسمع مقالتي يا رسول الله ، قال : هات فأنشأت أقول :

أتاني نجيبي بعد هدء ووقدة ... ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة ... أتاك رسول من لؤى بن غالب
فشمرت من ذيلى الإزار ووسطت ... بي الذعلب «٤» الوجناء بين السباسب
فأشهد أن الله لارب غيره ... وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة ... إلى الله يا بن الأكرمين الأطايب

١- العيس : الإبل الكرام .
٢- الأحلاس : جمع حلس - بكسون فسكون - وهو كساء جلد يوضع على ظهر البعير ثم يوضع عليه الرحل ليقيه من الدبر
٣- يعنى مكة
٤- الذعلب : الناقة السريعة .

فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل — وإن كان فيما جاء شيب النوائب

وكن لى شفيعاً يوم لاذو شفاعة — سواك بمغن عن سواد بن قارب

قال : ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمقالتى فرحاً شديداً حتى رؤى الفرح فى وجوههم ، قال : فوثب إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فالتزمه ، وقال : قد كنت أشتهى أن أسمع هذا الحديث منك ، فهل يأتيك رئيك اليوم ؟ قال : أما منذ قرأت القرآن فلا ، ونعم العوض كتاب الله من الجن .

ثم أنشأ عمر يقول : كنا يوماً فى حى من قريش يقال لهم آل ذريح ، وقد ذبحوا عجلاً لهم والجزار يعالجه ، إذ سمعنا صوتاً من جوف العجل ، ولا نرى شيئاً : يا آل ذريح أمر نجيح ، صائح يصيح بلسان فصيح يشهد أن لا إله إلا الله .

وقد روينا خبر سواد هذا من طريق البخارى ثنا يحيى بن سليمان قال : حدثنى ابن وهيب ، قال : حدثنى عمر أن سالما حدثه عن عبدالله بن عمر فذكر الخبر أخصر مما سقناه ، وفى الألفاظ إختلاف .

قال السهيلى : ولسواد بن قارب هذا مقام حميد فى دوس حين بلغهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ومن هذا الباب خبر سوداء بنت زهرة بن كلاب ، وذلك أنها حين ولدت ورآها أبوها زرقاء سيماء أمر بوأدها ، وكانوا يئدون من البنات ما كانت على هذه الصفة ، فأرسلها إلى الحجون لتدفن هناك ، فلما حفر لها الحافر وأراد دفنها سمع هاتفاً يقول : لاتئد الصبية وخلها فى البرية ، فالتفت فلم ير شيئا ، فعاد لدفنها فسمع الهاتف يسجع بسجع آخر فى المعنى ، فرجع إلى أبيها وأخبره بما سمع فقال : إن لها لشأنا ، وتركها . فكانت كاهنة قريش ، فقالت يوماً لبنى زهرة : إن فيكم نذيرة أو تلد نذيراً ، فاعرضوا علىّ بناتكم ، فعرضن عليها ، فقالت فى كل واحدة منهن قولاً ظهربعد حين ، حتى عرضت عليها آمنة بنت وهب قالت : هذه النذيرة أو ستلد نذيراً ، وهو خبر طويل ذكر الزبير يسيراً منه ، وذكره بطوله أبو بكرالنقاش .

خبر مازن بن الغضوبة

أخبرنا على بن محمد التغلبى قال : أنا محمد بن غسان بن غافل وغيره ، قالا : أنا على ابن الحسن الدمشقى قال : أنا الشيخان أبو القاسم زاهر ، وأبو بكر وجيه ابنا طاهر ابن محمد الشحاميان بنيسابور ، قالا : أنا أبو حامد أحمد بن الحسن الأزهرى ، قال : أنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدى ، قال : أنا أبو عمران موسى بن العباس الجوينى ثنا على بن حرب ثنا المنذر هشام بن محمد بن السائب ، عن أبيه ، عن عبدالله العمانى ، عن مازن بن الغضوبة قال : كنت أسدن صنماً بسمال - قرية بعمان - فعترنا ذات يوم عنده عتيرة وهى الذبيحة ، فسمعنا صوتاً من الصنم يقول :

يا مازن إسمع تسر ... ظهر خير وبطن شر
بعث نبى من مضر ... بدين الله الكبر
فدع تحيتاً من حجر ... تسلم من حر سقر

قال : ففزعت لذلك فقلت : إن فى هذا لعجباً ، قال : ثم عترت بعد أيام عتيرة فسمعت صوتاً من الصنم يقول :

أقبل إلىّ أقبل ... تسمع ما لا يجهل
هذا نبى مرسل ... جاء بحق منزل
فآمن به كى تعدل ... عن حر نار تشعل
وقودها بالجندل

فقلت : إن فى هذا لعجبا «١» وإنه لخير يراد بى ، فبينا نحن كذلك إذ قدم رجل من أهل الحجاز قلنا : ما الخبر و راءك ؟ قال : ظهر رجل يقال له أحمد ، يقول لمن أتاه أجيبوا داعى الله ، فقلت : هذا نبأ ما سمعته ، فسرت إلى الصنم فكسرته جذاذاً «٢» وركبت راحلتى فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح لى الإسلام ، فأسلمت وقلت :

كسرت بادر أجذاذاً وكان لنا ... رباً نطيف به ضلا بتضلال
بالهاشمى هدانا من ضلالتنا ... ولم يكن دينه منى على بال
يا راكباً بلغنى عمراً وأخوتها ... أنى لمن قال ربى بادر قالى

يعنى بعمرو بنى الصامت ، وأخوتها بنى الخطامة .

قال مازن ، فقلت : يارسول الله ، إنى مولع بالطرب ، وبشرب الخمر ، وبالهلوك من النساء ، وألحت علينا السنون فذهبن بالأموال ، وهزلن الذرارى والعيال ، وليس لى

١- فى النسخ : إن هذا لعجباً .
٢- جذه : كسره وقطعه و الجذاذ - بضم الجيم وكسرها ما كسر منه والضم أفصح ، وعطاء غير «مجذوذ» أى غير مقطوع

ولد ، فادع الله أن يذهب عنى ما أجد ، ويأتينى بالحيا «١» ويهب لى ولداً ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرام الحلال ، وبالخمر رياً لا إثم فيه ، وبالعهر عفة الفرج ، وائته بالحيا ، وهب له ولدا . قال مازن : فأذهب الله عنى ما كنت أجد ، وتعلمت شطر القرآن ، وحججت حججاً ، وأخصبت عمان ، ووهب الله لى حبان بن مازن ، وأنشدت أقول :

إليك رسول الله خبت مطيتى ... تجوب الفيافى من عمان إلى العرج
لتشفع لى يا خير من وطىء الحصى ... فيغفر لى ربى وأرجع بالفلج «٢»
إلى معشر خالفت فى الله دينهم ... فلا رأيهم رأيى ولا شرجهم شرجى
وكنت امرأ بالرعب والخمر مولعاً ... شبابى حتى آذن الجسم بالنهج
فبدلنى بالخمر خوفاً وخشية «٣» ... وبالعهر إحصاناً فحصن لى فرجى
فأصبحت همى فى الجهاد ونيتى ... فلله ما صومى ولله ما حجى

وروينا عن زمل بن عمرو العذرى قال : كان لبنى عذرة صنم يقال له خمام فكانوا يعظمونه ، وكان فى بنى هند بن حرام بن ضبة بن عبد بن كثير بن عذرة ، وكان سادنه «٤» رجلاً يقال له طارق ، وكانوا يعترون عنده ، فلما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم سمعنا صوتاً يقول : يا بنى هند بن حرام ، ظهر الحق وأودى خمام ، ودفع الشرك الإسلام ، قال : ففزعنا لذلك وهالنا فمكثنا أياماً ، ثم سمعنا صوتاً وهو يقول : يا طارق يا طارق ، بعث النبى الصادق ، بوحى ناطق ، صدع صادعة بأرض تهامة لناصريه السلامة ، ولخاذليه الندامة ، هذا الوداع منى إلى يوم القيامة . قال زمل : فوقع الصنم لوجهه ، قال زمل : فابتعت راحلة ورحلت حتى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم مع نفر من قومى ، وأنشدته شعراً قلته :

إليك رسول الله أعملت نصها ... أكلفها حزناً وقوزاً من الرمل
لأنصر خير الناس نصراً مؤزراً ... وأعقد حبلاً من حبالك فى حبلى
وأشهد أن الله لا شىء غيره ... أدين له ما أثقلت قدمى نعلى

فى خبر ذكره

١- الحيا : المطر

٢- الفلج : الظفر والفوز

٣- فى نسخة «وعفة» ولعله غلط

٤- السادن : خادم الكعبة ، وبيت الأصنام والجمع السدنة .

ورويناعن ابن هشـام أن بعض أهل العلم حـدثه : أنه كـان لمرداس أبى عـبـاس ابن مرداس السلمى وثن يعبده ، وهو حجر يقال له ضمار ، فلما حضر مرداس قال لعباس : أى بنى أعبد ضمار ، فإنه ينفعك ويضرك ، فبينما عباس يوماً عند ضمار إذ سمع من جوف ضمار منادياً يقول :

قل للقبائل من سليم كلها	أودى ضمار وعاش أهل المسجد
إن الذى ورث النبوة والهدى	بعد ابن مريم من قريش مهتد
أودى ضمار وكان يعبد مرة	قبل الكتاب إلى النبى محمد

فحرق العباس ضمار ، ولحق بالنبى صلى الله عليه وسلم .

وروى أبو جعفر العقيلى ، عن رجل من بنى لهب يقال له : لهيب أو لهيب بن مالك ، قال : حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عنده الكهانة ، فقلت : بأبى وأمى ، نحن أول من عرف حراسة السماء ، وزجر الشياطين ومنعهم من إستراق السمع عند قذف النجوم ، وذلك أنا أجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له خطر بن مالك ، وكان شيخاً كبيراً قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة ، وكان من أعلم كهاننا فقلنا له : يا خطر ، هل عندك علم من هذه النجوم التى يرمى بها ، فإنا قد فزعنا لذلك وخفنا سوء عاقبتها ، فقال :

إئتونى بسحر	أخبركم الخبر
ألخير أم ضرر	أو لأمن أو حذر

قال : فانصرفنا عنه يومنا ، فلما كان من غد فى وجه السحر أتيناه ، فإذا هو قائم على قدميه ، شاخص فى السماء بعينيه فناديناه : ياخطر ، يا خطر ، فأومأ إلينا أمسكوا ، فأمسكنا فانقض نجم عظيم من السماء ، وصرخ الكاهن رافعاً صوته :

أصابه أصابه	خامره عقابه
عاجله عذابه	أحرقه شهابه
زابله جوابه	يا ويله ما حاله
بلبله بلباله	عاوده خباله
تقطعت حباله	وغيرت أحواله

ثم أمسك طويلاً يقول : يا معشر بنى قحطان :

أخبركم بالحق والبيان	أقسمت بالكعبة والأركان
والبلد المؤتمن السدان	قد منع السمع عتاة الجان
بثاقب بكف ذى سلطان	من أجل مبعوث عظيم الشان
يبعث بالتزيل والفرقان	وبالهدى وفاضل القرآن

تبطل به عبادة الأوثان

قال : فقلت : ويحك ياخطر ، إنك لتذكر أمراً عظيماً ، فماذا ترى لقومك ؟ فقال :

أرى لقومى ما أرى لنفسى — أن يتبعوا خير بنى الأنس
برهانه مثل شعاع الشمس — يبعث فى مكة دار الحمس «١»
بمحكم التنزيل غير اللبس

فقلنا له : يا خطر وممن هو ؟ فقال : والحياة والعيش ، إنه لمن قريش ما فى حكمه طيش ، ولا فى خلقه هيش «٢» يكون فى جيش وأى جيش من آل قحطان وآل أيش ، فقلنا : بين لنا من أى قريش هو ؟ فقال : والبيت ذى الدعائم ، إنه لمن نجل هاشم ، من معشر أكارم ، يبعث بالملاحم ، وقتل كل ذى ظالم . ثم قال : هذا هو البيان أخبرنى به رئيس الجان ، ثم قال : الله أكبر جاء الحق وظهر ، وانقطع عن الجن الخبر ، ثم سكت وأغمى عليه ، فما أفاق إلا بعد ثلاثة فقال : لا إله إلا الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبحان الله ، لقد نطق عن مثل نبوة ، وإنه ليبعث يوم القيامة أمة وحده » .
قال السهيلى : المعنى وصابه مثل وشاح وأشاح وتكون الهمزة بدلاً من واو مكسورة .

وروينا من طريق ابن ماجه ثنا محمد بن يحيى ثنا إسرائيل ثنا سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن قريشاً أتوا إمرأة كاهنة ، فقالوا لها : أخبرينا أشبهنا أثراً بصاحب المقام ، فقالت : أن أنتم جررتم كساءً على هذه السهلة ، ثم مشيتم عليها أنبأتكم ، فجروا كساءً ثم مشى الناس عليها ، فأبصرت أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : هذا أقربكم إليه شبهاً ، ثم مكثوا بعد ذلك عشرين سنة أو ما شاء الله ، ثم بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم .

وذكر ابن أبى خيثمة ثنا حماد ، عن حميد ، عن عكرمة أن نفراً من قريش مروا بجزيرة من جزائر البحر فإذا هم بشيخ من جرهم ، فقال : ممن أنتم ؟ قلنا نحن من أهل مكة ، من قريش : فقال الشيخ ذات يوم : لقد طلع الليلة نجم ، لقد بعث فيكم نبى . قال : فنظروا فإذا النبى صلى الله عليه وسلم قد بعث تلك الليلة .

قرىء على أبى عبدالله محمد بن عبدالمؤمن المقدسى وأنا أسمع بغوطة دمشق «٣» أخبرتكم أم النور عين الشمس بنت أحمد بن أبى الفرج الثقفى إجازة قالت : أنا أبو الفتح إسماعيل بن الفضل بن أحمد بن الأخشيد قراءة عليه ثنا الشيخ الزكى أبو القاسم الفضل بن أحمد بن محمود الثقفى ثنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن إبراهيم

١- الحمس - بضم الحاء وسكون الميم - جمع أحمس ، وهو الشديد الصلب ، مأخوذ من الحماسة التى هى الشدة ، وإنما سموا قريش وكنانة وخزاعة الحمس لأنهم اشتدوا فى دينهم فى زعمهم .
٢- أى ليس عنده حدة وسرعة غضب .
٣- الغوطة : بالضم ، موضع بالشام كثير الماء والشجر وهى «غوطة» دمشق .

الثقفى ثنا أبو على الحسن بن محمد بن أله المعدل ثنا عمرو بن على ثنا عبيد الله ابن عبد المجيد ثنا القاسم بن الفضل ثنا أبو نضرة ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : بينما راع يرعى بالجزيرة ، إذ عرض الذئب لشاة من شائه فحال الراعى بين الذئب وبين الشاة ، فأقعى الذئب «١» على ذنبه فقال : ألا تتقى الله تحول بينى وبين رزق ساقه الله إلىّ ، فقال الراعى : هل أعجب من ذئب مقع على ذنبه يكلمنى بكلام الأنس ، فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب منى ؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين «٢» يحدث الناس بأنبياء ما قد سبق . فساق الراعى شاءه فأتى المدينة ، فغدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثه بما قال الذئب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدق الراعى ، إن من أشراط الساعة «٣» كلام السباع الإنس ، والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل شراك نعله ، وعذبة صوته ويخبره بما صنع أهله » .

وذكر الواقدى بإسناد له قال : كان أبو هريرة يحدث أن قوماً من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوساً ، وكانوا يتحاكمون إلى أصنامهم ، وفيه قال أبو هريرة رضى الله عنه ، فبينا الخثعميون عند صنمهم ، إذ سمعوا هاتفاً يهتف :

يأيها الناس ذوو الأجسام ... ومسندو الحكم إلى الأصنام
أكلكم أوره كالكهام ... أما ترون ما أرى أمامى
من ساطع يجلو دجى الظلام ... ذاك نبى سيد الأنام
من هاشم فى ذروة السنام ... مستعلن بالبلد الحرام
جاء يهد الكفر بالإسلام ... أكرمه الرحمن من إمام

قال أبو هريرة : فأمسكوا عنه ساعة حتى حفظوا ذلك ، ثم تفرقوا ، فلم تمض بهم ثالثة حتى فجأهم خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد ظهر بمكة ، فما أسلم الخثعميون حتى إستأخر إسلامهم ، ورأوا عبراً عند صنمهم .

قال ابن إسحق : وحدثنى على بن نافع الجرشى أن جنباً بطناً من اليمن ، كان لهم كاهن فى الجاهلية ، فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر فى العرب ، قالت له جنب : أنظر لنا فى أمر هذا الرجل ، وإجتمعوا إليه فى أسفل جبل ، فنزل عليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم متكئاً على قوس له ، فرفع رأسه إلى السماء طويلا ثم جعل ينزو ثم قال : أيها الناس إن الله أكرم محمداً واصطفاه ، وطهر قلبه وحشاه ، ومكثه فيكم أيها الناس قليل ، ثم اشتد فى جبله راجعاً من حيث جاء .

والأخبار فى هذا كثيرة .

١- أقعى الذئب : جلس على أسته مفترشاً رجليه وناصبا يديه .

٢- أى المدينة لأنها بين حرتين عظيمتين ، والحرة هى الأرضذات الحجارة السود .

٣- أشراط الساعة : علاماتها

ذكر المبعث ، متى وجبت له صلى الله عليه وسلم النبوة

قرىء على أبى عبدالله محمد بن عبد المؤمن بن أبى الفتح الصورى ، وأنا أسمع أخبركم أبو القاسم عبد الصمد بن أبى الفضل بن الحرستانى قراءة عليه وأنتم تسمعون فاقربه ، قال : أنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة بن أبى الخضر السلمى سماعاً عليه قال : أنا أبو محمد عبدالعزيز بن أحمد الكتانى قال : أنا تمام بن محمد الرازى قال أنا أحمد بن سليمان ثنا يزيد بن محمد ثنا أبو الجماهر ثنا سعيد بن بشير ثنا قتادة عن الحسن ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث » .

أخبرنا محمد بن إسماعيل عبدالله بن الأنماطى بقراءة والدى عليه ، وأنا أسمع قال : أنا ابن الحرستانى سماعاً ، وأبو الحسن المؤيد بن محمد بن على الطوسى إجازة ، قال : أنا وقال ابن الحرستانى أنبأنا الإمام أبو عبدالله محمد بن الفضل بن أحمد الفراوى قال : أنا أبو حفص بن مسرور ، قال : أنا أبو عمرو بن نجيد ثنا محمد ابن أيوب الرازى قال : أنا محمد بن سنان العوفى ثنا إبراهيم بن طهمان ، عن بديل ، عن عبدالله بن شقيق ، عن ميسرة الفجر قال : قلت : يارسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : « كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد » .

كم كانت سنه صلى الله عليه وسلم حين بعث ؟

أخبرنا أبو حفص عمر بن عبدالمنعم بن القواس بقراءتى عليه بعربيل بغوطة دمشق قلت له : أخبركم القاضى الإمام أبو القاسم عبدالصمد بن محمد بن أبى الفضل الأنصارى قراءة عليه بحضورك فى الرابعة فأقربه قال : أنا جمال الإسلام أبو الحسن السلمى ، قال : أنا أبو نصر الحسين بن محمد بن طلاب ، قال : أنا أبو الحسين ابن جميع ثنا خالد بن محمد بدمياط ثنا محمد بن على الصائغ ثنا محمد بن بشر التنيسى ثنا الأوزاعى قال : حدثنى ربيعة بن أبى عبدالرحمن قال : حدثنى أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على رأس الأربعين (1)، وقبض على رأس الستين ، وما فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء .

١- عن عكرمة عن ابن عباس قال : « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنزل عليه القرآن ، وهو ابن أربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة » رواه أحمد ، وروى البخارى نحوه عن عكرمة « ابن كثير : البداية والنهاية ٣/٤ »

خبر بعثه عليه السلام إلى الأسود والأحمر

أخبرنا أبو محمد عبدالعزيز بن عبدالمنعم الحرانى بقراءة والدى عليه ، أخبركم أبو على ضياء بن أبى القاسم بن الخريف قال : أنا أبو بكر محمد بن عبدالباقى بن محمد الأنصارى ، قال : أنا أبو الحسن على بن عيسى الباقلانى ، قال : أنا محمد بن جعفر ثنا الحسن بن الطيب البلخى ثنا قتيبة بن سعيد ثنا بكر بن مضر ، عن ابن الهاد ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عام تبوك قام من الليل يصلى ، فاجتمع رجال من أصحابه يحرسونه ، حتى إذا صلى وانصرف إليهم ، قال لهم : « لقد أعطيت الليلة خمساً ما أعطيهن أحد قبلى أما أولهن فأرسلت إلى الناس كلهم عامة ، وكان من قبلى إنما يرسل إلى قومه ، ونصرت بالرعب على العدو ولو كان بينى وبينه مسيرة شهر لملىء منى رعباً ، وأحلت لى الغنائم كلها ، وكان من قبلى يعظمونها كانوا يحرقونها (١) ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً أينما أدركتنى الصلاة تمسحت وصليت ، وكان من قبلى يعظمون ذلك ، إنما كانوا يصلون فى كنائسهم وبيعهم ، والخامسة قيل لى : سل ، فإن كل نبى قد سأل ، فأخرت مسألتى إلى يوم القيامة ، فهى لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله (٢) »

قرىء على عبدالرحيم بن يوسف الموصلى ، وأنا أسمع ، أخبركم ابن طبرزد قال : أنا ابن الحصين ، أنا ابن غيلان ، عن أبى بكر الشافعى ثنا إبراهيم بن عبدالله بن مسلم ثنا سليمان بن حرب ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سمع بى من يهودى أو نصرانى ثم لم يسلم دخل النار » .

قال ابن إسحق : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة ، بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس (٣) ، وكان الله قد أخذ له الميثاق على كل نبى بعثه قبله بالإيمان به ، والتصديق له ، والنصر على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم ، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه ، يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى (٤) ، قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين (٥)) فأخذ الله الميثاق عليهم جميعاً

١- فى الفتح الربانى : « وكان من قبلى يعظمون أكلها ، كانوا يحرقونها » .
٢- رواه أحمد : « الفتح الربانى ٢١/٢٠٠ » .
٣- فى ابن إسحق : « وكافة للناس بشيراً » .
٤- الأصر : العهد
٥- سورة آل عمران : الآية ٨١

بالتصديق له ، والنصر «١» وأدوا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين الكتابين .

وعن عائشة رضى الله عنها : أن أول ما ابتدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة ، حين أراد الله به كرامته ، ورحمة العباد به ، الرؤيا الصادقة لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح «٢» ، وحبب الله إليه الخلوة فلم يكن شىء أحب إليه من أن يخلو وحده.

وروينا عن أبى بشر الدولابى قال : حدثنى محمد بن حميد أبو قرة ثنا سعيد بن عيسى ابن تليد قال : حدثنى المفضل بن فضلة ، عن أبى الطاهر عبدالملك بن محمد بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عمه عبدالله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم : أنه كان من بدء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه رأى فى المنام رؤيا فشق ذلك عليه ، فذكر ذلك لصاحبته خديجة بنت خويلد ، فقالت له : « أبشر ، فإن الله لا يصنع بك إلا خيراً » . فذكر لها أنه رأى أن بطنه أخرج فطهر وغسل ، ثم أعيد كما كان قالت : هذا خير ، فأبشر . ثم استعلن به جبريل فأجلسه على ما شاء الله أن يجلسه عليه ، وبشره برسالة ربه ، حتى اطمأن ثم قال : إقرأ ، قال : كيف أقرأ ؟ قال : « إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » .

فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالة ربه ، واتبع الذى جاء به جبريل من عند الله وانصرف إلى أهله ، فلما دخل على خديجة قال : أرأيتك الذى كنت أحدثك ، ورأيته فى المنام ؟ فإنه جبريل استعلن . فأخبرها بالذى جاءه من الله عز وجل ، وسمع فقالت : أبشر ، فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً ، فاقبل الذى أتاك الله ، وأبشر فإنك رسول الله حقاً .

وروينا من طريق الدولابى ، عن محمد بن عايذ ثنا محمد بن شعيب ، عن عثمان ابن عطاء الخراسانى ، عن أبيه عطاء بن أبى مسلم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بعث الله عز وجل محمداً على رأس خمس سنين من بنيان الكعبة ، وكان أول شىء أراه إياه من النبوة رؤيا فى النوم ، فذكر نحو ما تقدم ، وفى آخره فلما قضى إليه الذى أمر به ، انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم منقلباً إلى أهله ، لا يأتى على حجر ولا شجر إلا سلم عليه ، سلام عليك يا رسول الله ، فرجع إلى بيته ، وهو موقن قد فاز فوزاً عظيماً . الحديث .

وروينا من طريق مسلم ثنا أبو بكر بن أبى شيبة ثنا يحيى بن أبى كثير ، عن إبراهيم ابن طهمان قال : حدثنى سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث إنى لأعرفه

١- فى السيرة « والنصر له ممن خالفه » .

٢- فلق الصبح ، وفرق الصبح بالتحريك هو ضياؤه ، ويقال هذا فى الشىء الواضح البين .

الآن»

وفي رواية يونس ، عن ابن إسحق بسنده إلى أبي ميسرة عمرو بن شر حبيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة : إني إذا خلوت وحدي سمعت نداءً ، وقد خشيت «١» والله أن يكون لهذا أمر . قالت : معاذ الله ، ما كان الله ليفعل ذلك بك ، فوالله إنك لتؤدي الأمانة ، وتصل الرحم ، وتصدق الحديث .

فلما دخل أبو بكر «٢» وليس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكرت خديجة له فقالت : يا عتيق ، إذهب مع محمد إلى ورقة ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ أبو بكر بيده وقال : انطلق بنا إلى ورقة فقال : ومن أخبرك ؟ قال : خديجة ، فانطلقا إليه ، فقصا عليه ، فقال : إني إذا خلوت وحدي سمعت نداءً من خلفي : يا محمد يا محمد ، فانطلق هارباً في الأرض . فقال له : لا تفعل إذا أتاك ، فاثبت حتى تسمع ما يقول لك ، ثم ائتني فأخبرني ، فلما خلا ناداه : يا محمد يا محمد ، قل : « بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، حتى بلغ ولا الضالين » قل : لا إله إلا الله » .

فأتى ورقة فذكر له ذلك ، فقال له ورقة : أثبت «٣» ، فأشهد أنك الذي بشر به ابن مريم ، وأنك على مثل ناموس «٤» موسى ، وأنك نبي مرسل ، وأنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ، ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك .

فلما توفي ورقة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد رأيت القس في الجنة وعليه ثياب الحرير ، لأنه آمن بي وصدقني » يعني ورقة .

وروينا عن أبي بكر الشافعي ثنا محمد بن يونس بن موسى ثنا عثمان بن عمر ابن فارس قال : أنا علي بن المبارك الهنائي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة قال : سألت جابر بن عبدالله فقال : لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : جاورت بحراء ، فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ، فنظرت عن يساري فلم أر شيئاً ، فنظرت من خلفي فلم أر شيئاً ، فرفعت رأسي

فرأيت شيئاً بين السماء والأرض ، فأتيت خديجة فقلت : دثروني «٥» وصبوا على ماءً بارداً فدثروني وصبوا على ماءً بارداً فنزلت هذه الآية : « يأيها المدثر قم فأنذر

١- لقد خشيت ، قال في بلوغ الأماني شرح الفتح الرباني » إن معنى هذه العبارة : خشيت على نفسي ألا أقوى على مقاومة هذا الأمر ، ولا أقدر على حمل أعباء الوحي فتزهق نفسي ، وقيل إنه عليه الصلاة السلام يقصد أنه يخشى أن يكون قد أصابه مس ، كما جاء مصرحاً به في حديث ابن عباس » وإني أخشى أن يكون بي جن » أي جنون .

٢- قال ابن إسحق في السيرة ١/٢٥٦ ثم قامت – أي خديجة فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل » وفي الطبري ٢/٣٠٢ أن خديجة هي التي ذهبت مع محمد «ص» إلى ورقة بن نوفل .

٣- في نسخة « أبشر »

٤- الناموس : المقصود به الوحي

٥- دثروني : لفوني بالثياب ، وأصله من الدثار وهو ما فوق ثوب الشعار الذي يلي الجسد .

وربك فكبر » رواه مسلم ، عن ابن مثنى ، عن عثمان بن عمر بن فارس .

وروينا من حديث الزهرى قال : أخبرنى عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أخبرته أنها قالت :« كان أول مابدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء «١» فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه - وهو التعبد - الليالى ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجأة الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال : إقرأ ، قال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذنى فغطنى «٢» حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : : إقرأ ، قلت : ما أنا بقارىء ، فقال : فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال :(اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم «٣») فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره «٤» حتى دخل على خديجة فقال : زملونى زملونى «٥» فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، ثم قال لخديجة : أى خديجة ، مالى ، وأخبرها الخبر ، قال : لقد خشيت على نفسى . قالت : له خديجة : كلا ، أبشر فوالله لا يخزيك الله ابداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل «٦» وتكسب المعدوم ، وتقرى «٧» الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

فانطلقت به خديجة ، حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، وهو ابن عم خديجة أخى أبيها ، وكان امرأ تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربى «٨» ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمى ، فقالت له خديجة : أى عم ، اسمع من ابن أخيك . قال ورقة بن نوفل : يابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة : هذا هو الناموس الذى أنزل على موسى ، ياليتنى فيها جذعاً «٩» ، ياليتنى أكون حياً حين يخرجك قومك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجى هم ؟ قال ورقة : نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً «١٠» .

١- الخلاء : الخلوة .　　٢- غطنى : من الغط ، وهو العصر الشديد

٣- سورة العلق : الآيات ١-٥

٤- بوادره : اللحمة التى بين المنكب ، والعنق ، ترجف وتضطرب وتشتد حركتها عند الفزع .

٥- زملونى : غطونى بالثياب .

٦- الكل : من الكلال وهو الإعياء ، ويطلق على الضعيف واليتيم ونحوهما ، والمراد بحمله الإنفاق عليه

٧- تقرى الضيف : أى تكرمه فى تقديم قراه وإحسان مثواه

٨- فى صحيح البخارى : وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله .

٩- جذعاً : أى شاباً قوياً　　١٠- مؤزراً : قوياً ، من الأزر ، وهو القوة والعون

رويناه من حديث مسلم ، عن أبى الطاهر عن ابن وهب ، عن يونس عنه هذا لفظه ورويناه من طريق البخارى وغيره ولفظهم متقارب

ورويناه من طريق الدولابى ثنا يونس بن عبد الأعلى ثنا عبدالله بن وهب قال : أخبرنى يونس بن زيد ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة رضى الله عنها فذكر نحوما تقدم ، وفى آخره .

ثم لم ينشب «١» ورقة أن توفى ، وفتر الوحى فترة حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزناً غدا «٢» منه مراراً كى يتردى «٣» من رءوس شواهق الجبال «٤» ، فكلما أوفى بذروة «٥» كى يلقى نفسه منها تبدى له جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إنك رسول الله حقاً ، فيسكن لذلك جأشه وتقر «٦» نفسه فيرجع ، فإذا طال عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى ذروة تبدى له جبريل فقال مثل ذلك .

وعن عبيد بن عمير ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور فى حراء من كل سنة شهراً ، وكان ذلك مما تحنث به قريش فى الجاهلية ، والتحنث : التبرر ، فكان يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف قبل أن يدخل بيته الكعبة فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله ، ثم يرجع إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله به فيه ما أراد من كرامته ، وذلك الشهر رمضان ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ، ورحم العباد بها جاءه جبريل بأمر الله تعالى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجاءنى وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال : اقرأ : قلت : ما أقرأ ؟ فغتنى به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ فقلت : ما أقرأ ، فغتنى به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى ، فقال اقرأ ، قلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لى بمثل ما صنع ، قال (أقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، أقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم)

فقرأتها ، ثم أنتهى فانصرف عنى ، وهببت من نومى فكأنما كتبت فى قلبى كتاباً فخرجت ، حتى إذا كنت فى وسط الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل ، فرفعت رأسى إلى السماء أنظر فإذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء ، يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل ،

١- لم ينشب : أى لم يلبث . وأصل النشوب : التعلق ، أى لم يتعلق بشىء من الامور حتى مات

٢- غدا : ذهب ٣- يتردى : يسقط

٤- شواهق الجبال : أى الجبال العالية

٥- ذروة جبل : بكسر الذال وتفتح وتضم ، أى أعلى الجبل .

٦ - جاشه : أى اضطراب قلبه ، وتقر : بفتح القاف وكسرها أى تطمئن نفسه .

فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما اتأخر وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء ، فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فمازلت واقفاً ما أتقدم أمامي وما أرجع خلفي ، حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي فبلغوا مكة ورجعوا إليها ، وأنا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف عني ، وانصرفت راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة ، فجلست إلى فخذها مضيفاً «١» إليها فقالت : يا أبا القاسم ، أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك فبلغوا مكة ورجعوا إليّ ، ثم حدثتها بالذي رأيت ، فقالت : أبشر يا ابن عمي وأثبت ، فوالذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة . ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل ، وهو ابن عمها ، وكان قد تنصر وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى وسمع فقال ورقة : قدوس قدوس ، والذي نفسي بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ، وإنه لنبي هذه الأمة ، فقولي له فليثبت ، فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف ، صنع ما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة ، فقال له : يا بن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة : والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ، ولتكذبنه ، ولتؤذينه ولتقاتلنه ، و لئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه «٢» ثم أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله .

ورويناً عن أبي بشر ثنا عبدالله بن عبدالرحيم ثنا عبدالملك بن هشام ، عن زياد قال : قال محمد بن إسحق :حدثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير أنه حدث ، عن خديجة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم :أي ابن عم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم ، قالت : فإذا جاء فأخبرني به ، فجاءه جبريل عليه السلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا خديجة هذا جبريل قد جاءني . قالت : قم يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى ، قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم قالت : فتحول فاقعد على فخذي اليمنى ، قال : فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد على فخذها اليمنى ، فقالت هل تراه ؟ قال : نعم قالت : فتحول فاجلس في حجري ، فتحول فجلس في حجرها ، ثم قالت هل تراه ؟ قال : نعم قال : فتحسرت «٣» فألقت خمارها ورسول

١- مضيفاً : أي ملتصقاً بها مائلاً إليها ، أضفت إلى الرجل ، إذا ملت نحوه ولصقت به .

٢- اليافوخ : وسط الرأس .

٣- تحسرت : ألقت خمارها ، ويقال أيضاً : تحسر الرجل ، إذا ألقى عمامته عن رأسه .

الله صلى الله عليه وسلم جالس فى حجرها ثم قالت : هل تراه قال : لا قالت : يا ابن عم أثبت وأبشر ، فوالله إنه لملك ما هذا بشيطان .

وفى رواية يونس ، وروى عطاء بن السائب ، وأبو بشر ، وابن إسحق كلهم ، عن سعيد ابن جبير دخل حديث بعضهم فى بعض ، عن ابن عباس قال : كان لكل قبيل من الجن مقعد فى السماء يستمعون فيه فلما رموا بالشهب ، وحيل بينهم وبين خبر السماء قالوا : ما هذا إلا لشىء حدث فى الأرض ، وشكوا ذلك إلى إبليس - لعنه الله - فقال : ما هذا إلا لأمر حدث فائتونى من تربة كل أرض ، فإنطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون علم ذلك فأتوه من تربة كل أرض فكان يشمها ويرمى بها ، حتى أتاه الذين توجهوا إلى تهامة بتربة من تربة مكة فشمها وقال : من ها هنا يحدث الحدث فنظروا فإذا النبى صلى الله عليه وسلم قد بعث ، ثم انطلقوا فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة معه من أصحابه بنخلة «١» عامدين إلى سوق عكاظ ، وهو يصلى بهم صلاة الفجر «٢» فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا : هذا والله الذى حال بيننا وبين خبر السماء ، فولوا إلى قومهم منذرين فقالوا : يا قومنا (إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدى إلى الرشد «٣»)

وذكر تمام الخبر .

وقال شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم النخعى نزلت عليه « يأيها المدثر » وهو فى قطيفة وقال شيبان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم : أول سورة أنزلت عليه (اقرأ باسم ربك الذى خلق) وهو قول عائشة ، وعبيد بن عمير ، ومحمد بن عباد بن جعفر ، والحسن البصرى ، وعكرمة ، ومجاهد ، والزهرى .

روينا عن أبى على بن الصواف ثنا جعفر بن أحمد ثنا محمد بن خالد بن عبدالرحمن ثنا إبراهيم بن عثمان وهو ابن أبى شيبة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مقسم ، عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كان من الأنبياء من يسمع الصوت فيكون نبياً بذلك ، وإن جبريل يأتينى فيكلمنى كما يأتى أحدكم صاحبه فيكلمه » .

أخبرنا عبدالله بن أحمد بن فارس التميمى وغيره سماعاً وقراءة قالوا : أنا أبو اليمن الكندى قراءة عليه ونحن نسمع قال أنا أبو القاسم الحريرى قال أنا أبو طالب العشارى قال أنا أبو الحسين الواعظ ثنا أبو الحسن على بن محمد بن أحمد المصرى ثنا بكر ابن سهيل ثنا شعيب بن يحيى ثنا الليث بن سعد ، قال : حدثنى سعيد بن أبى سعيد ، عن

١- نخلة : واد على بعد ليلة من مكة وكانت عكاظ بينه وبين الطائف وكان سوقها ينعقد فى ذى القعدة عشرين يوماً .

٢- فرضت الصلاة فى أول المبعث ، وكانت كل صلاة ركعتين ركعتين ، ويقال إنها كانت أولاً ركعتين فى الغداة وركعتين فى العشى ، ثم فرضت الصلوات الخمس ليلة الإسراء .

٣- سورة الجن «١» .

أبيه ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من الأنبياء من نبى إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما الذى أوتيت وحياً أوحاه الله عز وجل إلىّ فارجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » .
وكان نزول جبريل له عليه السلام فيما ذكر يوم الإثنين لسبع فى رمضان ، وقيل : لسبع عشرة مضت منه رواه البراء بن عازب وغيره .
وعن أبى هريرة إنه كان فى السابع والعشرين من رجب
وقال أبو عمر : يوم الإثنين لثمان من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل ، وقد قيل غير ذلك .

ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار

حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على رأس أربعين المتفق عليه بين أهل النقل ، مما فيه إقامته عليه السلام بالمدينة عشراً ، وأما إقامته بمكة فمختلف فى مقدارها ، وسيأتى ذلك فى آخر الكتاب عند ذكر وفاته عليه السلام .
وأما سنه عليه السلام حين نبىء ، فالمروى عن ابن عباس ، وجبير بن مطعم ، وقباث ابن أشيم ، وعطاء ، وسعيد بن المسيب كالمروى ، عن أنس وهو الصحيح عند أهل السير وغيرهم قال أبو القاسم السهيلى : وقد روى أنه نبىء لأربعين وشهرين .
وفى حديث عمرو بن شعيب ، فاجتمع رجال من أصحابه يحرسونه حتى إذا صلى والمراد – والله أعلم – ينتظرون فراغه من الصلاة ، وأما حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين فقد كان انقطع منذ نزلت (والله يعصمك من الناس «١») وذلك قبل تبوك ، والله أعلم .
وحديث جابر بن سمرة : إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علىّ ، هذا هو المعروف بغير زيادة ، وقد روى أن ذلك الحجر هو الحجر الأسود .
يحتمل أن يكون هذا التسليم حقيقة ، وأن يكون الله أنطقه بذلك كما خلق الحنين فى الجذع ، ويحتمل أن يكون مضافاً إلى ملائكة يسكنون هناك من باب (واسأل القرية «٢») فيكون من مجاز الحذف ، وهو علم ظاهر من أعلام النبوة على كلا التقديرين .
وفى حديث عبيد بن عمير فى خبر نزول جبريل عليه السلام ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجاءنى وأنا نائم ، فهذه حالة ، وحديث عائشة وغيرها أنه كان فى اليقظة فهذه حالة ثانية ، ولا تعارض لجواز الجمع بينهما بوقوعهما معاً ويكون الإتيان فى النوم توطئة للإتيان فى اليقظة .

١- سورة المائدة : الآية ٦٧ ٢- سورة يوسف : الآية ٨٢

وقد قالت عائشة : أول ما بدىء به عليه السلام من الوحى الرؤيا الصادقة ، وعن الشعبى أن رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ، وكل به إسـرافـيل فكان يتـراءى له ثلاث سنين ، ويأتيه بالكلمـة من الوحى ، ثم وكل به جبـريل فـجاءه بالقرآن والوحى فـهذه حـالة ثالثة لمجىء الوحى ، ورابعـة : وهى أن ينفث فى روعه الكلام نفثاً كما قال عليه السلام «إن روح القدس نفث فى روعى إن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب »

وخامسة : وهى أن يأتيه الوحى فى مثل صلصلة «١» الجرس ، وهو أشده عليه ، وقيل : إن ذلك يستجمع قلبه عند تلك الصلصلة فيكون أوعى لما يسمع .

وسادسة : وهى أن يكلمه الله من وراء حجاب إما فى اليقظة كما فى ليلة الإسراء ، وإما فى النوم كما فى حديث معاذ : أتانى ربى فى أحسن صورة ، فقال : فيم يختصم الملأ الأعلى ؟

وكان الملك يأتيه عليه السلام تارة فى صورته له ستمائة جناح كما روى ، وتارة فى صورة دحية الكلبى ، فهذه حالات متعددة ذكر معناها السهيلى :

وقوله : فغطنى ويروى فسأبنى ، ويروى سأتنى ، ويروى فزعتنى وكلها واحد وهو الخنق والغم .

والناموس : صاحب سر الملك ، وقال بعضهم الناموس صاحب سر الخير ، والجاسوس صاحب سر الشر .

ومؤزراً : الأزر وهو القوة والعون .

واليأفوخ مهموز ولا يقال فى رأس الطفل يأفوخ حتى يشتد ، وإنما يقال له الغاذية .

وفترة الوحى لم يذكر لها ابن إسحق مدة معينة ، قال أبو القاسم السهيلى : وقد جاء فى بعض الأحاديث المسندة أنها كانت سنتين ونصف سنة . والله أعلم .

ذكر صلاته عليه السلام أول البعثة

قال ابن إسحق : حدثنى بعض أهل العلم أن الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو بأعلى مكة ، فهمز له بعقبه فى ناحية الوادى فانفجرت منه عين ، فتوضأ جبريل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر ليريه كيف الطهور للصلاة ، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل يتوضأ ، ثم قام به جبريل فصلى به وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته ، ثم انصرف .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل ، فتوضأت كما توضأ لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم صلى بها

١- الصلصلة : صوت ذو رنين

رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صلى به جبريل فصلت بصلاته ، كذا ذكره ابن إسحق مقطوعاً ، وقد وصله الحارث بن أبى أسامة ، ثنا الحسن بن موسى ، عن ابن لهيعة ، عن عقيل بن خالد ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن أسامة بن زيد قال : حدثنى أبى زيد بن حارثة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول ما أوحى إليه أتاه جبريل عليه السلام فعلمه الوضوء ، فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة من ماء فنضح [1] بها فرجه - قاله السهيلى - وقد رويناه من طريق ابن ماجه ، عن إبراهيم بن محمد الفريابى ، عن حسان بن عبدالله ، عن ابن لهيعة ، عن عقيل ، عن الزهرى بسنده بمعناه وقد روى نحوه ، عن البراء بن عازب ، وابن عباس رضى الله عنهم : وفى حديث ابن عباس : وكان ذلك أول من الفريضة ، وعن مقاتل بن سليمان : « فرض الله فى أول الإسلام الصلاة ركعتين بالغداة ، وركعتين بالعشى ، ثم فرض الخمس ليلة المعراج) .

وأما إمامة جبريل بالنبى صلى الله عليه وسلم عند البيت ليريه أوقات الصلوات الخمس فليس هذا موضع الحديث ، وإن كان ابن إسحق وضعه هنا من طريق ابن عباس لإتفاق أصحاب الحديث على أن هذه الواقعة كانت صبيحة الإسراء وهو بعد هذا بأعوام ، كما سيأتى مبيناً عند ذكر أحاديث المعراج والإسراء إن شاء الله تعالى .

١- النضح : الرش

ذكر أول الناس إيماناً بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم

وأول الناس إيماناً خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصى بن كلاب فيما أتت به الآثار ، وذكره أهل السير والأخبار منهم ابن شهاب وقتادة وغيرهما .

وروينا عن الدولابى ثنا أبو أسامة الحلبى ثنا حجاج بن أبى منيع ثنا جدى ، عن الزهرى قال : كانت خديجة أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروينا عن الدولابى أيضاً ثنا أحمد بن المقدام أبو الأشعث ثنا زهير بن العلاء ثنا سعيد ابن أبى عروبة ، عن قتادة قال : كانت خديجة أول من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم من النساء والرجال ، وهو قول موسى بن عقبة ، وابن إسحق ، والواقدى ، والأموى وغيرهم .

قال ابن إسحق : كانت خديجة أول من آمنت بالله ورسوله وصدقت ما جاء من عند الله عز وجل ، ووازرته على أمره ، فخفف الله بذلك عن رسوله ، فكان لا يسمع شيئا يكرهه من رد عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها : تثبته ، وتخفف عليه ، وتصدقه ، وتهون عليه أمر الناس ، حتى ماتت رضى الله عنها .

أخبرنا عبدالرحيم بن يوسف المزى بقراءة والدى عليه ، قال أنا أبو حفص بن طبرزد قال : أنا محمد بن عبدالباقى قال أنا الحسن بن على الجوهرى قال : أنا ابن الشخير قال : أنا إسحق يعنى ابن موسى الرملى ثنا سهل بن بحر ثنا عبيد يعنى ابن يعيش ثنا أبو بكر بن عياش ، عن الشيبانى ، عن عبدالله بن أبى أوفى رضى الله عنه قال : بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة ببيت فى الجنة من ذهب لا صخب فيه ولا نصب .

أخبرنا أحمد بن عبدالرحمن الحارثى ، ويحيى بن أحمد الجرامى فى آخرين قالوا : أنا أبو عبدالله بن أبى المعالى قال : أنا أبو محمد السعدى ، قال : أنا على بن الحسين المصرى ، قال : أنا أبو العباس أحمد بن الحسين بن جعفر العطار قراءة عليه وأنا أسمع أنا أبو محمد الحسن بن رشيق العسكرى ثنا أبو عبدالله محمد بن رزيق بن جامع المدينى سنة سبع وتسعين ومائتين ، قال : ثنا أبو الحسين سفيان بن بشر الأسدى الكوفى ثنا على بن هاشم بن البريد ، عن محمد عبدالله بن أبى رافع ، عن أبيه ، عن جده أبى رافع قال : صلى النبى صلى الله عليه وسلم أول يوم الإثنين ، وصلت خديجة رضى الله عنها آخر يوم الإثنين ، وصلى علىّ يوم الثلاثاء من الغد الحديث - ثم على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، واسم أبى طالب عبد مناف بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب ، وكان على أصغر من جعفر بعشر سنين ، وجعفر أصغر من عقيل بعشر سنين وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين .

قال أبو عمر : وروى عن سلمان ، وأبى ذر ، والمقداد ، وخباب ، وجابر ، وأبى سعيد الخدرى ، وزيد بن أرقم : أن على بن أبى طالب أول من أسلم ، وكذلك قال ابن إسحق ،

وهو قول ابن شهاب إلا أنه قال : من الرجال بعد خديجة ، وهو قول الجميع فى خديجة وأسلم أخواه جعفر وعقيل بعد ذلك ، وكان يومئذ ابن ثمان سنين ، وقيل : عشرة ، وقيل :اثنتا عشرة وقيل : خمس عشرة .

قال ابن إسحق : وكان مما أنعم الله عليه أنه كان فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام ، وذلك أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة [١] ، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه - وكان من أيسر بنى هاشم - « يا عباس إن أخاك أبا طالب كثيرالعيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه فلنخفف من عياله آخذ من بنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً فنكفهما عنه » قال العباس : نعم ، فانطلقا ، حتى أتيا أبا طالب فقالا : إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك ، حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، قال لهما أبو طالب : إذا تركتما لى عقيلا فاصنعا ما شئتما ، ويقال : عقيلا وطالبا ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً فضمه إليه ، وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه ، فلم يزل على مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله نبياً ، فاتبعه علىّ وآمن به ، وصدقه ، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه .

روينا من طريق أبى بكر الشافعى بالإسناد المتقدم ثنا محمد بن بشر بن مطر ثنا محمد ابن حميد ثنا سلمة بن الفضل قال : حدثنى محمد بن إسحق ، عن يحيى بن أبى الأشعث عن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندى - أخا الأشعث بن قيس لأمه ، وكان ابن عمه عن أبيه ، عن جده عفيف الكندى قال : كان العباس بن عبدالمطلب لى صديقاً ، وكان يختلف إلى اليمن يشترى العطر ويبيعه أيام الموسم ، فبينما أنا عند العباس بمنى فأتاه رجل مجتمع ، فتوضأ فأسبغ الوضوء ، ثم قام يصلى فخرجت امرأة فتوضأت ثم قامت تصلى ، ثم خرج غلام قد راهق ، فتوضأ ، ثم قام إلى جانبه يصلى ، فقلت : ويحك يا عباس ما هذا الدين ؟ قال : هذا دين محمد بن عبدالله ، ابن أخى يزعم أن الله بعثه رسولا - وهذا ابن أخى على بن أبى طالب قد تابعه على دينه ، وهذه امرأته خديجة قد تابعته على دينه ، فقال عفيف بعد أن أسلم ورسخ فى الإسلام : يا ليتنى كنت رابعاً وذكر ابن إسحق ، عن بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه على بن أبى طالب مستخفيا من أبى طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا ، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا ، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن أخى ما هذا الدين الذى أراك تدين به ؟ قال :

١- الأزمة : هى الشدة وأراد بها سنة القحط والجوع .

« أى عم ، هذا دين الله ودين ملائكته ورسله ودين أبينا إبراهيم أو كما قال صلى الله عليه وسلم « بعثنى الله به رسولاً إلى العباد ، وأنت أى عم ، أحق من بذلت له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى ، وأحق من أجابنى إليه وأعاننى عليه أو كما قال . فقال أبو طالب : أى ابن أخى ، إنى لا أستطيع أن أفارق دين آبائى وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخلص (١) إليك بشىء تكرهه ما بقيت ، وذكروا أنه قال لعلى : أى بنى ما هذا الدين الذى أنت عليه ؟ فقال : يا أبت آمنت برسول الله ، وصدقت بما جاء به ، وصليت معه لله واتبعته ، فزعموا أنه قال له : أما أنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه .

قال ابن إسحق : ثم أسلم زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة ابن زيد الله بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبره كذا عند ابن هشام الكلبى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أول ذكر أسلم وصلى بعد على بن أبى طالب .

وكان زيد أصابه سباء فى الجاهلية ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم ، ثم وهبته خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك . وتتبع أهله خبره حتى دلوا عليه فأتوا فى طلبه فخيره رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المكث عنده أو الرجوع مع أهله فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام عنده وخبره بذلك مشهور .

ثم أسلم أبو بكر بن أبى قحافة رضى الله عنه ، واسمه عتيق ، وقيل : عبدالله وعتيق لقب لحسن وجهه وعتقه وقيل غير ذلك واسم أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤى .

فلما أسلم أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلى رسوله ، وكان أبو بكر مؤلفا لقومه محبباً سهلا ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلمهم بها وبما كان فيها من خير وشر ، وكان تاجراً ذا خلق ومعروف ، فكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لتجارته ، وحسن مجالسته ، وغير ذلك فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه فأسلم بدعائه فيما بلغنى عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبدمناف ابن قصى بن كلاب بن مرة ، والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى ابن قصى ، وعبدالرحمن بن عوف بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة ، وسعد بن أبى وقاص واسم أبى وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، وطلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا فأسلموا وصلوا ، فكان رسول الله

١- لا يخلص إليك بشىء : أى لا يوصل إليك .

صلى الله عليه وسلم يقول - فيما بلغني - ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة «١» ونظر وتردد إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ما عكم «٢» عنه حين ذكرته له وما تردد فيه .

قال : فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالاسلام ، فصلوا وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصدقوا ما جاءه من عند الله .

ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث ابن فهر ، وأبو سلمة عبدالله بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ابن يقظه بن مرة بن كعب بن لؤى ، والأرقم بن أبي الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهيب بن حذافة بن جمح بن عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤى ، وأخواه قدامة وعبدالله ، وعبيدة بن الحرث بن المطلب ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح ابن عبدالله بن قرط بن رذاح بن عدى بن كعب بن لؤى .

وعند ابن هشام تقديم عبدالله بن قرط على رياح ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب ابن نفيل ، وأسماء ابنة أبي بكر وعائشة «٣» أختها وهي صغيرة ، وخباب بن الأرت بن جندلة ابن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم الخزاعي ولاء الزهرى حلفاً وعمير بن أبي وقاص أخو سعد ، وعبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ ابن فار بن مخزوم بن هالة بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة .

وعند ابن هشام فيه خلاف ما ذكرناه : حليف بني زهرة ، ومسعود بن ربيعة القارىء ابن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن جمالة بن غالب بن محلم بن عايدة بن سبيع بن الهون ابن خزيمة بن القارة ، وسليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤى ، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، وامرأته أسماء بنت سلامة بن مخربة بن جندل بن أبير بن نهشل بن دارم الدرامية التميمية ، وخنيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد «٤» بن سهم بن عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤى ، وعامر بن ربيعة العنزى - بإسكان النون - وهو فيما ذكر ابن الكلبي - عامر بن ربيعة الأصغر بن حجير بن سلاميان بن مالك بن ربيعة الأكبر ابن

١- كبوة : يعني تأخيراً وقله إجابة ، ومنه كبا الزند ، إذا لم يخرج ناراً ٢- عكم : أى تردد .

٣- ذكره لعائشة رضي الله عنها وهم منه ، وذلك أن عائشة ولدت بعد إسلام أبيها بأربع سنين فهي مولودة في الإسلام مسلمة باسلام أبيها تبعاً له بالاجماع فلا ينبغي أن تعد ممن حدث إسلامه .

وقد جاء في طريق صحيح قول عائشة رضي الله عنها : لم أعقل أبوى إلا وهما يدينان الدين فإن لم يكونا أسلما قبل ولادتها فقد أسلما قبل أن تميز ، والطفل قبل سن التمييز يسلم باسلام أبيه طبعاً إجماعاً إسلاماً حكمياً كإسلام المولود في الإسلام .

٤- كذا وقع وصوابه سعد ، وإنما سعيد ابنه قاله أبو ذر

رفيدة بن عبدالله وهو عنز بن وائل قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار حكاه الرشاطى قال : وذكر أبو عمر فى نسبه اختلافا كثيراً لا يتحصل منه شىء ، وهو حليف آل الخطاب .

وعبدالله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان ابن أسد بن خزيمة ، وأخوه أبو أحمد حليفا بنى أمية ، وجعفر بن أبى طالب ، وامرأته أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة من خثعم كذا هو عند ابن إسحق - وعند أبى عمر - أسماء بنت عميس بن معد بن الحرث بن تيم بن كعب ابن الحرث بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن نسر ابن وهب الله بن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل ، وهو جماعة خثعم بن أنمار على اختلاف فى أنمار ، وقيل : أسماء بنت عميس بن مالك بن النعمان بن كعب بن مالك ابن قحافة بن عامر بن زيد بن نسرين وهب الله .

وحاطب بن الحرث بن معمر بن وهب بن حذافة بن جمح ، وامرأته فاطمة بنت المجلل ابن عبدالله بن أبى قيس بن الحرث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، والسائب ابن عثمان بن مظعون ، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة وامرأته رملة بنت أبى عوف بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب ابن لؤى ، والنحام نعيم بن عبدالله بن أسد بن عبدالله بن عوف بن عبيد بن عويج ابن عدى بن كعب ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية ابن عبدشمس ، وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع «١» ابن خثعمة «٢» بن سعد بن مليح بن عمرو بن خزاعة ، وحاطب بن عمرو بن عبدشمس ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ، وأبو حذيفة مهشم بن عتبة ابن ربيعة بن عبدشمس بن عبد مناف ، وواقد بن عبدالله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة ابن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم حليف بنى عدى ، وخالد وعامر وعاقل وإياس بنو البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة من بنى سعد بن ليث بن بكر ابن عبد مناة بن كنانة حلفاء بنى عدى ، وعمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوديم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام بن عنس وهو زيد بن مالك بن أدد ومالك وجماع مذحج حليف بنى زهرة ، وصهيب بن سنان بن مالك ابن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن أوس مناة ابن أسلم بن النمر بن قاسط - كذا هو عند ابن الكلبي - وعند أبى عمر :

١- قال أبو ذر (وقوله فى نسب أمينة : بن بياضه بن سبيع ، كذا وقع هنا وصوابه يثيع : بياء مضمومه مثناه النقط وثا مثلثة) .

٢- قال أبو ذر(وقوله ابن خثعمة بن سعد ، وقع هنا بخاء معجمة مفتوحة ، وصوابه جعثمة بجيم مكسورة وعين ساكنة وثاء مثلثة مكسورة) .

سنان بن خالد بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب ابن سعد ، قال : إلى هنا نسب ابن إسحق - ونسبه الواقدى وخليفة وابن الكلبى وغيرهم فقالوا : صهيب بن سنان بن خالد بن عبد عمرو بن طفيل بن كعب بن سعد ، ومنهم من يقول : ابن سفيان بن جندلة بن مسلم بن أوس بن زيد مناة بن النمر بن قاسط يقال له الرومى[1] وكان مولى لعبدالله بن جدعان .

وذكر أبو عمر فى السابقين : أباذر جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام ابن غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وأبا نجيح السلمى عمرو ابن عبسة بن منقد بن خالد بن حذيفة بن عمر بن خلف بن مازن بن مالك بن ثعلبة بن بهثة ابن سليم ، ومازن بن مالك أمه بجلة بنت هناءة بن مالك بن فهم وإليها ينسب البجلى بسكون الجيم - ذكره كذلك الرشاطى - وحكى عن أبى عمر فى نسبه غير ذلك ، وصحح ما ذكرناه .

وحكى عن أبى عمر فى نسبه غاضرة بن عتاب ، وزعم أنه خطأ ، وأن الصواب فى ذلك النسب ناضرة بن خفاف ، قال أبو عمر : ولكنهما ، يعنى أباذر وأبا نجيح - رجعا إلى بلاد قومهما ، وذكر فيهم عتبة بن مسعود ، أخا عبدالله بن مسعود وكان سبب إسلام عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ، ما رويناه من طريق أبى على بن الصواف بالسند المتقدم ذكره . حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل ، ورويناه من طريق الطبرانى فى معجمه الصغير ، ثنا عمرو بن عبدالرحمن السلمى قالا ، ثنا إبراهيم بن الحجاج الشامى ، واللفظ للأول ، قال ، ثنا سلام أبو المنذر ثنا عاصم بن بهدلة ، عن زر بن حبيش ، عن عبدالله بن مسعود قال : كنت فى غنم لآل عقبة بن أبى معيط ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر بن أبى قحافة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هل عندك لبن ؟ قلت : نعم ، ولكنى مؤتمن ، قال : « فهل عندك من شاة لم ينز عليها الفحل ؟» قلت نعم ، فأتيته بشاة شصوص ، قال سلام : وهى التى ليس لها ضرع ، فمسح النبى صلى الله عليه وسلم مكان الضرع ومالها من ضرع ، فإذا ضرع حافل مملوء لبناً ، قال : فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم بصخرة متقعرة ، فاحتلب النبى صلى الله عليه وسلم فسقى أبا بكر وسقانى ثم شرب ، ثم قال للضرع : «أقلص » ، فرجع كما كان . قال : فلما رأيت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : يا رسول الله علمنى ، فمسح رأسى وقال : «بارك الله فيك فإنك غلام معلم » قال : فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فبينا نحن عنده على حراء ، إذ نزلت عليه سورة المرسلات ، فأخذتها وإنها لرطبة بفيه أو أن فاه لرطب بها ، فلا أدرى بأى الآيتين ختم (وإذا قيل لهم اركعوا لا

١- لقب بالرومى لأخذه بلسان الروم إذ سبوه وهو صغير . أنظر أسد الغابة ٣٦/٣

يركعون) أو (فبأى حديث بعده يؤمنون) وأخذت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة ، وأخذت بقية القرآن من أصحابه ، فبينا نحن نيام على حراء أو على الجبل فما نبهنا إلا صوت النبى صلى الله عليه وسلم : « منعها منكم الذى منعكم منها » قال : قلت : يا رسول الله ، وما ذاك ؟ قال : حية خرجت من ناحية الجبل .

ذكر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه وغيرهم إلى الإسلام

قال ابن إسحق : ثم دخل الناس فى الإسلام أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به ، ثم إن الله عز وجل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه منه ، وأن ينادى فى الناس بأمره ، ويدعو إليه ، وكان مدة ما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستتر به إلى أن أمره الله بإظهاره ثلاث سنين – فيما بلغنى من مبعثه ثم قال الله له (فاصدع «١» بما تؤمر وأعرض عن المشركين «٢») ثم قال : (وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون «٣») .

فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بالإسلام ، وصدع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه ، حتى ذكر آلهتهم وعابها فلما فعل ذلك أعظموه ، وناكروه ، وأجمعوا خلافه وعداوته صلى الله عليه وسلم إلا من عصم الله منهم بالإسلام ، وهم قليل مستخفون ، وحدب «٤» على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب ومنعه ، وقام دونه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مظهراً له لا يرده شىء .

فلما رأت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعتبهم «٥» من شىء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حدب عليه وقام دونه ولم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشرافهم إلى أبى طالب فقالوا له : يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلى بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً وردهم رداً جميلاً ، فانصرفوا عنه .

١– قال ابن هشام : فاصدع : افرق بين الحق والباطل

٢– سورة الحجر : الآية ٩٤

٣– سورة الشعراء : الآيات ٢١٤ – ٢١٦

٤– حدب : عطف عليه ومنعه

٥– لا يعتبهم من شىء : أى لا يرضيهم

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه ثم شرى «١» الأمر بينه وبينهم ، حتى تباعد الرجال وتضاغنوا «٢» وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها فتذامروا «٣» عليه ، وحض بعضهم بعضاً عليه ، ثم إنهم مشوا إلى أبى طالب مرة أخرى ، فقالوا : يا أبا طالب ، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا ، وإنا قد إستنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله «٤» وإياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين أو كما قال ، ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خذلانه «٥» .

وذكر أن أبا طالب لما قالت له قريش هذه المقاله بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا ابن أخى ، إن قومك قد جاءونى فقالوا لى كذا وكذا ، للذى قالوا له فأبق علىّ وعلى نفسك ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق ، فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بداء «٦» ، وأنه خاذله ومسلمه ، وأنه ضعف عن نصرته والقيام معه ، فقال له : يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى «٧» والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ، ثم قام ، فلما ولى ناداه أبو طالب فقال : أقبل يا ابن أخى ، فأقبل عليه فقال : إذهب يا ابن أخى ، فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشىء أبداً .

ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامه وإجماعه لفراقهم فى ذلك وعداوتهم – مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له : يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى «٨» فى قريش وأجمله ، فخذه فلك عقله «٩» ونصره ، واتخذه ولداً وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذى خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه أحلامهم فنقتله فإنما هو رجل كرجل ، قال : والله لبئس ما تسوموننى «١٠» أتعطونى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه ؟ هذا والله ما

١– شرى : كثر وتزيد

٢– تضاغنوا : أى تعادوا ، والضغن العداوة والحقد .

٣– فى الطبرى ٢/ ٢٢٠ عن ابن إسحق ، «وتذامروا» معناه حض بعضهم بعضا

٤– ننازله وإياك : أى نحاربكما ٥– خذلانه : تركه

٦– البداء : الإسم من «بدا» يريد ظهر له رأى

٧– قال السهيلى : «خص الشمس باليمين ، لأنها الآية المبصرة ، وخص القمر بالشمال لأنها الآية الممحوة ، وقد قال عمر رحمه الله لرجل قال له : إنى رأيت فى المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ، ومع كل واحد منهما نجوم فقال عمر : مع أيهما كنت : فقال : مع القمر ، قال : كنت مع الآية الممحوة ، إذهب فلا تعمل لى عملاً ، وكان عاملاً فعزله ، فقتل الرجل فى صفين مع معاوية .

٨– أنهد : أشد وأقوى

٩– فلك عقله : أى ديته إذا قتل ١٠– تسوموننى : تكلفوننى

لا يكون أبدا «١». فقال المطعم بن عدى : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما نكرهه فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً ، فقال له أبو طالب : والله ما أنصفونى ، ولكنك أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم «٢» علىّ فاصنع ما بدا لك ، فحقب الأمر «٣» وتنابذ القوم وبادى بعضهم بعضاً .

قال : ثم إن قريشاً تذامروا بينهم على من فى القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله تعالى منهم رسوله بعمه أبى طالب ، وقد أقام أبو طالب حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون - فى بنى هاشم وبنى المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فاجتمعوا إليه وأقاموا معه ، وأجابوه إلا ما كان من أبى لهب .

روينا عن أبى بكر الشافعى ثنا إسحق بن الحسن بن ميمون الحربى ثنا عبدالله ابن رجاء ثنا سعيد بن سلمه بن أبى الحسام ثنا محمد بن المنكدر أنه سمع ربيعة بن عباد أو عياد الدؤلى يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف على الناس فى منازلهم قبل أن يهاجر إلى المدينة يقول : يأيها الناس إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، قال: ووراءه رجل يقول : يأيها الناس، إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم فسألت : من هذا الرجل ؟ فقيل : أبو لهب .

قال ابن إسحق : ثم إن الوليد بن المغيرة إجتمع إليه نفر من قريش ، وكان ذاسن فيهم ، وقد حضر الموسم ، فقال لهم : يا معشر قريش : إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقول فيه قال : بل أنتم فقولوا أسمع ، قالوا : نقول : كاهن ، قال : والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة «٤» الكاهن ولا سجعه . قالوا ، فنقول : مجنون قال : والله ما هو بمجنون ، ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه «٥» ولا تخالجه «٦» ولا وسوسته «٧» قالوا : فنقول شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه

١- وفى رواية أخرى عن السهيلى : أن أبا طالب قال لهم حين سألوه أن يأخذ عمارة بدلاً من محمد عليه الصلاة والسلام : « أرأيتم ناقة تحن إلى غير فصيلها وترامه ، لا أعطيكم ابنى تقتلونه أبداً ، وآخذ ابنكم أكفله وأغذوه »وهو معنى ما ذكر ابن سيد الناس

٢- مظاهرة القوم : يريد إعانتهم ٣- حقب الأمر : اشتد وزاد

٤- زمزمة الكاهن : كلام خفى لايفهم وسجعه أن يجعل لكلامه المنثور نهايات كنهايات الشعر .

٥- الخنق : الإختناق الذى يصيب المجنون

٦- التخالج : اختلاج الأعضاء وتحركها عن غير إرادة

٧- الوسوسة : ما يلقيه الشيطان فى نفس الإنسان

وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه «١» فما هو بالشعر . قالوا ، فنقول : ساحر ، قال : ما هو بساحر ، قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده «٢» قالوا : فما تقول أنت يا أبا عبدشمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناه «٣» وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك «٤» ، فجعلوا يجلسون لسبل «٥» الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا له أمره ، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتشر ذكره فى بلاد العرب كلها .

قوله : لعذق بفتح العين المهملة وسكون الذال إستعارة من النخلة التى ثبت أصلها وهو العذق ورواية ابن هشام لغدق بغين معجمه وكسر الدال المهملة من الغدق وهو الماء الكثير قال السهيلى : ورواية ابن إسحق أفصح لأنها إستعارة تامة يشبه آخر الكلام لأوله .

١- هذه كلها أنواع من الشعر

٢- نفثه ولا عقده : هذا إشارة إلى ما كان يفعل الساحر ، إذ كان يأخذ خيطاً فيعقده ه ثم ينفث عليه

٣- لجناة : أى فيه تمر يجنى

٤- أنزل الله تعالى فى الوليد بن المغيرة وفى ذلك من قوله :

(ذرنى ومن خلقت وحيداً ، وجعلت له مالاً ممدوداً ، وبنين شهوداً ، ومهدت له تمهيداً ، ثم يطمع أن أزيد ، كلا إنه كان لآياتنا عنيداً . سأرهقه صعوداً ، إنه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ، ثم عبس وبسر، ثم أدبر واستكبر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر) « سورة المدثر الآيات ١١-٢٥»

مهدت له تمهيداً : المراد هيأت له المال والزعامة والجاه العريض

لآياتنا عنيداً : المراد شديدة المعاندة للقرآن ، سأرهقه : أى سأحمله صعودا : أصله العقبة التى يصعب تخطيها والمراد أمراً شاقاً . قدر : أى قدر ما يمكن أن يقال فى القرآن . عبس : أى قطب ما بين عينيه متألما من عدم العثور على مطعن بسر : أى تغير شكل وجهه ، وقبح منظره . يؤثر : أى يروى ويتعلم .

٥- السبل : طرق الناس ، واحدها سبيل

ذكر ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذى قومه وصبره ، وما من الله به من حمايته له

أخبرنا الإمام أبو عبدالله محمد بن إبراهيم المقدسى ، وأبو محمد عبدالعزيز بن عبد المنعم الحرانى قراءة عليهما وأنا حاضر ، فالأول قال : أنا أبو اليمن الكندى والثانى قال : أنا أبو على بن أبى القاسم البغدادى قالا أنا محمد بن عبدالباقى قال : أنا ابن حسنون ، قال : أنا أبو القاسم السراج هو موسى بن عيسى بن عبدالله ثنا محمد ابن محمد بن سليمان ثنا أبو طاهر أحمد بن عمر بن السرح ثنا عبدالله بن وهب قال : أخبرنى الليث بن سعد ، عن إسحق بن عبدالله ، عن أبان بن صالح ، عن على ابن عبدالله بن عباس ، عن أبيه عن العباس بن عبدالمطلب قال : كنت يوماً فى المسجد فأقبل أبو جهل فقال : إن لله علىّ إن رأيت محمداً أن أطأ على عنقه ، فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخلت عليه فأخبرته بقول أبى جهل ، فخرج غضبان حتى دخل المسجد فعجل أن يدخل من الباب فاقتحم من الحائط ، فقلت : هذا يوم شرنبشنه ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ (اقرأ باسم ربك الذى خلق) حتى بلغ شأن أبى جهل (كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) قال : فقال إنسان لأبى جهل : يا أبا الحكم ، هذا محمد ، فقال أبو جهل : ألا ترون ما أرى ، والله لقد سد أفق السماء علىّ . فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر السورة سجد .

قرأت على الإمام الزاهد أبى إسحق إبراهيم بن على بن أحمد ، بسفح قاسيون أخبركم أبو البركات داود بن أحمد بن محمد البغدادى ، قراءة عليه وأنت تسمع فأقر به قال : أنا أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف ، قال : أنا أبو الغنائم عبدالصمد ابن على بن محمد بن المأمون ، قال : أنا الشيخ أبو الحسن على بن عمر بن أحمد الدارقطنى ثنا أبو عبدالله الحسين بن محمد بن سعيد البزاز ومحمد بن هارون الحضرمى قالا ثنا محمد بن منصور الطوسى ثنا أبو أحمد الزبيرى ثنا عبدالسلام هو ابن حرب ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال لما نزل (تبت يدا أبى لهب «١») جاءت إمرأة أبى لهب إلى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه

١- وكانت عاقبة أبى لهب إلى الهلاك والخسران والهجران حتى من أولاده ، يقال إنه مرض بالعدسة « لعلها مرض الجدرى » وبها مات وكانت العرب تتشائم بها وتخاف منها العدوى فيقال : إنه لما مات امتنع أولاده من أن يقربوه أو يواروه خوفاً من العدوى ، ثم اجتمع رأيهم بعد ثلاث على أن يرموه بالحجارة حتى وارته ، فكان ذلك - والله أعلم - سبب استمرار الحجارة على قبره إلى أن تقوم الساعة ، فهو مرجوم باللسان لعناً وبالحجارة دفناً . نعوذ بالله من سوء العاقبة يرجع الكلام . واختلف هل دفن أم لا ؟ فقيل : دفع إلى حفرته بعود من بعيد ، وقيل لم يدفن البته ، وإنما رمى بالحجارة ، ذكره ابن إسحق

أبو بكر رضى الله عنه ، فلما رآها قال : يا رسول الله إنها امرأة بذية فلو قمت لا تؤذيك . قال : « إنها لن ترانى » فجاءت ، فقالت : يا أبا بكر صاحبك هجانى ، قال : لا ، وما يقول الشعر ، قالت : أنت عندى تصدق ، وانصرفت ، قلت : يا رسول الله لم ترك ؟ قال : لا ، لم يزل ملك يسترنى منها بجناحه .

قرأت على أبى عبدالله محمد بن عثمان بن سلامة بدمشق أخبركم أبو القاسم الحسن ابن على بن الحسين بن محمد بن البن الأسدى قراءة وأنت تسمع فأقربه ، قال : أنا جدى قال : أنا القاسم بن أبى العلاء ، قال : أنا أبو محمد بن أبى نصر قال : أنا خيثمة ثنا هلال يعنى ابن العلاء الرقى ثنا سعيد بن عبدالملك ثنا محمد بن سلمه عن أبى عبدالرحيم عن زيد هو ابن أبى أنيسة ، عن أبى إسحق ، عن عمرو بن ميمون الأودى ثنا عبدالله بن مسعود قال : كنا مع رسول الله صلى الله علية وسلم فى المسجد الحرام ، ورفقة من المشركين من قريش ، ونبى الله صلى الله عليه وسلم يصلى ، وقد نحر قبل ذلك جزور ، وقد بقى فرثه «١» وقذره ، فقال أبو جهل : ألارجل يقوم إلى هذا القذر يلقيه على محمد ، ونبى الله صلى الله عليه وسلم ساجد ، إذ إنبعث أشقاها ، فقام فألقاها عليه . قال عبدالله : فهبنا أن نلقيه عنه ، حتى جاءت فاطمة رضى الله عنها فألقته عنه ، فقام فسمعته يقول وهو قائم يصلى : اللهم أشدد وطأتك على مضر سنين كسنى يوسف ، عليك بأبى الحكم بن هشام – وهو أبو جهل – وعتبة بن ربيعة ، وشيبة ابن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وعقبة بن أبى معيط ، وأمية بن خلف ، ورجل آخر ، ثم قال : رأيتهم من العام المقبل صرعى بالطوى طوى بدر صرعى بالقليب «٢» .

وأخبرنا ابن الواسطى فيما قرأت عليه قال : أنا ابن ملاعب قال : أنا الأرموى قال : أنا بن المأمون ثنا الدارقطنى ثنا أبو بكر محمد بن صالح الأزدى ثنا الزبير بن بكار قال : حدثنى أبو يحيى هارون بن بكر بن عبدالله الزهرى ، عن عبدالله بن سلمة ، عن عبدالله بن عروة بن الزبير ، عن أبيه عن جده عن عروة «٣» بن الزبير ، قال : حدثنى عمرو بن عثمان بن عفان عن أبيه عثمان بن عفان قال : أكثر ما نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى رأيت يوماً – قال عمرو : فرأيت عينى عثمان بن عفان ذرفتا من تذكر ذلك – قال عثمان بن عفان : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

١– فرث : هو فضلات طعام الحيوان مادام فى الكرش . فإذا خرج سمى سرجينا بكسرفسكون.»

٢– القليب : البئر .

٣– كذا وقع . ، والصواب عن جده عروة

يطوف بالبيت ويده في يد أبي بكر ، وفي الحجر ثلاثة نفر جلوس : عقبة بن أبي معيط ، وأبو جهل بن هشام ، وأميه بن خلف ، فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما حاذاهم أسمعوه بعض ما يكره ، فعرف ذلك في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فدنوت منه حتى وسطته ، فكان بيني وبين أبي بكر وأدخل أصابعه في أصابعي حتى طفنا جميعاً فلما حاذاهم ، قال أبو جهل : والله لا نصالحك ما بل بحر صوفة ، وأنت تنهى أن نعبد ما يعبد آباؤنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أني ذلك ، ثم مضى عنهم فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك ، حتى إذا كان في الشوط الرابع ناهضوه ، ووثب أبو جهل يريد أن يأخذ بمجامع ثوبه ، فدفعت في صدره فوقع على أسته ، ودفع أبو بكر أمية بن خلف ، ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبي معيط ، ثم انفرجوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف ، ثم قال : أما والله لا تنتهون حتى يحل بكم عقابه عاجلاً ، قال عثمان : فوالله ما منهم رجل إلا أخذه أفكل «١» وهو يرتعد ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بئس القوم أنتم لنبيكم » ثم انصرف إلى بيته وتبعناه خلفه حتى انتهى إلى باب بيته ووقف على السدة ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : أبشروا فإن الله عز وجل مظهر دينه ، ومتم كلمته ، و ناصر نبيه ، إن هؤلاء الذى ترون مما يذبح الله بأيديكم عاجلاً ، ثم انصرفنا إلى بيوتنا ، فوالله لقد رأيتم قد ذبحهم الله بأيدينا .

« إسلام حمزة بن عبدالمطلب »

ومن ذلك خبر إسلام حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه : روينا عن ابن إسحق قال : حدثني رجل من أسلم ، وكان واعية ، أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فآذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومولاة لعبدالله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك . ثم انصرف عنه فعمد إلى نادى قريش فجلس معهم ، فلم يلبث حمزة ابن عبدالمطلب أن أقبل متوشحاً سيفه ، راجعاً من قنص «٢» له ، وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له ، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على نادى قريش إلا وقف وتحدث معهم ، وكان أعزفتى في قريش وأشده شكيمة ، فلما مر بالمولاة وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته قالت له : يا أبا عمارة لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد آنفا من أبي الحكم بن هشام ، وجده ها هنا جالساً فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ، ولم يكلمه محمد ،

١- أفكل : بسكون الفاء وفتح الكاف أى الرعدة ٢- القنص: الصيد

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى ، ولم يقف على أحد معداً لأبى جهل إذا لقيه أن يقع به ، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً فى القوم ، فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة ثم قال : أتشتمه ؟ فأنا على دينه أقول ما يقول ، فرد على ذلك إن استطعت ، فقامت رجال بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دعو أبا عمارة فإنى والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً ، وتم حمزة على إسلامه وعلى ما تابع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله ، فلما أسلم حمزة علمت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

(عتبه بن ربيعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم)

وروينا عن ابن إسحق قال : حدثنى يزيد بن أبى زياد ، عن محمد بن كعب القرظى قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة ، وكان سيداً ، قال يوماً وهو جالس فى نادى قريش والنبى صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحده ، يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ، وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، فقم إليه فكلمه ، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخى إنك منا حيث قد علمت من السطة «١» فى العشيرة والمكان فى النسب ، وأنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فإسمع منى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها ، قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل يا أبا الوليد أسمع ، قال : يا ابن أخى ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال ، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال : « أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال : « فإسمع منى » قال : أفعل ، قال :(بسم الله الرحمن الرحيم ، حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون «٢») .

١- السطة : بكسر السين وفتح الطاء مخففة - المنزله الرفيعة   ٢- سورة فصلت الآيات ١-٤

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه فلما سمعها عتبة منه أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد ، ثم قال : « قد سمعت يا أبا الوليد ، ما سمعت فأنت وذاك ، فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعوني ، واجعلوها بي وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدالكم

وروينا عن الطبراني ثنا القاسم بن عياش بن حماد أبو محمد الجهني الحذاء الموصلي ثنا محمد بن موسى الحرشي ثنا أبو خلف عبدالله بن عيسى الخرار ثنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن قريشاً دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن يعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكة ، ويزوجوه ما أراد من النساء ، فقالوا : هذا لك عندنا يا محمد ، وكف عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء ، فإن لم تفعل فإنا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح ، قال : ما هي ؟ قالوا : تعبد آلهتنا سنة اللات والعزى ونعبد إلهك سنة قال : حتى أنظر ما يأتيني من ربي فجاء من عند الله عز وجل من اللوح المحفوظ « قل يأيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون » .

وأنزل الله عز وجل (قل : أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون إلى قوله : بل الله فأعبدوكن من الشاكرين «١»)

وروينا من طريق الترمذي ثنا عبد بن حميد ، قال : أنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن عبدالكريم الجزري ، عن ابن عباس ، قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً يصلي لأطأن على عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو فعل لأخذته الملائكة عياناً قال ثنا أبو سعد الأشج ثنا أبو خالد ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي ، فجاء أبو جهل فقال : ألم أنهك عن هذا ؟ فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فزبره «٢» فقال أبو جهل : إنك لتعلم ما بها «٣» ناد أكثر مني ، فأنزل الله تعالى : (فليدع ناديه ، سندع الزبانية «٤»)

١- سورة الزمر : الآيات ٦٤-٦٦

٢-فزبره : أي فزجره

٣- ما بها : ما بمكة

٤- سورة العلق : الآيتان ١٧-١٨

قال ابن عباس : والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية [1] الله .

وروينا عن ابن عباس من طريق محمد بن إسحق اجتماع قريش وعرضهم على النبى صلى الله عليه وسلم ، ما عرضوا عليه من الأموال وغير ذلك ، وقوله عليه السلام : ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى إليكم رسولاً ، وأنزل علىّ كتاباً ، وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالات ربى ، ونصحت لكم ، فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له : فسل ربك أن يسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ، وليبسط علينا بلادنا ، وليخرق فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصى بن كلاب ، فإنه كان شيخ صدق ، فنسألهم عن ما تقول أحق هو أم باطل ؟ وقالوا له : سل ربك أن يبعث معك ملكاً يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك واسأله فليجعل لنا جنانا ، وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش .

وذكر قولهم : فأسقط السماء علينا كسفاً - كما زعمت أن ربك يفعل إن شاء يفعل ، وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة ، وهى بنات الله ، وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتى بالله والملائكه قبيلا ، قال : إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة ، يقال له الرحمن ، وإنا والله لن نؤمن بالرحمن أبداً ، فلما قالوا له ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ومعه عبدالله بن أبى أمية المخزومى ، وهو ابن عمته عاتكة بنت عبدالمطلب ، فقال : والله لا نؤمن بك ابداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ، ثم تأتى بملك معه أربعة من الملائكة يشهدون لك كما تقول ، وايم الله إن لو فعلت ذلك ما ظننت أنى أصدقك .

١- الزبانية : جمع زبنية بكسر الزاى وسكون الباء وكسر النون ، وهو الشرطى ، واستعارة الزبانية لملائكة العذاب واضحة فى الدلالة على أصل معناها

« أبو جهل يبيت قتل الرسول والله يحفظه »

وقال أبو جهل : يا معشر قريش ، إنى أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ما أطيق حمله ، أو كما قال : فإذا سجد فى صلاته فضخت «١» به رأسه ، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ، قالوا : والله لا نسلمك لشيء أبداً فامض لما تريد ، فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره ، وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزماً منتقعاً لونه «٢» مرعوباً ، قد يبست يداه على حجره ، حتى قذف الحجر من يده و قامت إليه رجال قريش فقالوا : ما لك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة ، فلما دونت منه عرض لى دونه فحل من الإبل ، لا والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته «٣» ولا أنيابه بفحل قط ، فهم بى أن يأكلنى .

قال ابن إسحق : فذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ذلك جبريل لو دنا لأخذه »

١- فضخت : أى شدخت
٢- منتقعاً لونه : أى متغيراً
٣- القصرة : أصل العنق

(قريش ترسل النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط إلى يهود المدينة يسألانهم عن النبى)

وذكر فى الخبر بعث قريش النضر بن الحارث بن كلدة ، وبعثوا معه عقبة بن أبى معيط إلى أحبار يهود ، وقالوا لهما : سلاهم عن محمد ، وصفالهم صفته ، وأخبراهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة ، وسألا أحبار يهود ، فقالت لهما : سلوه عن ثلاث ، فإن أخبركم فهو نبى مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول ، سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان من أمرهم ، فإنه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان نبؤه ، وسلوه عن الروح ما هو ؟ وإذا أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبى ، وإن لم يفعل فهو رجل متقول ، فأقبل النضر وعقبة ، فقالا : قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد .

فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم – فيما يذكرون – فقال عليه السلام : أخبركم غداً ولم يستثن ، فانصرفوا ، ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم – فيما يذكرون – خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه فى ذلك وحياً ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجف أهل مكة ، وقالوا : وعدنا محمد غداً ، واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشىء مما سألناه عنه ، وحتى أحزن رسول الله مكث الوحى عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف .

قال ابن إسحق : فذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لقد إحتبست عنى يا جبريل قال : (وما نتنزل إلا بأمر ربك (١)) الآية .

وافتتح السورة بحمده وبذكر نبوة رسوله عليه السلام ، وفيها ذكر الفتية الذين ذهبوا ، وهم أصحاب الكهف ، وذكر الرجل الطواف وهو ذو القرنين ، وقال فيما سألوه عنه من الروح : (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا (٢)) الحديث بطوله وأنا اختصرته .

قال : وحدثت عن ابن عباس أنه قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، قالت أحبار يهود : يا محمد ، أرأيت قولك : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) إيانا تريد أم قومك ؟ قال كلا ، قالوا : فإنك تتلو فيما جاءنا إنا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شىء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها فى علم الله قليل ، وعندكم من ذلك

١– سورة مريم : الآية ٦٤
٢– سورة الإسراء الآية ٨٥

ما يكفيكم لو أقمتموه ، قال : فأنزل الله عليه فيما سألوه عنه من ذلك (ولو أن ما في الأرض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم «١») أى أن التوراة فى هذا من علم الله قليل .

قال : وأنزل الله فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال ، وتقطيع الأرض ، وبعث من مضى من آبائهم من الموتى : (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا «٢») أى لا أصنع من ذلك الأمر إلا ماشئت ، وأنزل الله عليه فيما سألوه أن يأخذ لنفسه : (وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كنز) إلى (وكان ربك بصيراً «٣»)

وأنزل الله فيما قال عبدالله بن أبى أمية : (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا «٤» ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب) إلى قوله (سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولا «٥») وأنزل عليه فى قولهم إنما يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن (كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلوا عليهم الذى أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن«٦») .

وأنزل عليه فيما قال أبو جهل وما هم به (أرأيت الذى ينهى ، عبداً إذا صلى «٧») حتى آخر السورة .

وأنزل عليه فيما عرضوا من أموالهم (قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو على كل شىء شهيد «٨») فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوا من الحق ، حال الحسد بينهم وبين إتباعه فقال قائلهم : (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون «٩») أى : اجعلوه لغواً وباطلاً ، واتخذوه هزوا لعلكم تغلبونه بذلك ، فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه غلبكم .

فقال أبو جهل يوماً وهو يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به من الحق : يا معشر قريش ، يزعم محمد إنما جنود الله يعذبونكم فى النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر ، وأنتم أكثر الناس عدداً وكثرة ، أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم ،

١- سورة لقمان : الآية ٢٧
٢- سورة الرعد : الآية ٣١
٣- سورة الفرقان : الآيات ٧-٢٠
٤- قال ابن هشام : الينبوع : ما نبع من الماء من الأرض وغيرها
٥- سورة الإسراء : الآيات ٩٠-٩٣
٦- سورة الرعد : الآية ٣٠
٧- سورة العلق : الآيات ٩-١٩
٨- سورة سبأ : الآية ٤٧
٩- سورة فصلت : الآية ٢٦

فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا «١») إلى آخر القصة .
فلما قال ذلك بعضهم لبعض جعلوا إذا جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن وهو يصلى يتفرقون عنه ، ويأبون أن يستمعوا له ، فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلى استرق السمع دونهم فرقاً منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خشية أذاهم ، فلم يستمع ، وإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته فظن الذى يسمع أنهم لا يسمعون شيئاً من قراءته وسمع هو شيئاً دونهم أصاخ له يستمع منه .
وروى عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس إنما نزلت هذه الآية (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها «٢») يعنى فى ذلك .

(المجاهرون بالظلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من آمن به) .

قال أبو عمر : وكان المجاهرون بالظلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من آمن به من بنى هاشم : عمه أبا لهب ، وابن عمه أبا سفيان بن الحرث .
ومن بنى عبدشمس : عتبه وشيبة ابنى ربيعة ، وعقبة بن أبى معيط ، وأبا سفيان ابن حرب وابنه حنظلة ، والحكم بن أبى العاص بن أمية ، ومعاوية بن المغيرة بن العاص ابن أمية .
ومن بنى عبد الدار : النضر بن الحارث .
ومن بنى أسد بن عبد العزى : الأسود بن المطلب ، وابنه زمعة ، وأبا البخترى العاص ابن هشام .
ومن بنى زهرة : الأسود بن عبد يغوث .
ومن بنى مخزوم : أبا جهل بن هشام ، وأخاه العاص بن هشام ، وعمهما الوليد ابن المغيرة ، وابنه أبا قيس بن الوليد بن المغيرة ، وابن عمه قيس بن الفاكه بن المغيرة ، وزهير بن أبى أمية بن المغيرة أخو أم سلمة «٣» ، وأخاه عبدالله بن أبى أمية ، والأسود ابن عبدالأسد أخا أبى سلمة ، وصيفى بن السائب .
ومن بنى سهم : العاص بن وائل وابنه عمراً ، وابن عمه الحارث بن قيس بن عدى ،

١- سورة المدثر : الآية ٣١ ٢- سورة الإسراء : الآية ١١٠
٣- زوج النبى صلى الله عليه وسلم

ونبيهاً ومنبهاً ابنى الحجاج .
ومن بنى جمح : أمية وأبياً ابنى خلف بن وهب بن حذافة بن جمح السهمى ، وأنيس ابن معير أخا أبى محذورة ، والحارث بن الطلاطلة الخزاعى . وعدى بن الحمراء الثقفى .
فهؤلاء كانوا أشد على المؤمنين مثابرة بالأذى ، ومعهم سائر قريش ، فمنهم من يعذبون من لامنعة له ولا جوار من قومه ، ومنهم من يؤذون ، ولقى المسلمون من كفار قريش وحلفائهم من العذاب والأذى والبلاء عظيما ، ليدخر لهم ذلك فى الآخرة ويرفع به درجاتهم فى الجنة ، والإسلام فى كل ذلك يفشو ويظهر فى الرجال والنساء .
وأسلم الوليد بن الوليد بن المغيرة ، وسلمة بن هشام أخو أبى جهل ، وأبو حذيفة بن عتبة ابن ربيعة ، وجماعة أراد الله هداهم .
وأسرف بنو جمح على بلال بالأذى والعذاب ، فاشتراه أبو بكر الصديق منهم ، واشترى أمه حمامة ، فأعتقهما ، وأعتق عامر بن فهيرة .
وروى أن أبا قحافة قال لابنه أبى بكر : يا بنى أراك تعتق قوماً ضعفاء ، فلو أعتقت قوماً جلداء يمنعونك : فقال : يا أبت إنى أريد ما أريد ، فقيل إن فيه نزلت : (وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى «١») إلى آخر السورة .
وذكر الزهرى : أن أبا سفيان بن حرب ، وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شريق ، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى من الليل فى بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض : لانبرح حتى نتعاهد أن لانعود فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا ، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم ذهب حتى أتى أبا سفيان فى بيته ، فقال : أخبرنى يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ، فقال : يا أبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها ، قال الأخنس : وأنا والذى حلفت به كذلك ، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته ، فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف

١- سورة الليل : الآيتان ١٧ - ١٨

الشرف : أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاذبنا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا : منا نبى يأتيه الوحى من السماء ، فمتى ندرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً ، ولا نصدقه ، فقام عنه الأخنس وتركه .

وذكر ابن إسحق حديث الأراشى الذى ابتاع منه أبو جهل الإبل ومطله بأثمانها ، ودلالة قريش إياه على رسول الله صلى الله عليه وسلم لينصفه من أبى جهل ، استهزاء لما يعلمون من العداوة بينهما ، قال :وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فضرب عليه بابه فقال : من هذا ؟ فقال : محمد ، فخرج إليه وما فى وجهه من رائحة (١) ، قد انتقع لونه (٢) ، فقال : أعط هذا حقه ، قال : نعم لاتبرح حتى أعطيه الذى له ، فدفعه إليه فذكر لهم الأراشى ذلك ، فقالوا لأبى جهل : ويلك ما رأينا مثل ما صنعت ، قال : ويحكم ، والله ما هو إلا أن ضرب علىّ بابى وسمعت صوته فملئت رعباً ، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته (٣) ولا أنيابه لفحل قط ، والله لو أبيت لأكلنى .

وذكر الواقدى عن يزيد بن رومان قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً فى المسجد معه رجال من أصحابه ، أقبل رجل من بنى زبيد يقول : يا معشر قريش ، كيف تدخل عليكم المادة ، أو يجلب إليكم جلب أو يحل بساحتكم ، وأنتم تظلمون من دخل عليكم فى حرمكم ؟ يقف على الحلق حلقة ، حلقة ، حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحبه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن ظلمك ؟ فذكر أنه قدم بثلاثة أجمال كانت خيرة إبله ، فسامه بها أبو جهل ثلث أثمانها ، ثم لم يسمه بها لأجله سائم ، قال : فأكسد علىّ سلعتى وظلمنى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأين أجمالك ؟ قال : هى هذه بالحزورة ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام أصحابه فنظر إلى الجمل فرأى جمالاً فرهاً (٤) ، فساوم الزبيدى حتى ألحقه برضاه ، فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فباع جملين منها بالثمن ، وأفضل بعيراً باعه وأعطى أرامل بنى عبدالمطلب ثمنه ، وأبو جهل جالس فى ناحية من السوق لا يتكلم ، ثم أقبل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا عمرو ، إياك أن تعود لمثل ما صنعت بهذا الأعرابى فترى منى ما تكره ، فجعل يقول :لا أعود يا محمد لا أعود يا محمد ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عليه أمية بن خلف ومن حضر من القوم فقالوا : ذللت فى يدى محمد ، فإما أن تكون تريد أن تتبعه ، وإما رعب دخلك

١- وما فى وجهه من رائحة أى من قطرة دم

٢ - انتقع لونه : بالبناء للمجهول : أى تغير

٣- الهامة : الرأس ، والقصرة : أصل العنق

٤- الفاره : من الدواب الجيد السير.

منه ، قال : لا أتبعه أبداً ، إن الذى رأيتم منى لما رأيت منه ، لقد رأيت رجالاً عن يمينه وشماله معهم رماح يشرعونها إلىّ لو خالفته لكانت إياها أى لأتوا على نفسى .

(المستهزئون)

قال أبو عمر : وكان المستهزئون الذين قال الله فيهم : (إنا كفيناك المستهزئين «١») عمه أبا لهب ، وعقبة بن أبى معيط ، والحكم بن أبى العاص ، والأسود بن المطلب ابن أسد أبا زمعة ، والأسود بن عبديغوث ، والعاص بن وائل ، والوليد بن المغيرة ، والحارث ابن الغيطلة السهمى .
وكان جبريل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بهما من المستهزئين الوليد ابن المغيرة ، والأسود بن عبدالمطلب ، والأسود بن عبد يغوث ، والحارث بن الغيطلة ، والعاص بن وائل ، واحداً بعد واحد ، فشكاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبريل ، فقال : كفيتكهم ، فهلكوا بضروب من البلاء والعمى قبل الهجرة .
وفيما لقى بلال ، وعمار ، والمقداد وخباب ، وسعد بن أبى وقاص وغيرهم ممن لم تكن له منعة من قومه من البلاء والأذى ما يطول ذكره .
قرأت على أبى النـــور إسماعيل بن نور بن قمر الهينى بالصالحية ، أخبركم أبو نصر موسى بن الشيخ عبدالقادر الجيلى قراءة عليه ، قال : أنا أبو القاسم سعيد بن أحمد ابن البناء ، قال أنا أبو نصر الزينبى ، قال : أنا أبو بكر محمد بن عمـــر بن على ابن خلف قال أنا أبو بكر بن أبى داود ثنا أبو موسى عيسى بن حماد زغبة ، عن الليث ابن سعد ، عن هشـــام ، عن أبيه أنـــه قـــال : مر ورقة بن نوفل على بلال وهو يعذب ، يلصـــق ظهـــره برمضاء البطحـــاء فى الحر ، وهو يقول : أحد أحد ، فقال : يا بلال ، صبراً يا بلال ، لم تعذبونه ؟ فو الذى نفسى بيده إن قتلتـــموه لأتخذنه حنانـــاً «٢» ، يقول لأتمسحن به .

١- سورة الحجر : الآية ٩٥
٢- لأتخذنه حناناً أراد لأجعلن قبره موضع حنان ، أى : مظنة رحمة ، فاستمطر عنده رحمة الله وأتبرك به ، وألوذ بجواره

ذكر انشقاق القمر

قال الله تعالى : (اقتربت الساعة وانشق القمر «١»)

وروينا من طريق البخارى ثنا مسدد ثنا يحيى ، عن شعبة وسفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبى معمر ، عن ابن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين : فرقة فوق الجبل ، وفرقة دونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشهدوا »

وذكر القاضى عياض ، رحمه الله ، قال ورواه عنه مسروق : أنه كان بمكة ، وزاد فقال كفار قريش : سحركم ابن أبى كبشة «٢» فقال رجل منهم : إن محمداً إن كان سحر القمر ، فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها ، فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر ، هل رأوا هذا ؟ فسألوا فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك .

وحكى السمر قندى ، عن الضحاك نحوه ، و قال : فقال أبو جهل : هذا سحر ، فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى ينظروا أرأوا ذلك أم لا ؟ فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقاً ، فقالوا – يعنى الكفار – هذا سحر مستمر .

وروينا من طريق الترمذى ثنا عبد بن حميد قال : أنا عبد الرازق ، عن معمر ، عن قتادة عن أنس قال : سأل أهل مكة النبى صلى الله عليه وسلم آية ، فانشق القمر بمكة مرتين فنزلت « اقتربت الساعة وانشق القمر » إلى قوله « سحر مستمر » يقول ذاهب ، قال الترمذى ثنا عبد حميد ثنا محمد بن كثير ثنا سليمان بن كثير ، عن حصين ، عن محمد ابن جبير بن مطعم عن أبيه قال : انشق القمر على عهد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى صار فرقتين على هذا الجبل ، وعلى هذا الجبل ، فقالوا : سحرنا محمد ، فقال بعضهم : لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم .

وروى عن ابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلى رضى الله عنهم .

١– سورة القمر : الآية ١

٢– ابن أبى كبشة : كان وهب بن عبد مناف بن زهرة جده أبو آمنة يكنى أبا كبشة ، وكذلك عمرو بن زيد بن الأسد الأنصارى البخارى أبو سلمى أم عبد المطلب كان يكنى أبا كبشة ، وكان فى أجداده أيضا من جهة أمه أبو كبشة ، وهو أبو قبيلة أم وهب بن عبد مناف أبو آمنة أم النبى «ص» وهو قزاعى ، وكان أبوه من الرضاعة يدعى أبا كبشة ، وهو الحارث ابن عبدالعزى ، وإنما لم يكنوه بأبيه القريب لعدواتهم له وسخطهم عليه .

ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة

وكانت الهجرة إلى أرض الحبشة مرتين ، فكان عدد المهاجرين فى المرة الأولى اثنى عشر رجلاً وأربع نسوة ، ثم رجعوا عندما بلغهم عن المشركين سجودهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قراءة سورة « النجم » وسيأتى ذكر ذلك ، فلقوا من المشركين أشد مما عهدوا فهاجروا ثانية ، وكانوا ثلاثة وثمانين رجلاً إن كان فيهم عمار ففيه خلاف بين أهل النقل ، وثمانى عشرة امرأة ، إحدى عشرة قرشيات وسبعاً غرباء .

وبعث قريشاً فى شأنهم إلى النجاشى مرتين : الأولى عند هجرتهم ، والثانية : عقيب وقعة بدر ، وكان عمرو بن العاص رسولاً فى المرتين ومعه فى إحداهما عمارة بن الوليد ، وفى الأخرى عبدالله بن أبى ربيعة المخزوميان .

وروى عبدالرازق ، عن معمر ، عن الزهرى قال : فلما كثر المسلمون وظهر الإيمان أقبل كفار قريش على من آمن من قبائلهم يعذبونهم ويؤذونهم ليردوهم عن دينهم قال : فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمن آمن به : « تفرقوا فى الأرض ، فإن الله تعالى سيجمعكم » قالوا : إلى أين نذهب ؟ قال : « إلى ها هنا » ، وأشار بيده إلى أرض الحبشة فهاجر إليها ناس ذوو عدد ، منهم من هاجر بأهله ، ومنهم من هاجر بنفسه ، حتى قدموا أرض الحبشة .

فكان أول من خرج عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قيل : إن أول من هاجر إلى أرض الحبشة حاطب بن عمرو بن عبد شمس ابن عبدود أخو سهيل بن عمرو وقيل : هو سليط بن حذيفة ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة هارباً عن أبيه بدينه ، ومعه امرأته سهلة بنت سهيل مسلمة مراغمة لأبيها فارة عنه بدينها فولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبى حذيفة ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ومعه امرأته أم سلمة [1] بنت أبى أمية . وعثمان ابن مظعون ، وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب ، ومعه امرأته ليلى بنت أبى خيثمة بن غانم العدوية ، وأبو سبرة بن أبى رهم العامرى ، وامرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو – ولم يذكرها ابن إسحق فهى خامسة لهن – وسهيل بن بيضاء وهو سهيل بن وهب بن ربيعة الفهرى ، وعبدالله بن مسعود الهذلى .

فخرجوا متسللين سراً حتى انتهوا إلى الشعيبة منهم الراكب ، ومنهم الماشى ، فوفق الله لهم سفينتين للتجار حملوهم فيها بنصف دينار ، وكان مخرجهم فى رجب من السنة الخامسة من الهجرة ، فخرجت قريش فى آثارهم حتى جاءوا البحر من حيث ركبوا ، فلم يجدوا أحداً منهم .

١– هى أم سلمة هند بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية أم المؤمنين .

ثم خرج جعفر بن أبى طالب فى المرة الثانية ومعه امرأته أسماء بنت عميس فولدت له هناك بنيه محمداً وعبدالله وعوناً ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، ومعه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث الكنانى ، وأخوه خالد بن سعيد ، ومعه امرأته أمينة بنت خلف بن أسد بن عامر بن بياضة الخزاعية ، فولدت له هناك ابنه سعيداً وابنته أم خالد واسمها أمة (١) .

وعبيد الله بن جحش ، معه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان فتنصر هناك ، ثم توفى على النصرانية ، وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة - كما سيأتى إن شاء الله تعالى - وأخوه عبدالله بن جحش ، وقيس بن عبدالله حليف لبنى أمية بن أمية ابن عبد شمس ، معه امرأته بركة بنت يسار مولاة أبى سفيان بن حرب .

ومعيقيب بن أبى فاطمة الدوسى حليف لبنى العاص بن أمية ، وعتبة بن غزوان ابن جابر المازنى حليف بنى نوفل ، ويزيد بن زمعة بن الأسود ، وعمرو بن أمية بن الحرث ابن أسد ، والأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد ، وكليب بن عمير بن وهب بن أبى كثير ابن عبد قصى ، وسويبط بن سعد بن حرملة ، ويقال حريملة بن مالك العبدرى ، وجهم ابن قيس بن عبد شر حبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار العبدرى ، معه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بن جزيمة من خزاعة وابناه عمرو بن جهم ، وخزيمة بنت جهم وأبو الروم بن عمير ، أخو مصعب بن عمير ، وفراس بن النضر بن الحارث بن كلدة وعامر بن أبى وقاص ، أخو سعد ، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف ، معه امرأته رملة بنت أبى عوف بن صبيرة السهمية ولدت له هناك عبدالله بن المطلب .

وعبدالله بن مسعود الهذلى ، وأخوه عتبة بن مسعود ، والمقداد بن الأسود تبناه الأسود ابن عبد يغوث الزهرى وهو حليف له فنسب إليه وهو المقداد بن عمرو بن ثعلبة البهرانى والحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، ومعه امرأته ريطة بنت الحارث التيمية ، فولدت له هناك موسى وزينب وعائشة وفاطمة .

وعمرو بن عثمان بن عمرو التيمى عم طلحة ، وشماس بن عثمان بن الشريد المخزومى واسمه عثمان بن عثمان ، وهبار بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال المخزومى ، وأخوه عبدالله بن سفيان ، وهشام بن أبى حذيفة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، وعياش بن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومى ، ومعتب بن عوف بن عامر الخزاعى ، وبعض الناس يقول : معتب حليف بنى مخزوم ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وعماه قدامة وعبدالله ابنا مظعون ، وحاطب وحطاب ابنا الحرث بن معمر الجمحى ، ومع حاطب زوجه فاطمة بنت المجلل العامرى وولدت له هناك محمداً والحرث ابنى حاطب ، ومع

١- تزوج أمة بنت خالد بعد ذلك الزبير بن العوام فولدت له : عمرو بن الزبير وخالد بن الزبير .

حطاب زوجه فكيهة بنت يسار .
وسفيان بن معمر بن حبيب الجمحى ، ومعه ابناه جابر وجنادة ، وأمهما حسنة وأخوهما لأمهما شر حبيل بن حسنة ، وهو شرحبيل بن عبدالله بن المطاع الكندى . وقيل : إنه من بنى الغوث بن مر أخى تميم بن مر .

وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح ، وخنيس بن حذافة بن قيس ابن عدى السهمى ، وسهم بن عمرو بن هصيص ، وأخواه عبدالله وقيس ابنا حذافة ، ورجل من بنى تميم اسمه سعيد بن عمر ، وكان أخا بشر بن الحرث بن قيس بن عدى لأمه .

وهشام بن العاص أخو عمرو ، وعمير بن رئاب بن حذيفة السهمى ، وأبو قيس ابن الحرث بن قيس بن عدى السهمى ، وأخوته : الحارث ومعمر وسعيد والسائب وبشر ، وأخ لهم من أمهم من تميم يقال له سعيد بن عمرو ، ومحمئة بن جزء الزبيدى حليف بنى سهم ومعمر بن عبدالله بن نضلة ، ويقال ابن عبدالله بن نافع بن نضلة العدوى ، وعروة ابن عبدالعزى بن حرثان العدوى ، وعن مصعب الزبيرى ، عروة بن أبى أثاثة بن عبد العزى أو عمرو بن أثاثة ، وعدى بن نضلة بن عبدالعزى العدوى ، وابنه النعمان ، ومالك ابن ربيعة بن قيس العامرى ، وامرأته عمرة بنت أسعد «١» بن وقدان بن عبد شمس العامرية ، وسعد بن خولة من أهل اليمن حليف لبنى عامر بن لؤى ، وعبدالله بن مخرمة ابن عبدالعزى ، وعبدالله بن سهيل بن عمرو ، وعماه : سليط والسكران إبنا عمرو العامريون وامرأته سودة بنت زمعة «٢» .

وأبو عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن أبى سرح بن ربيعة ، وعياض بن زهير بن أبى شداد ، وعثمان بن عبد غنم بن زهير بن أبى شداد ، وسعد بن عبد قيس بن لقيط ابن عامر الفهريون ، وعمار بن ياسر ، وفيه خلاف بين أهل السير .
وقال بعض أهل السير : إن أبا موسى الأشعرى كان فيمن هاجر إلى أرض الحبشة ، وليس كذلك ، ولكنه خرج فى طائفة من قومه من أرضهم باليمن ، يريد المدينة ، فركبوا البحر فرمتهم الريح إلى أرض الحبشة فأقام هناك حتى قدم مع جعفر بن أبى طالب .

فلما نزل هؤلاء بأرض الحبشة آمنوا على دينهم ، وأقاموا بخير دار عند خير جار ، وطلبتهم قريش عنده فكان ذلك سبب إسلامه .
قرأت على الإمام الزاهد أبى إسحق إبراهيم بن على الحنبلى بالصالحية ، أخبركم أبو الحسن على بن النفيس بن بورنداز «٣» قال : أناأبو القاسم محمود بن عبدالكريم قال :

١- فى جوامع السيرة : السعدى
٢- اقترن بها الرسول عليه الصلاة والسلام بعد وفاة خديجة رضى الله عنها ووفاة زوجها السكران .
٣- بضم الباء وسكون الواو وفتح الراء وسكون النون وفتح الدال وآخره زاى .

أنا أبو بكر بن ماجه قال أنا أبو جعفر عن أبى جعفر ، عن أبى جعفر أحمد بن محمد ابن المرزبان ، عن محمد بن إبراهيم بن يحيى بن الحكم الحزورى ، عن محمد ابن سليمان لوين (١) ، ثنا حديج بن معاوية ، عن أبى إسحق ، عن عبدالله بن عتبة ، عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى (٢) ، ثمانين رجلاً منهم : عبدالله بن مسعود ، وجعفر ، وعبدالله بن عرفطة ، وعثمان بن مظعون رضى الله عنهم ، وبعث قريش عمرو بن العاص ، وعمارة بن الوليد ، بهدية فقدما على النجاشى ، فدخلا عليه وسجدا له ، وابتدراه فقعد واحد عن يمينه والآخر عن شماله فقالا : إن نفراً من بنى عمنا نزلوا أرضك ، فرغبوا عنا وعن ملتنا قال : وأين هم ، قالوا : بأرضك فأرسل فى طلبهم ، فقال جعفر رضى الله عنه : أنا خطيبكم اليوم ، فاتبعوه ، فدخل فسلم ،فقالوا : مالك لا تسجد للملك ؟ قال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل ، قالوا : ولم ذاك ؟ قال : إن الله تعالى أرسل فينا رسولاً وأمرنا أن لا نسجد إلا لله عز وجل ، وأمرنا بالصلاة والزكاة ، قال عمرو بن العاص : فإنهم يخالفونك فى ابن مريم وأمه ، قال : فما تقولون فى ابن مريم وأمه ؟ قال : كما قال الله عز وجل روح الله وكلمته ، ألقاها إلى مريم العذراء البتول التى لم يمسها بشر ولم يفرضها (٣) ، ولد قال : فرفع النجاشى عوداً من الأرض فقال : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ، ماتزيدون على ما يقولون ، أشهد أنه رسول الله ، وأنه الذى بشر به عيسى فى الإنجيل ، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته فأكون أنا الذى أحمل نعليه وأوضئه ، وقال : انزلوا حيث شئتم ، وأمر بهدية الآخرين فردت عليهما .

قال : وتعجل عبدالله بن مسعود فشهد بدراً ، وقال : إنه لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم موته استغفر له ، ولعمارة بن الوليد مع عمرو بن العاص فى هذا الوجه خبر مشهور ذكره أبو الفرج على بن الحسين الأصبهانى وغيره ، وقال عمرو يخاطب عمارة .

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه	ولم ينه قلباً غاوياً حيث يمما
قضى وطراً منه وغادر سبة	إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

ولم يذكر ابن إسحق مع عمرو إلا عبدالله بن أبى ربيعة فى رواية زياد ، وفى رواية ابن بكير لعمارة بن الوليد ذكره : أقام المهاجرون بأرض الحبشة عند النجاشى فى أحسن جوار فلما سمعوا بمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، رجع منهم

١- لوين : بضم اللام وفتح الواو

٢- وهو أصحمة وتفسيره بالعربية عطية ، وهو ابن أبحر والنجاشى عام لكل من ملك الحبشة كفرعون لمصر ، وقيصر للشام وانظر فى موت أصحمة صحيح البخارى ٥/٥١

٣- لم يفرضها : بكسر الراء وسكون الضاد أى : لم يؤثر فيها .

ثلاثة وثلاثون رجلاً ، ومن النساء ثماني نسوة ، فمات منهم رجلان بمكة ، وحبس بمكة سبعة نفر وشهد بدراً منهم أربعة وعشرون رجلاً .

فلما كان شهر ربيع الأول ، وقيل المحرم سنة سبع من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام ، وبعث به مع عمرو بن أمية الضمرى ، فلما قرىء عليه الكتاب أسلم ، وقال : لو قدرت أن آتيه لأتيته .

وكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان ، ففعل وأصدق عنه تسعمائة دينار ، وكان الذى تولى التزويج خالد بن سعيد بن العاص بن أمية وكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه من بقى عنده من أصحابه ويحملهم ففعل ، فجاءوا حتى قدموا المدينة فيجدون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خيبر فشخصوا إليه ، فوجدوه قد فتح خيبر فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يدخلوهم فى سهماتهم ففعلوا .

وكان سبب رجوع الأولين الأثنى عشر رجلاً ومن ذكر معهم من النساء، فيما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يوماً على المشركين (والنجم إذا هوى) حتى بلغ (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى [١]) ألقى الشيطان كلمتين على لسانه : تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما ، ثم مضى فقرأ السورة كلها فسجد وسجد القوم جميعاً ، ورفع الوليد بن المغيرة تراباً إلى جبهته فسجد عليه وكان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود ، ويقال إن أبا أحيحة سعيد ابن العاص أخذ تراباً فسجد عليه ، ويقال : كلاهما فعل ذلك ، فرضوا بما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : قد عرفنا أن الله يحيى ويميت ، ويخلق ويرزق ، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده ، فأما إذ جعلت لها نصيباً ، فنحن معك ، فكبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم حتى جلس فى البيت ، فلما أمسى أتاه جبريل فعرض عليه السورة فقال جبريل : ما جئتك بهاتين الكلمتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قلت على الله ما لم يقل فأوحى الله إليه (وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذا لا تخذوك خليلا) إلى قوله : (ثم لا تجد لك علينا نصيراً [٢])

قالوا ففشت تلك السجدة فى الناس حتى بلغت أرض الحبشة ، فقال القوم : عشائرنا أحب إلينا ، فخرجوا راجعين حتى إذا كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا ركباناً من كنانة فسألوهم عن قريش ، فقال الركب : ذكر محمد آلهتهم بخير فتابعه

١- سورة النجم : الآيات ١-٢٠

٢- سورة الإسراء : الآيات ٧٣-٧٥

الملأ ثم ارتد عنها فعاد لشتم آلهتهم ، وعادوا له بالشر ، فتركناهم على ذلك ، فائتمر القوم فى الرجوع إلى أرض الحبشة ، ثم قالوا : قد بلغنا مكة فندخل فننظر ما فيه قريش ، ويحدث عهداً من أراد بأهله ثم يرجع ، فدخلوا مكة ولم يدخل أحد منهم إلا بجوار إلا ابن مسعود فإنه مكث يسيراً ، ثم رجع إلى أرض الحبشة .

قال الواقدى : وكانوا خرجوا فى رجب سنة خمس ، فأقاموا شعبان وشهر رمضان . وكانت السجدة فى شهر رمضان فقدموا فى شوال سنة خمس .

قال السهيلى : ذكر هذا الخبر - يعنى خبر السجدة - موسى بن عقبة وابن إسحق من غير طريق البكائى ، وأهل الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجة ، ومن صححه قال فيه أقوالاً منها : أن الشيطان قال ذلك وأشاعه ، والرسول لم ينطق به ، وهذا جيد ، لولا أن فى حديثهم أن جبريل قال لمحمد : ما أتيتك بهذا .

ومنها : أن النبى صلى الله عليه وسلم قالها من قبل نفسه وعنى بها الملائكة أن شفاعتهم ترتجى ، ومنها : أن النبى صلى الله عليه وسلم قالها حاكياً عن الكفرة ، وأنهم يقولون ذلك فقالها متعجباً من كفرهم .

قال : والحديث على ما خيلت غير مقطوع بصحته .

قلت : بلغنى عن الحافظ عبدالعظيم المنذرى ، رحمه الله ، أنه كان يرد هذا الحديث من جهة الرواة بالكلية ، وكان شيخنا الحافظ عبدالمؤمن الدمياطى يخالفه فى ذلك .

والذى عندى فى هذا الخبر أنه جار مجرى ما يذكر من أخبار هذا الباب من المغازى والسير ، والذى ذهب إليه كثير من أهل العلم الترخص فى الرقائق ، وما لا حكم فيه من أخبار المغازى ، وما يجرى مجرى ذلك ، وأنه يقبل فيها ما لا يقبل فى الحلال والحرام لعدم تعلق الأحكام بها ، وأما هذا الخبر فينبغى بهذا الإعتبار أن يرد إلى ما يتعلق به إلا أن يثبت بسند لا مطعن فيه بوجه ، ولا سبيل إلى ذلك ، فيرجع إلى تأويله .

ذكر إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قرأت على عبدالرحيم بن يوسف المزى أخبركم أبو حفص بن طبرزد قال :أنا أبوبكر ابن عبد الباقى ، قال : أنا أبو على الحسن بن غالب الحربى ثنا أبو عبدالله محمد بن أحمد المالكى القاضى ثنا الحسين بن إسحق ثنا أبو علقمة عبدالله بن عيسى الغروى ثنا عبدالمالك بن الماجشون ، عن الزنجى بن خالد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم أعز الإسلام بعمر ابن الخطاب «١» .

وقرأت على أبى الفداء إسماعيل بن عبدالرحمن بن عمرو الغراء بسفح قاسيون أخبركم أبو القاسم الحسين بن هبة بن محفوظ بن صصرى «٢» التغلبى فأقربه ، قال : أنا الشيخان الشريف أبو طالب على بن حيدرة بن جعفر الحسينى ، وأبو القاسم الحسين بن الحسن بن محمد بن البن الأسدى ، قالا : أنا أبو القاسم على بن محمد بن أبى العلاء ، قال : أنا أبو محمد عبدالرحمن بن عثمان بن أبى نصر التميمى ، قال : أنا أبو خيثمة بن سليمان بن محمد بن عوف ثنا سفيان الطائى ، قال : قرأت على إسحق ابن إبراهيم الحنينى ، قال : ذكره أسامة بن زيد ، عن أبيه ، عن جده أسلم قال : قال لنا عمر بن الخطاب : أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدء إسلامى ؟ قلنا : نعم ، قال : كنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينا أنا فى يوم حار شديد الحر بالمهاجرة فى بعض طرق مكة إذ لقينى رجل من بعض قريش ، فقال لى : أين تذهب يا ابن الخطاب ، أنت تزعم أنك هكذا ، وقد دخل عليك هذا الأمر فى بيتك ، قال : قلت : وماذاك ؟ قال : أختك قد صبت ، قال : فرجعت مغضباً .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين إذا أسلم عند الرجل به قوة فيكونان معه ويصيبان من طعامه ، قال : وقد ضم إلى زوج أختى رجلين ، قال : فجئت حتى قرعت الباب فقيل : من هذا ؟ قلت : ابن الخطاب ، قال : وكان القوم جلوساً يقرأون صحيفة معهم . قال : فلما سمعوا صوتى تبادروا واختفوا وتركوا أونسوا الصحيفة من أيديهم . قال : فقامت المرأة ففتحت لى ، قال : فقلت لها : يا عدوة نفسها قد بلغنى أنك قد صبوت ، قال : فأرفع شيئاً فى يدى فأضربها به ، قال : فسال الدم ، قال : فلما رأت المرأة الدم بكت ، ثم قالت : يا ابن الخطاب ما كنت فاعلاً فافعل فقد أسلمت . قال : فدخلت ، وأنا مغضب ، قال : فجلست على السرير ، فنظرت ، فإذا بكتاب فى ناحية البيت فقلت : ما هذا الكتاب أعطنيه ، فقالت :

١- فى السيرة لابن إسحق ١ / ٣٦٧ أنه عليه الصلاة والسلام قال : اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر ابن الخطاب .

٢- بصادين مهملتين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة على وزن سكرى

لا أعطيكه لست من أهله ، أنت لا تغتسل من الجنابة ، ولا تطهر ، وهذا لا يمسه إلا المطهرون ، قال : فلم أزل بها حتى أعطتنيه فإذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) فلما مررت «الرحمن الرحيم » ذعرت ، ورميت الصحيفة من يدى ، قال : ثم رجعت إلى نفسى فإذا فيها : (سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم «١») .

قال : فكلما مررت باسم من أسماء الله عز وجل ذعرت ، ثم ترجع إلى نفسى حتى بلغت (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) حتى بلغ إلى قوله : « إن كنتم مؤمنين «٢» . قال : فقلت ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشاراً بما سمعوا منى ، وحمدوا الله عز وجل ، ثم قالوا : يا ابن الخطاب ، أبشر فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الإثنين فقال : اللهم أعز الإسلام بأحد الرجلين إما أبو جهل بن هشام وإما عمر بن الخطاب وإنا نرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ، فأبشر .

قال : فلما أن عرفوا منى الصدق ، قلت لهم : أخبرونى بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا هو فى بيت فى أسفل الصفا ، وصفوه .

فخرجت حتى قرعت الباب ، قيل : من هذا ؟ قلت : ابن الخطاب ، قال : وعرفوا شدتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعلموا إسلامى ، قال : فما إجترأ أحد أن يفتح الباب ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفتحوا له ، فإن يرد الله به خيراً يهده ، قال : ففتحوا لى ، وأخذ رجلان بعضدى حتى دنوت من النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « أرسلوه » قال : فأرسلونى ، فجلست بين يديه ، قال : فأخذ بمجمع قميصى فجذبنى إليه ، ثم قال « أسلم يا ابن الخطاب ، اللهم اهده » قال : قلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .

قال : فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة ، قال : وقد كان الرجل إذا أسلم استخفى ، ثم خرجت فكنت لا أشاء أن أرى رجلاً إذا أسلم ضرب إلا رأيته ، قال : فلما رأيت ذلك ، قلت : لا أحب أن يصيبنى ما يصيب المسلمين ، قال : فذهبت إلى خالى ، وكان شريفاً فيهم فقرعت الباب عليه فقال : من هذا ؟ قلت : ابن الخطاب ، قال : فخرج إلىّ فقلت له : شعرت أنى قد صبوت ؟ قال : أفعلت ، فقلت : نعم ، قال : لا تفعل قال : قلت : بلى قد فعلت ، قال : لا تفعل فأجاف الباب دونى وتركنى ، قال : قلت : ما هذا بشىء ، قال : فخرجت حتى جئت رجلاً من عظماء قريش فقرعت عليه الباب قال

١- سورة الحديد الآية ١

٢- سورة الحديد : الآيتان ٧- ٨ . وفى هذا الأثر نظر - إذ أن سورة الحديد مدنية ، وقد أسلم عمر رضى الله تعالى عنه قبل الهجرة . وفى السيرة النبوية لابن هشام ٣٦٧/١ أن عمر قرأ سورة طه ، وهى مكية .

من هـذا ؟ قلت : عمر بن الخطاب ، قال فخرج إليّ فقلت له : هل شعرت أنى قد صبوت ؟ فقال : أو فعلت ؟ قلت : نعم ، قال : فلا تفعل ، قلت : قد فعلت ، قال : لا تفعل ، ثم قام فدخل فأجاف الباب دونى . قال : فلما رأيت ذلك انصرفت ، فقال لى رجل : تحب أن يعلم إسلامك ؟ قال : قلت : نعم ، قال : فإذا جلس الناس فى الحجر وإجتمعوا ، أتيت فلاناً لرجل لم يكن يكتم السر ، فاصغ إليه فقل له فيما بينك وبينه : إنى قد صبوت ، فإنه سوف يظهر عليك ذلك ويصيح ويعلنه ، قال : فلما إجتمع الناس فى الحجر جئت إلى الرجل فدنوت منه ، فأصغيت إليه فيما بينى وبينه فقلت : أعلمت أنى قد صبوت ؟ قال : فقال : أصبوت ؟ قلت : نعم ، قال : فرفع صوته بأعلاه ، قال : ألا إن ابن الخطاب قد صبأ ، قال : فما زال الناس يضربونى وضربتهم . قال : فقال خالى : ما هذا ؟ قال : فقيل : ابن الخطاب ، قال : فقام على فى الحجر فأشار بكمه فقال : ألا إنى قد أجرت ابن أختى ، قال : فانكشف الناس عنى .

قال : وكنت لا أشاء أن أرى أحداً من المسلمين يضرب إلا رأيته ، وأنا لا أضرب ، قال : فقلت : ما هذا بشىء حتى يصيبنى مثل ما يصيب المسلمين ، قال : فأمهلت حتى إذا جلس الناس فى الحجر ، وصلت إلى خالى فقلت : إسمع ، فقال : ما أسمع ؟ قال : قلت : جوارك عليك رد ، قال : فقال : لا تفعل يا ابن أختى ، قال قلت : بلى هو ذاك فقال : ما شئت ، قال : فمازلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الإسلام :

وروينا هذا الخبر من طريق ابن إسحق وفيه قال : وكان إسلام عمر فيما بلغنى أن أخته فاطمة ، وكانت عند سعيد بن زيد ، كانت قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد ، وهم مستخفون بإسلامهم من عمر ، وكان نعيم النحام رجل من قومه قد أسلم .

وفيه أن عمر خرج متوشحاً سيفه يقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وهم قريب من أربعين بين رجال ونساء ، وأن الذى قال له ما قال نعيم ، وأن خباباً كان فى بيت أخته يقرئهم القرآن ، وأن الذى كان فى الصحيفة سورة « طه » وأن الذى أذن فى دخوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حمزة بن عبدالمطلب ، والرجل الذى صرح بإسلام عمر عندما قاله جميل بن معمر الجمحى ، الذى يقال له ذو القلبين . وفيه نزلت (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه [1]) على أحد الأقوال ، وفيه يقول الشاعر .

وكيف ثوائى بالمدينة بعد ما قضى وطراً منها جميل بن معمر

ورويناه من طريق ابن عائذ قال : أخبرنى الوليد بن مسلم ، قال : حدثنى عمر بن محمد قال حدثنى أبى محمد بن زيد بن عبدالله ابن عمر فذكر القصة وفيها : فأتيته بصحيفة فيها « طه » فقرأ فيها ما شاء الله ، قال عمر فلما بلغ « فلا يصدنك عنها من لا

١- سورة الأحزاب : الآية ٤

يؤمن بها واتبع هواه فتردى «١» » قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وفيها قالوا : يا رسول الله ، هذا عمر بن الخطاب يستفتح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ائذنوا له ، فإن يرد الله به خيراً يهده ، وإلا كفيتموه «٢» بإذن الله » قال محمد يعني بن عائذ : وهذا وهم وإنما الذى قال :إن يرد الله به خيراً ، وإلا كفيتموه «٢» ، حمزة.

وفى الخبر عن ابن عائذ قال عمر : فحدثنى أبى محمد بن زيد بن عبدالله بن عمر أن أباه زيد بن عبدالله بن عمر حدثه ، عن عبيد الله بن عمر قال : فبينا هو خائف على نفسه ، إذ جاءه العاص بن وائل عليه حلة وقميص مكفف بالحرير فقال : مالك يا ابن الخطاب ؟ قال : زعم قومك أنهم سيقتلوننى إذا أسلمت ، قال العاص : لا سبيل إليك فما عدا أن قالها العاص فأمنت عليه .

قال عبدالله بن عمر : فخرج عمر و العاص فإذا الوادى قد سال بالناس فقال لهم : أين تريدون ؟ قالوا : هذا الذى قد خالف دين قومه ، قال : لا سبيل إليه فارجعوا ، فرجعوا وذكر محمد بن عبدالله بن سنجر الحافظ فيما رأيته عنه بإسناده إلى شريح بن عبيد قال : قال عمر بن الخطاب : خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل أن أسلم ، فوجدته قد سبقنى إلى المسجد ، فقمت خلفه ، فاستفتح سورة «الحاقة » فجعلت أتعجب من تأليف القرآن فقلت : هذا والله شاعر كما قالت قريش ، فقرأ (إنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون) قال : قلت : كاهن علم ما فى نفسى فقرأ « ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون «٣») إلى آخر السورة ، قال : فوقع الإسلام فى قلبى كل موقع .

وقد ذكر غير هذا فى خبر إسلام عمر رضى الله عنه أيضاً ، فالله أعلم أى ذلك كان .

أخبرنا الإمام أبو عبدالله محمد بن إبراهيم المقدسى ، وأبو العز عبدالعزيز ابن عبدالمنعم الحرانى قراءة عليهما وأنا حاضر فى الرابعة قال الأول : أنا أبو اليمن الكندى قراءة عليه وأنا أسمع وقال الثانى : أنا أبو على بن الخريف قراءة عليه وأنا حاضر أسمع فى الخامسة ، قالا أنا أبو بكر محمد بن عبدالباقى الأنصارى ، قال : أنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن حسنون قال : أنا معافى بن إبراهيم بن زكريا بن طراز قال : أنا عبدالله يعنى البغوى ثنا عبيدالله بن عمر ثنا عبدالله بن خراش ، عن العوام ابن حوشب ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : لما أسلم عمر رضى الله عنه نزل جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، لقد إستبشر أهل السماء بإسلام عمر رضى الله عنه .

١- سورة طه : الآية ١٦ ٢- فى نسخة « كفيتكموه » .

٣- سورة الحاقة : الآيات ٤٠-٥٢

ذكر الخبر عن دخول بنى هاشم وبنى عبدالمطلب ابنى عبدمناف فى الشعب ، وما لقوا من سائر قريش فى ذلك

قال أبو عمر : أنا عبدالله بن محمد ثنا محمد بن بكر ثنا أبو داود ثنا محمد بن سلمة المرادى ، قال : أنا ابن وهب ، قال : أخبرنى ابن لهيعة ، عن محمد بن عبدالرحمن أبى الأسود وأنا عبدالوارث بن سفيان ثنا قاسم بن أصبغ ثنا مطرف بن عبدالرحمن ابن قيس ثنا يعقوب بن حمد بن كاسب ، وأنا عبدالله بن محمد ثنا محمد بن بكر ثنا أبو داود ثنا محمد بن إسحق المسيبى ، قالا ، ثنا محمد بن فليح ، عن موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب دخل حديث بعضهم فى بعض قال :

ثم إن كفار قريش أجمعوا أمرهم ، واتفق رأيهم على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : قد أفسد أبناءنا ونساءنا ، فقالوا لقومه : خذوا منادية مضاعفة ، ويقتله رجل من غير قريش وتريحوننا وتريحون أنفسكم ، فأبى قومه بنو هاشم من ذلك فظاهرهم بنو المطلب بن عبد مناف .

فأجمع المشركون من قريش على منابذتهم ، وإخراجهم من مكة إلى الشعب (١) ، فلما دخلوا إلى الشعب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من كان بمكة من المؤمنين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة ، وكان متجراً لقريش ، فكان يثنى على النجاشى بأنه لا يظلم عنده أحد فانطلق إليها عامة من آمن بالله ورسوله .

ودخل بنو هاشم وبنو المطلب شعبهم مؤمنهم وكافرهم فالمؤمن ديناً ، والكافر حمية ، فلما عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد منعه قومه ، أجمعوا على أن لا يبايعوهم ، ولا يدخلوا إليهم شيئاً من الرفق (٢) ، وقطعوا عنهم الأسواق ولم يتركوا طعاماً ولا إداماً ولا بيعاً إلا بادروا إليه واشتروه دونهم (٣) ولا يناكحوهم ، ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً ولا تأخذهم بهم رأفة ، حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى الكعبة ، وتمادوا على العمل بما فيها من ذلك ثلاث سنين ، فاشتد البلاء على بنى هاشم فى شعبهم وعلى كل من معهم ، فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم قوم من قصى ، ممن ولدتهم بنو هاشم ومن سواهم فأجمعوا أمرهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة ، وبعث الله على صحيفتهم الأرضة فأكلت ولحست ما فى الصحيفة من ميثاق وعهد . وكان أبو طالب فى طول مدتهم فى الشعب يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتى فراشه كل ليلة حتى يراه من أراد

١- الشعب : واحد شعاب وهى الوهاد والطرقات بين الجبال حيث كانت تسكن بعض عشائر قريش .

٢- الرفق : ما استعين به

٣- أرادوا بذلك قطع الميرة عنهم ، ويقال إنهم كانوا لا يخرجون من شعبهم إلا من موسم إلى موسم .

به شراً أو غائلة فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو أخوته أو بنى عمه فاضطجع على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بعض فرشهم فيرقد عليها . فلم يزالوا فى الشعب على ذلك إلى تمام ثلاث سنين ، ولم تترك الأرضة فى الصحيفة إسماً لله عز وجل إلا لحسته ، وبقى ما كان فيها من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم ، فأطلع الله رسوله على ذلك ، فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى طالب فقال أبو طالب : لا والثواقب [١] ما كذبتنى ، فانطلق فى عصابة [٢] من بنى عبدالمطلب حتى أتوا المسجد وهم خائفون لقريش . فلما رأتهم قريش فى جماعة أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم برمته [٣] إلى قريش ، فتكلم أبو طالب فقال : قد جرت أمور بيننا وبينكم نذكرها لكم فائتوا بصيحفتكم التى فيها مواثيقكم ، فلعله أن تكون بيننا وبينكم صلح ، وإنما قال ذلك أبو طالب خشية أن ينظروا فى الصحيفة قبل أن يأتوا بها ، فأتوا بصحيفتهم معجبين لا يشكون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع إليهم فوضعوها بينهم ، وقالوا لأبى طالب : قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا ، وعلى أنفسكم ، فقال أبو طالب : إنما أتيتكم فى أمر هو نصف بيننا وبينكم إن ابن أخى أخبرنى ولم يكذبنى ، أن هذه الصحيفة التى فى أيديكم قد بعث الله عليها دابة فلم تترك إسماً له إلا لحسته ، وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم ، فإن كان الحديث كما يقول فأفيقوا ، فلا والله لا نسلمه حتى نموت عن آخرنا ، وإن كان الذى يقول باطلاً دفعنا إليكم صاحبنا فقتلتم أو استحييتم ، فقالوا : قد رضينا بالذى تقول ففتحوا الصحيفة ،فوجدوا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قد أخبر بخبرها قبل أن تفتح ، فلما رأت قريش صدق ما جاء به أبو طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم قالوا : هذا سحر ابن أخيك ، وزادهم ذلك بغياً وعدواناً .

وقال ابن هشام : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى طالب : يا عم ، إن ربى قد سلط الأرضة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها إسماً لله إلا أثبتته ، ونفت منها القطيعة والظلم والبهتان . قال : أربك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : فوالله ما يدخل عليك أحد ، ثم خرج إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش إن ابن أخى أخبرنى ، وساق الخبر بمعنى ما ذكرناه [٤] .

١- النجوم وفى القرآن الكريم : « النجم الثاقب » أى الذى يثقب بضوئه ظلمة الليل .

٢- العصبة من الرجال ما بين العشرة إلى الأربعين و« العصابة » بالكسر الجماعة من الناس

٣- الرمة : قطعة الحبل ، ويراد بها هنا العهد .

٤- اتفق الطريقان على أن الله تعالى غار لأسمائه الحسنى ، فلم يجمع بينها وبين القطيعة والظلم والبهتان فى الصحيفة،إما بأن محا أسماءه وترك ظلمهم ، وإما بأن محا ظلمهم وترك أسماءه .

وقال ابن إسحق وابن عقبة وغيرهما : وندم منهم قوم ، فقالوا : هذا بغى منا على إخواننا وظلم لهم ، فكان أول من مشى فى نقض الصحيفة هشام بن عمرو بن الحارث العامرى ، وهو كان كاتب الصحيفة ، وأبو البخترى العاص بن هشام بن الحارث بن أسد عبد العزى ، والمطعم بن عدى .

إلى هنا انتهى خبر ابن لهيعة ، عن أبى الأسود يتيم عروة ، وموسى بن عقبة ، عن ابن شهاب ، وذكر ابن إسحق : فيهم زهير بن أبى أمية بن المغيرة المخزومى ، وزمعة ابن الأسود بن المطلب .

وذكر ابن إسحق فى أول هذا الخبر قال :

وقد كان أبو جهل – فيما يذكرون – لقى حكيم بن حزام ومعه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة وهى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب ، فتعلق به ، وقال : أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم ؟ فقال له أبو البخترى : طعام كان لعمته عنده أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ، خل سبيل الرجل ، فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه فأخذ أبو البخترى لحى بعير فضربه به فشجه ووطئه وطئاً شديداً .

وذكر أبو عبدالله محمد بن سعد هشام بن عمرو العامرى المذكور وقال : كان أوصل قريش لبنى هاشم حين حصروا فى الشعب أدخل عليهم فى ليلة ثلاثة أحمال طعاماً فعلمت بذلك قريش فمشوا إليه حين أصبح فكلموه فى ذلك فقال : إنى غير عائد لشىء خالفكم فانصرفوا عنه ، ثم عاد الثانية فأدخل عليهم حملاً أو حملين ، فغالظته قريش وهمت به ، فقال أبو سفيان بن حرب : دعوه ، رجل وصل أهل رحمه ، أما أنى أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أحسن بنا ، وعن ابن سعد : وكان الذى كتب الصحيفة بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى فشلت يده [1] .

وحصروا بنى هاشم فى شعب أبى طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من حين نبىء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان خروجهم فى السنة العاشرة ، وقيل مكثوا فى الشعب سنتين .

١- اختلف أهل السير فى كاتب الصحيفة : قال ابن إسحق إن كاتب الصحيفة هو منصور بن عكرمة ، وقيل : طلحة ابن أبى طلحة وقيل : بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف ، وقيل : منصور بن عبد شرحبيل ، وقيل : هشام بن عمرو ابن الحارث .

وقال السهيلى « للنساب من قريش فى كاتب الصحيفة قولان : أحدهما أن كاتب الصحيفة هو بغيض بن عامر بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار ، والقول الثانى أنه منصور بن عبد شرحبيل بن هاشم من بنى عبدالدار أيضاً ، وهو خلاف قول ابن إسحق ، ولم يذكر الزبير فى كاتب الصحيفة غير هذين القولين ، والزبير يون أعلم بأنساب قومهم » .

ذكر خبر أهل نجران

قال ابن إسحق : ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه فى المسجد فجلسوا إليه وكلموه ، ورجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا ، دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] ، وتلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، فلما سمعوه فاضت عيونهم من الدمع ، ثم استجابوا له ، وآمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره ، فلما قاموا عنه ، اعترضهم أبو جهل بن هشام فى نفر من قريش ، فقال لهم : خيبكم الله من ركب بعثكم من ورائكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال ، ما نعلم ركباً أحمق منكم أو كما قالوا - فقالوا لهم : سلام عليكم لانجاهلكم لنا ما نحن عليه ، ولكم ما أنتم عليه لم نأل من أنفسنا خيراً .

ويقال إن النفر من النصارى من أهل نجران ، ويقال فيهم نزلت : (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به) إلى قوله (لا نبتغى الجاهلين[2]) .

وقال الزهرى : مازلت أسمع من علمائنا أنهن نزلن فى النجاشى وأصحابه .

ذكر وفاة خديجة وأبى طالب

روينا عن الدولابى ثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام العجلى ثنا زهير بن العلاء ثنا سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة قال : توفيت خديجة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين ، وهى أول من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم . قال : وثنا أحمد بن عبد الجبار قال : حدثنى يونس بن بكير ، عن ابن إسحق قال : ثم إن خديجة بنت خويلد ، وأبا طالب ماتا فى عام واحد ، فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبتان : هلاك خديجة ، وأبى طالب .

وكانت خديجة وزير صدق على الإسلام ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكن إليها . قال : وقال زياد البكائى عن ابن إسحق : إن خديجة وأبا طالب هلكا فى عام واحد ، وكان هلاكهما بعد عشر سنين مضين من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

١- فى نسخة زيادة إلى الله

٢- سورة القصص : الآيات ٥٣-٥٥

وذلك قبل مهاجره صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بثلاث سنين .
وذكر ابن قتيبة : أن خديجة توفيت بعد أبى طالب بثلاثة أيام وذكر البيهقى نحوه .
وعن الواقدى توفيت خديجة قبل أبى طالب بخمس وثلاثين ليلة ، وقيل غير ذلك ، فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع فيه فى حياة أبى طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهى تبكى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تبكى يا بنية فإن الله مانع أباك » ويقول بين ذلك : « ما نالت منى قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب » .

قال :ض ولما اشتكى أبو طالب وبلغ قريشاً ثقله ، قال بعضهم لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فشا أمر محمد فى قبائل قريش كلها ، فإنطلقوا بنا إلى أبى طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا فإنا والله ما نأمن أن ينتبزونا أمرنا «١» فمشوا إلى أبى طالب وكلموه ، وهم أشراف قومه : عتبة وشيبة إبنا ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب فى رجال من أشرافهم فقالوا : يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت ، وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك ، وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك ، فإدعه وخذ له منا ، وخذ لنا منه ، ليكف عنا ونكف عنه ، وليدعنا وديننا وندعه ودينه ، فبعث إليه أبو طالب فجاءه فقال : يا ابن أخى هؤلاء أشراف قومك وقد إجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم كلمة واحدة تعطونيها وتملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم ، فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات ، قال : تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه . فصفقوا بأيديهم ثم قالوا : أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلها واحدا ؟ إن أمرك لعجب ، ثم تفرقوا .

فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : والله يا ابن أخى ما رأيتك سألتهم شططا «٢» فطمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إسلامه ، وأبى أبو طالب أن يقول لا إله إلا الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك ، فأنزل الله عز وجل : « ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم «٣») وأنزل الله فى أبى طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين «٤»)

---

١ – ينتبزونا أمرنا : أى يسلبوننا إياه ويغلبوننا عليه .
٢ – الشطط : تجاوز القدر .
٢ – سورة التوبة : الآية ١١٣
٤ – سورة القصص : الآية ٥٦

ورواه مسلم من حديث أبى هريرة أيضاً وفيه : لولا أن تعيرنى قريش يقولون : إنما حمله على ذلك الخرع «١» لأقررت بها عينك ، وفى الصحيح من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال : لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح «٢» من النار . وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أهون أهل النار فى النار عذابا أبو طالب وهو منتعل بنعلين من نار يغلى منهما دماغه)

وأخبرنا عبد الرحيم «٣» بقراءة والدى عليه أخبركم أبو على حنبل بن عبدالله ابن الفرج ، قال : أنا أبو القاسم بن الحصين ، قال أنا أبو على بن المذهب ، قال : أنا أبو بكر القطيعى قال أنا عبدالله بن أحمد ثنا أبى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبى إسحق قال : سمعت ناجية بن كعب يحدث عن على أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن أبا طالب مات ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : إذهب فواره ، فقال : إنه مات مشركاً ، قال : إذهب فواره ، فلما واريته ، رجعت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى : أغتسل .

وأخبرنا أبو الفضل بن الموصلى قال أخبرنا أبو على بن سعادة الرصافى ، قال أنا هبة الله بن محمد الشيبانى ، قال : أنا الحسن بن على التميمى ، أنا أحمد بن محمد جعفر بن حمدان ، قال : أنا عبدالله بن أحمد ثنا أبى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن يعلى ابن عطاء ، عن وكيع بن عدس ، عن أبى رزين عمه ، قال قلت : يا رسول الله أين أمى ؟ قال : أمك فى النار قال : قلت : أين من مضى من أهلك : قال : أما ترضى أن تكون أمك مع أمى ؟ قال عبدالله قال أبى الصواب حدس .

وذكر بعض أهل العلم فى الجمع بين هذه الروايات ما حاصله أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يزل راقياً فى المقامات السنية صاعداً فى الدرجات العلية إلى أن قبض الله روحه الطاهرة إليه وأزلفه بما خصه به لديه من الكرامة حين القدوم عليه فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له صلى الله عليه وسلم بعد أن لم تكن ، وأن يكون الأحياء والإيمان متأخراً عن تلك الأحاديث فلا تعارض .

وقال السهيلى : شهادة العباس لأبى طالب لو أداها بعد ما أسلم كانت مقبولة ، لأن العدل إذا قال : سمعت ، وقال من هو أعدل منه : لم أسمع ، أخذ بقول من

١- الخرع : الضعف وفى الأصل «الخزع» وهو خطأ ، وفى نسخة « الجزع » قال فى النهاية : قال ثعلب إنما هو بالخاء والراء.

٢- الضحضاح : فى الأصل مارق من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين استعاره للنار وقيل : الضحضاح هو ما يقرب من القعر

٣- فى نسخة « عبدالرحيم المزى » .

أثبت السماع ، ولكن العباس شهد بذلك قبل أن يسلم .
قلت : قد أسلم العباس بعد ذلك وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حال أبى طالب فيما أخبرنا عبدالرحيم بن يوسف بقراءة أبى عليه ، وقرأت على أبى الهيجاء غازى بن أبى الفضل قال : أنا أبو حفص بن طبرزد قال : أنا بن الحسين : قال : أنا أبو طالب بن غيلان ، قال : أنا أبو بكر الشافعى ثنا بشر بن موسى ثنا الحميدى ثنا سفيان ثنا عبدالملك بن عمير قال سمعت عبدالله بن الحرث بن نوفل ، قال : سمعت العباس يقول ، قلت : يا رسول الله ، إن أبا طالب كان يحفظك وينصرك ، فهل نفعه ذاك ؟ قال : نعم ، وجدته فى غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح .
صحيح الإسناد مشهور متفق عليه من حديث العباس فى الصحيحين ، ولو كانت هذه الشهادة عنده لأداها بعد إسلامه وعلم حال أبى طالب ولم يسأل ، والمعتبر حالة الاداء دون التحمل .
وفيما ذكره السهيلى أن الحرث بن عبدالعزى أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، فأسلم وحسن إسلامه ، فى خبر ذكره من طريق يونس بن بكير ، عن ابن إسحق ، عن أبيه ، عن رجال من بنى سعد ابن بكر .

ذكر خروج النبى صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وذلك فى ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة

قال ابن إسحق : ولما هلك أبو طالب ، نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم تكن تنال منه فى حياته ، خرج إلى الطائف وحده - وقال ابن سعد ومعه زيد ابن حارثة - يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله .
فلما انتهى إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم أخوة ثلاثة : عبديا ليل (١) ومسعود ، وحبيب بنو عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة ابن غيرة بن عوف بن ثقيف ، وعند أحدهم امرأة من قريش من بنى جمح فجلس إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلمهم ما جاءهم له من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالف من قومه ، فقال له أحدهم : هو يمرط (٢) ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك ، وقال الآخر : أما وجد الله أحداً يرسله غيرك ؟ وقال الثالث : والله لا أكلمك

١- ياليل : صنم أضيف إليه مثل عبد مناة وعبد يغوث
٢- يمرط ثياب الكعبة : أى ينزعها ويرمى بها

ابداً ، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى[1] أن أكلمك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم - فيما ذكر لى - إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا[2] علىّ ، وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه ، فلم يفعلوا أغروا به سفاهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ، حتى إجتمع عليه الناس : قال موسى ابن عقبة : فقعدوا له صفين على طريقه فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين صفيهم جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما[3] بالحجارة حتى أدموا رجليه ، زاد سليمان التيمى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أذلقته[4] الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه فيقيمونه ، فإذا مشى رجموه وهم يضحكون .

وقال ابن سعد : وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج فى رأسه شجاجاً ، قال ابن عقبة : فخلص منهم ورجلاه تسيلان دماً فعمد إلى حائط[5] من حوائطهم ، فاستظل فى ظل حبلة[6] وهو مكروب موجع ، وإذا فى الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله ، قال : فلما رآه ابنا ربيعة وما لقى تحركت له رحمهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عداس ، فقالا له خذ قطفاً[7] من هذا العنب فضعه فى هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له يأكل منه ، ففعل عداس ، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال له : كل ، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال : بسم الله ، ثم أكل فنظر عداس فى وجهه ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أى البلاد أنت يا عداس ، وما دينك ؟ قال : نصرانى ، وأنا من أهل نينوى[8] فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أهل قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ قال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك أخى كان نبياً وأنا نبى ، فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه ، فلما جاءهما عداس قالا له : ويلك ، مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : يا سيدى ما فى الأرض شىء خير من هذا ، لقد أعلمنى بأمر لا يعلمه إلا نبى ، قالا : ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه .

١- فى نسخة : ما ينبغى لى أن أكلمك
٢- فى ابن هشام : فاكتموا عنى
٣- رضخوهما : دقوها ورموها
٤- أى بلغت منه الجهد حتى قلق
٥- الحائط : البستان عليه جدار
٦- الحبلة : بفتح الباء ، وهى شجرة العنب
٧- القطف : اسم للعنقود و أصله اسم لكل ما يقطف
٨- نينوى : من مدن الموصل

وروينا فى الصحيح [1] من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ؟ فقال : لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبدكلال ، فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت على وجهى وأنا مهموم .فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب [2] فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى ، فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وماردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فنادانى ملك الجبال فسلم فقال : يا محمد ، ذلك لك فما شئت ، وإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين [3] فقال النبى صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً .

وذكر ابن هشام : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن أهل الطائف ولم يجيبوه لما دعاهم إليه من تصديقه ونصرته صار إلى حراء ، ثم بعث إلى الأخنس ابن شريق ليجيره فقال : أنا حليف والحليف لا يجير ، فبعث إلى سهيل بنى عمرو فقال : إن بنى عامر لا تجير على بنى كعب ، فبعث إلى المطعم بن عدى فأجابه إلى ذلك ثم تسلح المطعم وأهل بيته ، وخرجوا حتى أتوا المسجد ، ثم بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أدخل ، فدخل رسول الله الله صلى الله عليه وسلم ، فطاف بالبيت وصلى عنده ، ثم أنصرف إلى منزله ، ولأجل هذه السابقة التى سلفت للمطعم بن عدى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر : لو كان المطعم بن عدى حياً ثم كلمنى فى هؤلاء النتنى لتركتهم له .

١- انظر الحديث فى صحيح مسلم بشرح النووى فى ١٢/١٥٤

٢- قرن الثعالب : موضع تلقاء مكة ، على مرحلتين منها

٣- الأخشبان : جبلا مكة .

ذكر إسلام الجن

وفى انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خبر ثقيف ، مر به النفر من الجن وهو بنخلة كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

وهم فيما ذكر ابن إسحق سبعة من جن نصيبين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قام من جوف الليل يصلى . والخبر بذلك ثابت من طريق عبدالله بن مسعود رضى الله عنه .

قرأت على أبى عبدالله بن أبى الفتح الصورى بمرج دمشق ، أخبركم أبو القاسم ابن الحرستانى سماعاً عليه فأقربه ، قال : أنا أبو محمد طاهر بن سهل ، قال : أنا أبو الحسين مكى ، قال : أنا القاضى أبو الحسن الحلبى ، قال : حدثنى إسحق بن محمد ابن يزيد ثنا أبو داود يعنى سليمان بن سيف ثنا أيوب بن خالد ثنا الأوزاعى ، قال حدثنى إبراهيم بن طريف ، قال : حدثنى يحيى بن سعيد الأنصارى ، قال : حدثنى عبدالرحمن بن أبى ليلى ، قال : حدثنى عبدالله بن مسعود ، قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة صرف الله النفر من الجن الحديث .

ورويناه من حديث أبى المعلى ، عن عبدالله بن مسعود ، قال :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة إلى نواحى مكة ، فخط لى خطاً وقال : لا تحدثن شيئاً حتى آتيك ثم قال : لا يروعنك أولا يهولنك شىء تراه ، ثم جلس فإذا رجال سود كأنهم رجال الزط «١» قال : وكانوا كما قال الله : (كادوا يكونون عليه لبدا «٢») فأردت أن أقوم فأذب «٣» عنه بالغاً ما بلغت ، ثم ذكرت عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكثت ، ثم إنهم تفرقوا عنه فسمعتهم يقولون : يا رسول الله ، إن شقتنا بعيدة ونحن منطلقون فزودنا . الحديث ، وفيه ، فلما ولوا قلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء جن نصيبين .

وروينا من حديث أبى عبدالله الجدلى ، عن عبدالله وفيه قال : ثم شبك أصابعه فى أصابعى ، وقال : إنى وعدت أن تؤمن بى الجن والإنس فأما الأنس فقد آمنت بى وأما الجن فقد رأيت .

وروى أبو عمر من طريق أبى داود ثنا محمد بن المثنى ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن أبى عبيدة بن عبدالله بن مسعود ، قال : لما كانت ليلة الجن أتت النبى صلى الله عليه وسلم سمرة «٤» فآذنته بهم فخرج إليهم .

١- الزط : جيل من الناس الواحد زطى ٢- سورة الجن الآية ١٩ « ولبدا » جمع لبدة بكسر فسكون بوزن نعمة واللبدة هى الصوف أو الشعر الملتصق بعضه ببعض التصاقاً شديداً والمراد : جماعات متزاحمة متلاصقة .

٣- الذب : المنع والدفع

٤- السمرة : شجرة الطلح

قال أبو داود ثنا هارون بن معروف ثنا سفيان ، عن مسعد ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة أن مسروقاً قال له : أبوك أخبرنا : أن شجرة أنذرت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن .

وروينا حديث أبي فزارة ، عن أبي زيد مولى عمرو بن حريث ثنا عبدالله بن مسعود قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إني قد أمرت أن أقرأ على إخوانكم من الجن فليقم معي رجل منكم ، ولا يقم رجل في قلبه مثقال حبة خردل من كبر ، فقمت معه وأخذت إداوة فيها نبيذ فانطلقت معه ، فلما برز خط لي خطاً وقال لي : لا تخرج منه فإنك إن خرجت لم ترني ولم أرك إلى يوم القيامة ، قال : ثم انطلق ، فتوارى عني حتى لم أره ، فلما سطع الفجر أقبل فقال لي : أراك قائما ، فقلت : ما قعدت ، فقال : ما عليك لو فعلت ، قلت : خشيت أن أخرج منه ، فقال : أما أنك لو خرجت منه لم ترني ولم أراك إلى يوم القيامة ، هل معك وضوء ؟ قلت : لا ، فقال : ما هذه الإداوة ؟ قلت : فيها نبيذ قال : ثمرة طيبة وماء طهور ، فتوضأ وأقام الصلاة ، فلما قضى الصلاة قام إليه رجلان من الجن فسألاه المتاع فقال : ألم آمر لكما ولقومكما بما يصلحكما ؟ قالا : بلى ولكن أحببنا أن يشهد بعضنا معك الصلاة ، فقال : ممن أنتما ؟ قالا : من أهل نصيبين ، فقال : أفلح هذان وأفلح قومهما . وأمر لهما بالروث والعظم طعاماً ولحماً ، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستنجى بعظم أو روثة .

رويناه من حديث قيس بن الربيع ، وهذا لفظه ، ومن حديث الثوري ، واسرائيل وشريك ، والجراح بن مليح ، وأبي عميس ، كلهم عن أبي فزارة وغير طريق أبي فزارة عن أبي زيد لهذا الحديث أقوى منها للجهالة الواقعة في أبي زيد ، ولكن أصل الحديث مشهور عن ابن مسعود من طرق حسان متظافرة يشهد بعضها لبعض ، ويشد بعضها بعضاً ، ولم ينفرد طريق أبي زيد إلا بما فيها من التوضؤ بنبيذ التمر ، وليس ذلك مقصودنا الآن ، ويكفي من أمر الجن ما في سورة الرحمن ، وسورة (قل أوحى إلى [١]) وسورة الأحقاف (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن [٢]) .

وذكر ابن سعد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر بالجن وهم يستمعون له يقرأ حتى نزلت عليه « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن » الآية

١- سورة الجن

٢- سورة الأحقاف : الآيات ٢٩- ٣٢

(خبر الأعشى الشاعر)

وروينا عن ابن هشام قال : حدثني خلاد بن قرة بن خالد السدوسي وغيره من مشائخ بكر بن وائل من أهل العلم ، أن أعشى بنى قيس بن ثعلبة ، خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الإسلام فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا ... وبت كما بات السليم «١» مسهدا
ألا أيهاذا السائلي أين يممت «٢» ... فإن لها في أهل يثرب موعدا
وآليت لا آوى لها من كلالة ... ولا من حفى حتى تلاقى محمدا «٣»
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم ... تراخي وتلقى من فواضله ندى «٤»
نبياً يرى ما لا يرون وذكره ... أغار لعمرى في البلاد وأنجدا «٥»
له صدقات ما تغب ونائل «٦» ... وليس عطاء اليوم مانعه غدا
أجدك لم تسمع وصاة محمد ... نبى الإله حين أوصى وأشهدا
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولا قيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله ... فترصد للموت الذى كان أرصدا

فلما كان بمكة أو قريباً منها إعترضه بعض المشركين من قريش ، فسأله عن أمره فأخبره أنه جاء يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم ، فقال له : يا أبا بصير ، فإنه يحرم الزنا، فقال الأعشى : والله إن ذلك لأمر مالى فيه من أرب ، فقال : يا أبا بصير فإنه يحرم الخمر ، فقال الأعشى : أما هذه فوالله إن في النفس لعلالات منها ، ولكني منصرف فأرتوى منها عامي هذا ، ثم آتيه فأسلم ، فانصرف فمات في عامه ذلك «٧» ولم يعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١- الأرمد : الذى بعينيه وجع ، والسليم : الذى لدغته الحية ، والمسهد : الذى منع النوم
٣- يممت : قصدت
٢- لا آوى : هذه رواية السيرة وشرحها والمعنى لا أشفق عليها ولا أرحمها ، والكلالة : التعب ، وحفى : مبالغ فى السؤال
٤- الفواضل : جمع فاضلة ، وندى هو الجود
٥- أغار لعمرى : بلغ الغور ، وهو ما انخفض من الأرض ، وأنجد : بلغ النجد وهو ما أرتفع من الأرض .
٦- النائل : العطاء

٧- الأعشى هو ميمون بن قيس بن جندل .. ويكنى أبابصير وهو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولها وكانت العرب تسميه صناجة العرب وفى الأغانى ٣/ ١٠٢٠ « فبلغ خبره قريشاً فرصدوه على طريقه وقالوا : هذا صناجة العرب ما مدح أحد قط إلا رفع قدره فلما بلغه ورد عليهم فقالوا : أين أردت أبا بصير ؟ قال : أردت صاحبكم هذا لأسلم فقال له أبو سفيان : هل لك فى خير مما هممت به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن وهو الآن فى هدنة فتأخذ مائة من الإبل وترجع إلى بلدك سنتك هذه وتنتظر ما يصيرإليه أمرنا فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفاً ، وإن ظهر علينا أتيته فقال : ما أكره ذاك فقال أبو سفيان : يا معشر قريش ، هذا الأعشى ، والله لئن أتى محمداً واتبعه ليضرمن عليكم نيران العرب بشعره ، فاجمعوا له مائة من الإبل ، ففعلوا فأخذها وانطلق إلى بلده ، فلما كان بقاع منفوحة « قرية باليمامة » رمى به بعيره فقتله .

قوله : « لا آوى لها من كلاله » أى لا أرق .

وفى هذه الأبيات عن غير ابن هشام بعد قوله : « أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا »

به أنقذ الله الأنام من العمى   وما كان فيهم من يريع إلى هدى

وقوله : فلما كان بمكة ، وهم ظاهر لأن تحريم الخمر إنما كان بعد أحد ، وفى الأبيات .

فإن لها فى أهل يثرب موعدا

وهو أيضاً مما يبين ذلك ، والله أعلم .

خبر الطفيل بن عمرو الدوسى

روينا عن محمد بن سعد قال : أنا محمد بن عمر ، قال : حدثنى عبدالله بن جعفر ، عن عبدالواحد بن أبى عون الدوسى ، وكان له حلف فى قريش ، قال : كان الطفيل شريفاً شاعراً نبيلاً ، كثير الضيافة ، فقدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، فمشى إليه رجال من قريش فقالوا : يا طفيل إنك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذى بين أظهرنا قد أعضل«١» بنا ، وفرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وإنما قوله كالسحر : يفرق بين الرجل وأبيه ، وبين الرجل وأخيه ، قال : فوالله ، مازالوا بى حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ، ولا أكلمه ، فأبى الله إلا أن يسمعنى بعض قوله فمكثت حتى انصرف إلى بيته فقلت : يا محمد ، إن قومك قالوا لى كذا وكذا حتى سددت أذنى بكرسف «٢» لئلا أسمع قولك فأعرض علىّ أمرك ، فعرض عليه الإسلام ، وتلا عليه القرآن ، فقال : لا والله ما سمعت قولاً قط أحسن من هذا ، ولا أمراً أعدل منه ، فأسلمت ، فقلت : يانبى الله ، إنى امرؤ مطاع فى قومى ، وأنا راجع إليهم فداعيهم إلى الإسلام ، فادع الله أن يكون لى عوناً عليهم ، قال : اللهم أجعل له آية ، فخرجت حتى إذا كنت بثنية «٣» تطلعنى على الحاضر «٤» وقع نور بين عينى مثل المصباح ، فقلت : اللهم فى غير وجهى فإنى أخشى أن يظنوا أنها مثلة ، فتحول فى رأس سوطى ، فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور كالقنديل المعلق قال : فأتانى أبى ، فقلت له قال : دينى دينك فأسلم ، ثم أتتنى صاحبتى فذكر مثل ذلك فأسلمت ، ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطؤا علىّ ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فقلت : يا رسول الله ، قد غلبتنى دوس فادع الله عليهم فقال : اللهم أهد دوساً ، فخرجت إليهم ، ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمن أسلم من قومى وهو بخيبر بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس ، فأسهم لنا «٥» مع المسلمين وقلنا : يا رسول الله ، اجعلنا ميمنتك واجعل شعارنا مبرور ، ثم قلت بعد

١- أعضل بنا : أى اشتد أمره
٢- الكرسف : بضمتين بينهما سكون - القطن
٣- الثنية : الفرجة بين الجبلين ، أو هى المكان المرتفع
٤- الحاضر : القوم النازلون على الماء
٥- فأسهم لنا أى جعل لنا من سهام الغنيمة نصيباً كالمحاربين

فتح مكة : يا رسول الله ، ابعثني إلى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة ، حتى أحرقه فبعثه وجعل الطفيل يقول :

ياذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أكبر من ميلادكا
أنا حشوت النار في فؤادكا

قال : فلما أحرقته أسلموا جميعاً . ثم قتل الطفيل باليمامة شهيداً .
والخبر عن ابن سعد طويل ، وأنا اختصرته .

ذكر الحديث عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعراجه وفرض الصلاة

قرأت على أبي عبدالله بن أبي الفتح الصوري ، أخبركم الشيخان أبو مسلم المؤيد ابن عبدالرحيم بن أحمد بن محمد بن الأخوة ، وأم حبيبة عائشة بنت معمر بن الفاخر القرشية إجازة قالا : أنا أبو الفرج سعيد بن أبي الرجاء الصيرفي قراءة عليه ونحن نسمع بأصبهان ، قال : أنا أبو نصر إبراهيم بن محمد بن علي الأصبهاني الكسائي قال : أنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المقرئ ، قال : أبو يعلى أحمد بن علي ابن المثنى ثنا محمد بن إسماعيل بن علي الوساوسي ثنا ضمرة بن ربيعة ، عن يحيى ابن أبي عمرو الشيباني ، عن أبي صالح مولى أم هانئ قالت :

دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلس ، وأنا على فراشي فقال : شعرت أني نمت الليلة في المسجد الحرام ، فأتاني جبريل عليه السلام ، فذهب بي إلى باب المسجد ، فإذا دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل مضطرب الأذنين ، فركبته فكان يضع حافره مد بصره ، إذا أخذ في هبوط طالت يداه وقصرت رجلاه ، وإذا أخذ في صعود طالت رجلاه وقصرت يداه ، وجبريل عليه السلام لا يفوتني حتى انتهينا إلى بيت المقدس ، فأوثقته بالحلقة التي كانت الأنبياء توثق بها ، فنشر لي رهط من الأنبياء فيهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فصليت بهم وكلمتهم ، وأوتيت بإناءين أحمر وأبيض فشربت الأبيض ، فقال جبريل عليه السلام : شربت اللبن ، وتركت الخمر لو شربت الخمر لارتدت أمتك «١» .

ثم ركبته فأتيت المسجد الحرام فصليت به الغداة فتعلقت بردائه وقلت : أنشدك الله

١- قال ابن إسحق في السيرة ٢/٣ ثم أتى بثلاثة آنية : إناء فيه لبن وإناء فيه خمر ، وإناء فيه ماء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فسمعت قائلا يقول حين عرضت عليّ إن أخذ الماء غرق وغرقت أمته ، وإن أخذ الخمر غوى وغوت أمته ، وإن أخذ اللبن هدى وهديت أمته ، قال : فأخذت إناء اللبن فشربت منه فقال لي جبريل عليه السلام : هديت وهديت أمتك يا محمد

ابن عم ، أن تحدث بها قريشاً فيكذبك من صدقك ، فضرب بيده على ردائه فانتزعه من يدى ، فارتفع عن بطنه فنظرت إلى عكنه «١» فوق ردائه وكأنه طى القراطيس ، وإذا نور ساطع عند فؤاده كاد يخطف بصرى ، فخررت ساجدة ، فلما رفعت رأسى إذا هو قد خرج فقلت لجاريتى نبعة : ويحك اتبعيه فإنظرى ماذا يقول ؟ وماذا يقال له ؟ فلما رجعت نبعة ، أخبرتنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى إلى نفر من قريش فى الحطيم فيهم : المطعم بن عدى بن نوفل ، وعمرو بن هشام ، والوليد بن المغيرة فقال : إنى صليت الليلة العشاء فى هذا المسجد ، وصليت به الغداة ، وأتيت فيما بين ذلك بيت المقدس ، فنشر لى رهط من الأنبياء منهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فصليت بهم وكلمتهم ، فقال عمرو بن هشام - كالمستهزىء : صفهم لى فقال : أما عيسى ففوق الربعة ودون الطويل ، عريض الصدر ، ظاهر الدم ، جعد «٢» الشعر يعلوه صهبة ، كأنه عروة بن مسعود الثقفى ، وأما موسى عليه السلام فضخم آدم «٣» طويل كأنه من رجال شنوءة «٤» ، كثير الشعر ، غائر العينين ، متراكب الأسنان ، مقلص الشفتين خارج اللثة عابس ، وأما إبراهيم ، فوالله لأشبه الناس بى خلقاً وخلقاً ، فضجوا ، وأعظموا ذلك ، فقال المطعم بن عدى بن نوفل : كل أمرك قبل اليوم كان أمماً غير قولك اليوم ، أشهد أنك كاذب ، نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مصعداً شهراً ومنحدراً شهراً ، تزعم أنك أتيته فى ليلة ؟ واللات والعزى لا أصدقك ، وماكان هذا الذى تقول قط ، وكان للمطعم بن عدى حوض على زمزم ، أعطاه إياه عبدالمطلب فهدمه ، وأقسم باللات والعزى لا يسقى منه قطرة أبداً ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا مطعم ، بئس ما قلت لابن أخيك جبهته وكذبته ، أنا أشهد أنه صادق ، فقال : يا محمد صف لنا بيت المقدس ، قال دخلته ليلاً وخرجت منه ليلاً ، فأتاه جبريل عليه السلام فصوره فى جناحه فجعل يقول : باب منه كذا فى موضع كذا ، وباب منه كذا فى موضع كذا ، وأبو بكر رضى الله عنه يقول : صدقت ، صدقت قالت نبعة : فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ : يا أبا بكر ، إن الله عز وجل قد سماك الصديق .

قالوا : يا مطعم دعنا نسأله عما هو أغنى لنا من بيت المقدس ، يا محمد ، أخبرنا عن عيرنا فقال : أتيت على عير بنى فلان بالروحاء ، قد أضلوا ناقة لهم وانطلقوا فى طلبها فانتهيت إلى رحالهم ليس بها منهم أحد ، وإذا قدح ماء فشربت منه ، فسلوهم عن ذلك فقالوا : هذه واللات والعزى آية ، ثم انتهيت إلى عير بنى فلان فنفرت منى الإبل وبرك منها جمل أحمر عليه جوالق «٥» مخطط ببياض لا أدرى أكسر البعير أم لا ؟

١- العكنة : ما تثنى من لحم البطن
٢- الجعد : المتكسر الشعر
٣- آدم : الأدم من الناس الأسمر
٤- شنوءة : قبيلة من الأزد
٥- الجوالق : وعاء : والجمع الجوالق بالفتح

فاسألوهم عن ذلك فقالوا : هذه والله آية ، ثم انتهيت إلى عير بنى فلان بالأبواء يقدمها جمل أورق «١» ها هى تطلع عليكم من الثنية ، فقال الوليد بن المغيرة : ساحر ، فانطلقوا فنظروا فوجدوا كما قال فرموه بالسحر ، وقالوا صدق الوليد بن المغيرة فيما قال .

وأنزل الله تبارك وتعالى : (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن «٢»)

قلت : يا أم هانىء «٣» ما الشجرة الملعونة فى القرآن «٤» ؟ قالت : التى خوفوا بها فلم يزدهم التخويف إلا طغياناً كبيراً .

وروينا من طريق البخارى حدثنا يحيى بن بكير ثنا الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب قال : حدثنى أبو سلمة بن عبدالرحمن قال : سمعت جابر بن عبدالله أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر ، فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه .

وقرأت على أبى حفص عمربن عبدالمنعم بن القواس بعربيل بغوطة دمشق أخبركم أبو القاسم بن الحرستانى فى الرابعة ، فأقربه قال : أنا جمال الإسلام أبو الحسن على ابن المسلم السلمى فقال : أنا أبو نصر الحسين بن محمد بن أحمد بن طلاب الخطيب سماعاً قال : أنا أبوالحسين محمد بن أحمد بن جميع ثنا محمد بن صالح بن زكريا بن يحيى بن داود بن زكريا العثمانى ثنا أحمد بن العلاء ثنا زيد بن أسامة عن سفيان عن مسعر ، عن قتادة ، عن أنس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : أتى بدابة فوق الحمار ودون البغل خطوه مد البصر ، فلما دنا منه إشمأز «٥» ، فقال جبريل : أسكن فماركبك أحد أكرم على الله من محمد .

وعن عائشة ، وأم سلمة ، وأم هانىء ، وابن عمر ، وابن عباس رضى الله عنهم قالوا : أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول ، قبل الهجرة بسنة من شعب أبى طالب إلى بيت المقدس .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حملت على دابة بيضاء بين الحمار وبين البغل ، وفى فخذيها جناحان تحفز بهما رجليها ، فلما دنوت لأركبها شمست «٦» ، فوضع

١- جمل أورق : هو الذى لونه بين السواد والغبرة

٢- سورة الإسراء : الآية ٦٠

٣ - أم هانىء : هى هند بنت أبى طالب رضى الله عنها بنت عم الرسول الكريم ، وأخت على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه .

٤- الشجرة الملعونة فى القرآن : هى شجرة الزقوم وهى شجرة صغيرة منتنة الرائحة مرة الطعم تنبت بأرض تهامة من بلاد العرب

٥- إشماز الرجل اشمئزازاً أنقبض ، وقيل : ذعر

٦- شمس : نفر أى منع ظهره

جبريل يده على معرفتها (١)، ثم قال : ألا تستحيين يا براق مما تصنعين ، والله ماركب عليك أحد قبل محمد أكرم على الله منه ، فاستحيت حتى ارفضت عرقاً ، ثم قرت (٢)، حتى ركبتها الحديث .

وفى رواية يونس بن بكير ، عن ابن إسحق فى هذا الخبر : أنه عليه السلام وعد قريشاً بقدوم العير الذين أرشدهم إلى البعير ، وشرب إناءهم ، أن يقدموا يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى قربت الشمس أن تغرب ، فدعا الله فحبس حتى قدموا كما وصف ، قال : ولم تحبس الشمس إلا له ذلك اليوم وليوشع بن نون .

حديث المعراج

روينا من طريق مسلم حدثنا شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت البنانى ، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتيت البراق ، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس ، قال : فربطته بالحلقة التى تربط بها الأنبياء ، قال : ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت ، فجاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال جبريل عليه السلام : أخترت الفطرة .

ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل عليه السلام ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل قيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، قال : ففتح لنا ، فإذا بابنى الخالة عيسى ابن مريم ، ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما ، فرحبابى ودعوا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه الصلاة والسلام ، إذا هو قد أعطى شطر الحسن ، قال : فرحب بى ، ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قال : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بإدريس ، فرحب بى ودعا لى بخير ، قال الله عز وجل « ورفعناه مكاناً علياً (٣)» ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل : من هذا ؟ قال

١- المعرفة : بفتح الميم والراء بينهما عين مهملة ساكنة - اللحم الذى ينبت عليه شعر العرف

٢- قر : سكن وانقاد

٣- سورة مريم : الآية ٥٧

جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بهارون صلى الله عليه وسلم ، فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة ، فاستفتح جبريل قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بموسى صلى الله عليه وسلم فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بإبراهيم صلى الله عليه وسلم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ، ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال ، قال : فلما غشيها من أمر الله ما غشى ، تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إلىّ ما أوحى ، ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى فقال : ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة قال : إرجع إلى ربك ، فسله التخفيف ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم قال : فرجعت إلى ربى فقلت : يارب ، خفف عن أمتى ، فحط عنى خمساً ، فرجعت إلى موسى فقلت : حط عنى خمساً ، قال : إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فسله التخفيف ، قال : فلم أزل أرجع بين ربى تبارك وتعالى وموسى حتى قال : يا محمد إنهن خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، لكل صلاة عشر ، فذلك خمسون صلاة ، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشراً ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه شيئاً فإن عملها كتبت سيئة واحدة . قال : فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته ، فقال : ارجع إلى ربك فسله التخفيف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : قد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه .

قال الشيخ أبو أحمد ثنا أبو العباس الماسرجى ثنا شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة بهذا الحديث .

وقد روينا من طريق ابن شهاب ، عن أنس بن مالك قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فرج سقف بيتى «١» وأنا بمكة ، فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدرى ، ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست «٢» من ذهب ، ممتلىء حكمة وإيمانا ، فأفرغها فى صدرى ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدى ، فعرج بى إلى السماء . الحديث .

١- فرج سقف بيتى : المراد بالبيت هنا بيت أم هانىء ، وهو عند شعب أبى طالب ، وإنما أضاف البيت إلى نفسه لأنه كان يسكنه .

٢- الطست : مؤنثة ، وإنما وصفها بوصف المذكر فقال « ممتلىء » لأنه أراد معناها وهو الأناء .

قال ابن شهاب : وأخبرني ابن حزم ، أن ابن عباس وأباحبة الأنصاري يقولان :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت «١» بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام «٢» ، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ «٣» اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك .
وفي حديث مالك بن صعصعة : فلما جاوزته - يعني موسى - بكى فنودي : ما يبكيك ؟ قال : يارب هذا غلام بعثته بعدي ، يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخل من أمتي ، وفيه ثم رجع إلى البيت المعمور ، فقلت : يا جبريل ما هذا ؟ قال : هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه إلى يوم القيامة .
وفي حديث أبي هريرة : وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فحانت الصلاة فأممتهم فقال قائل : يا محمد ، هذا مالك خازن النار فسلم عليه ، والتفت فبدأني بالسلام .
وكلها في الصحيح ، وحديث ثابت ، عن أنس أحسنها مساقاً .
وروينا من طريق الترمذي حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي ثنا أبو غيلة ، عن الزبير ابن جنادة ، عن أبي بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهينا إلى بيت المقدس ، قال جبريل بأصبعه ، فخرق بها الحجر ، وشد به البراق .
وذكر ابن إسحق في حديث أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم رؤيته آدم في سماء الدنيا تعرض عليه أرواح بنيه ، فيسر بمؤمنيها ، ويعبس بوجهه عند رؤية كافريها ، ثم قال : ورأيت رجالاً لهم مشافر «٤» كمشافر الإبل في أيديهم قطع من نار كالأفهار «٥» يقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم ، قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما . قال : ثم رأيت رجالاً لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل آل فرعون يمرون عليهم كالإبل المهيومة «٦» حين يعرضون على النار بطونهم لا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك ، قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا قال : ثم رأيت رجالاً بين أيديهم لحم سمين طيب إلى جنبه لحم غث منتن ، يأكلون من الغث «٧» المنتن ، ويتركون السمين الطيب ، قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ، ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن قال : ثم رأيت نساء معلقات بثديهن ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال: هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال ما ليس من أولادهم .

١- حتى ظهرت : علوت
٢- صريف الأقلام : صوتها حال الكتابة ، والمراد به صوت ما تكتبه الملائكة من أقضية الله عز وجل ووحيه ، وما ينسخونه من اللوح المحفوظ .
٣- جنابذ اللؤلؤ : جنابذ بفتح الجيم والنون القباب واحدتها جنبذة
٤- المشافر : جمع مشفر ، وهو شفة البعير ٥- الأفهار : جمع فهر - بكسر فسكون - وهو الحجر .
٦- الإبل المهيومة : وهي العاطشة ، والهيام داء يصيب الإبل في أجوافها فلا تروى من الماء .
٧- الغث : الضعيف المهزول .

وقد أختلف العلماء فى المعراج والإسراء هل كانا فى ليلة واحدة أم لا ؟ وأيهما كان قبل الأخر ؟ وهل كان ذلك كله فى اليقظة أو فى المنام ؟ أو بعضه فى اليقظة ، وبعضه فى المنام ؟ وهل كان المعراج مرة أو مرات ؟ وأختلفوا فى تاريخ ذلك .
والذى روينا عن ابن سعد فى المعراج ، عن محمد بن عمر ، عن أبى بكر بن عبدالله ابن أبى سبرة وغيره من رجاله ، قالوا :
كان عليه السلام يسأل ربه أن يريه الجنة والنار ، فلما كانت ليلة السبت لسبع عشرة خلت من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته نائم ظهراً ، أتاه جبريل وميكائيل فقالا : انطلق إلى ما سألت الله ، فانطلقا به إلى ما بين المقام وزمزم فأتى بالمعراج ، فإذا هو أحسن شىء منظرا ، فعرجا به إلى السموات ، سماء سماء الحديث .
وذكر السهيلى رحمه الله خلاف السلف فى الإسراء هل كان يقظة أو مناماً ؟ وحكى القولين وما يحتج به لكل قول منهما ، ثم قال : وذهبت طائفة ثالثة منهم شيخنا أبو بكر ابن العربى إلى تصديق المقالتين ، وتصحيح المذهبين وأن الإسراء كان مرتين : إحداهما فى نومه ، توطئة له وتيسيراً عليه كما كان بدء نبوته الرؤيا الصالحة ليسهل عليه أمر النبوة فإنه عظيم تضعف عنه القوى البشرية ، وكذلك الإسراء سهله عليه بالرؤيا لأن هوله عظيم فجاء فى اليقظة على توطئة وتقدمة رفقاً من الله بعبده وتسهيلاً عليه .
ورجح هذا القول أيضاً للجمع بين الأحاديث الواردة فى ذلك ، فإن فى ألفاظها إختلافاً ، وتعدد الواقعة أقرب لوقوع جميعها وحكى قولاً رابعاً قال : كان الإسراء بجسده إلى بيت المقدس فى اليقظة ، ثم أسرى بروحه عليه السلام إلى فوق سبع سموات ، ولذلك شنع الكفار ، قوله : أتيت بيت المقدس فى ليلتى هذه ، ولم يشنعوا قوله فيما سوى ذلك .
قال : وقد تكلم العلماء فى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الإسراء فروى عن مسروق ، عن عائشة أنها أنكرت أن يكون رآه ، قالت : ومن زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله ، واحتجت بقوله سبحانه (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار(١)) .
وروينا من طريق الترمذى حدثنا ابن أبى عمر ثنا سفيان ، عن مجالد ، عن الشعبى قال : لقى ابن عباس كعباً بعرفة فسأله عن شىء فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس : إنا بنو هاشم نقول : إن محمداً رأى ربه ، فقال كعب : إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى ، فكلم موسى مرتين ، ورآه محمد مرتين .

١- سورة الأنعام : الآية ١٠٣

وروينا من طريق مسلم عن أبى ذر قلت : يا رسول الله ، هل رأيت ربك ؟ قال : « رأيت نوراً » وفى حديث آخر عند مسلم : قال : نوراً إنى أراه .
وفى تفسير النقاش عن ابن عباس أنه سئل : هل رأى محمد ربه ؟ فقال : رآه رآه ، حتى انقطع صوته .
وفى تفسير عبد الرازق ، عن معمر ، عن الزهرى ، وذكر إنكار عائشة أنه رآه ، فقال : الزهرى : ليست عائشة أعلم عندنا من ابن عباس .
وفى تفسير ابن إسلام أنه كان إذا ذكر إنكار عائشة يشتد ذلك عليه .
وقول أبى هريرة فى هذه المسألة كقول ابن عباس أنه رآه .
قال أبو القاسم : والمتحصل من هذه الأقوال أنه رآه لاعلى أكمل ما تكون الرؤية على نحو ما يراه فى حظيرة القدس عند الكرامة العظمى ، والنعيم الأكبر ولكن دون ذلك ، وإلى هذا يومىء قوله : « رأيت نوراً » ، قلت : وقوله تعالى : (لا تدركه الأبصار) لا يعارض هذه لأنه لا يلزم من الرؤية الإدراك ، وأما فرض الصلوات الخمس فكان ليلة المعراج ، وقد ذكرنا عن الواقدى من طريق ابن سعد ، أنه كان ليلة السبت لسبع عشرة خلت من رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً من مكة إلى السماء ، ومن يرى أن المعراج من بيت المقدس ، وأنه هو والإسراء فى تاريخ واحد فقد ذكرنا فى الإسراء أنه ليلة سبع عشرة من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة ، وبعد المبعث بتسع أو إثنى عشر شهراً على حسب اختلافهم فى ذلك ، وهذا هو المشهور .
قال أبو عمر : وقدروى الوقاصى ، عن الزهرى أن الإسراء ، وفرض الصلاة ، كان بعد المبعث بخمس سنين ، وأبعد من ذلك ما حكاه أبو عمر أيضاً قال : وقال أبو بكر محمد ابن على بن القاسم ، فى تاريخه : ثم أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس ، وعرج به إلى السماء بعد مبعثه بثمانية عشر شهراً ، قال : ولا أعلم أحداً من أهل السير قال ذلك ، ولا أسند قوله إلى أحد ممن يضاف إليه هذا العلم .

(الصلاة)

وفى صبيحة ليلة المعراج ، كان نزول جبريل ، وإمامته بالنبى صلى الله عليه وسلم ليريه أوقات الصلوات الخمس ، كما هو مروى من حديث ابن عباس وأبى هريرة . وبريدة ، وأبى موسى وأبى مسعود وأبى سعيد وجابر . وعمرو بن حزم . والبراء وغيرهم وكان ذلك عند البيت ، وأمّ به مرتين : مرة أول الوقت ، ومرة آخره ، ليعلمه بذلك كله .
وأما عدد ركعاتها حين فرضت فمن الناس من ذهب إلى أنها فرضت أول ما فرضت ركعتين ، ثم زيد فى صلاة الحضر فأكملت أربعاً ، وأقرت صلاة السفر على ركعتين روى ذلك عن عائشة ، والشعبى ، وميمون بن مهران ، ومحمد بن إسحق ، وغيرهم .
ومنهم من ذهب إلى أنها فرضت أول ما فرضت أربعاً إلا المغرب ففرضت ثلاثاً ، والصبح

ركعتين ، كذلك قال الحسن البصرى ، ونافع بن جبير بن مطعم ، وابن جريج .
ومنهم من ذهب إلى أنها فرضت فى الحضر أربعاً ، وفى السفر ركعتين ، ويروى ذلك عن ابن عباس .

وقال أبو إسحق الحربى : أول ما فرضت الصلاة بمكة فرضت ركعتين أول النهار ، وركعتين آخره ، وذكر فى ذلك حديث عائشة : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة ركعتين ركعتين ، ثم زاد فيها فى الحضر .

هكذا حدث به الحربى ، عن أحمد بن الحجاج ، عن ابن المبارك ، عن ابن عجلان ، عن صالح بن كيسان ، عن عروة ، عن عائشة حكى ذلك أبو عمر ، قال : وليس فى حديث عائشة دليل على صحة ما ذهب إليه الحربى ، ولا يوجد هذا فى أثر صحيح ، بل فيه دليل على أن الصلاة التى فرضت ركعتين ركعتين ، هى الصلوات الخمس ، لأن الإشارة بالألف واللام فى الصلاة إشارة إلى معهود .

روينا عن الطبرانى ثنا الحسن على بن الأشعث المصرى ثنا محمد بن يحيى ابن سلام الأفريقى ، قال : حدثنى أبى قال : حدثنى عثمان بن مقسم عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن سعيد بن يسار ، عن عمر بن عبدالعزيز ، قال : حدثنى عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها قالت : فرضت الصلاة ركعتين ، فزيد فى صلاة المقيم ، وأثبتت صلاة المسافر كما هى .
وقد روينا عن السائب بن يزيد مثل ذلك .

روينا عن أبى العباس بن السراج ثنا قتيبة ثنا عبدالعزيز ، عن سعيد بن سعيد ، عن السائب بن يزيد أنه قال : فرضت الصلاة ركعتين ، ثم زيد فى صلاة المقيم ، وأقرت صلاة المسافر .

قال أبو عمر : قول الشعبى فى هذا أصله من حديث عائشة ، ويمكن أن يكون قد أخذه عن مسروق ، أو الأسود عنها ، فأكثر ما عنده عن عائشة فهو عنهما .
قلت : قد وقع لنا ذلك من حديثه عن مسروق كما ظن أبو عمر .

روينا من طريق السراج ثنا أحمد بن سعيد الرباطى ثنا محبوب بن الحسن ثنا داود عن الشعبى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : فرضت صلاة الحضر والسفر ركعتين ركعتين ، فلما أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، زيد فى صلاة الحضر ركعتان ركعتان ، وتركت صلاة الفجر لطول القراءة ، وصلاة المغرب لأنها وتر النهار .
وأما ابن إسحق فخبر عائشة عنده عن صالح بن كيسان ، عن عروة عنها ، فيمكن أن يكون أخذه من هناك ، وأما ميمون بن مهران فروى ذلك عنه من طريق سالم مولى أبى المهاجر وسالم غير سالم من الجرح .
ومن قال بهذا من أهل السير قال : إن الصلاة أتمت بالمدينة بعد الهجرة بشهر وعشرة

أيام ، وقيل : بشهر .

وأما من قال : فرضت أربعاً ، ثم خفف عن المسافر ، فأخبرنا الإمام الزاهد أبو إسحق إبراهيم بن على بن أحمد الواسطى قراءة عليه ، وأنا أسمع بسفح قاسيون ، أخبركم الشيخان أبو البركات داود بن أحمد بن محمد بن ملاعب قراءة عليه ، وأنت تسمع بدمشق ، وأبو على الحسن بن إسحق بن موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقى سماعاً عليه ببغداد ، قال الاول : أنا أبو عبدالله محمد بن سلامة بن الرطبى قراءة عليه ، وأنا أسمع ، وقال الثانى : أخبرنا أبو بكر محمدبن عبيد الله بن الزاغوتى قالا : أنا أبو القاسم على بن أحمد بن محمد بن البسرى ، قال أنا أبو طاهر محمد ابن عبد الرحمن المخلص ثنا يحيى يعنى بن محمد بن صاعد ثنا لوين بن محمد بن سليمان ثنا حماد بن زيد ، عن أيوب عن أبى قلابة ، عن رجل من بنى عامر قال : والرجل حى ، فاسمعوه منه ، يقال له : آنس بن مالك ، قال بن صاعد هو القشيرى : أن النبى صلى الله عليه وسلم ، بعث خيلاً فغارت على إبل جارلى ، فانطلق فى ذلك أبى وعمى ، أوقرابة لى قريبة ، قال : فقدمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطعم ، فقال : هلم إلى الغداء ، قال : إنى صائم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هلم أحدثك عن ذلك ، إن الله وضع عن المسافر شطر الصلاة والصيام ، وعن الحبلى والمرضع ، الحديث . خالف أيوب يحيى بن أبى كثير فرواه ، عن أبى قلابة ، عن جعفر بن عمرو ابن أمية الضمرى عن أبيه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد رويناه من طريق السراج ثنا داود بن رشيد ثنا الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعى عنه ، ومع صحه الإسنادين فتصويب الأول أولى من جعلهما حديثين عند أبى قلابة لإشتهار هذا الخبر من طريق أنس القشيرى ، وبعد تعدد هذه الواقعة ، والله أعلم ، قالوا ووضع لا يكون إلا من فرض ثابت ، وبما روينا من طريق أبى العباس الثقفى ثنا إسحق بن إبراهيم قال : ثنا عبدالله بن إدريس ثنا ابن جريج ، عن ابن أبى عمار ، عن عبدالله ابن بابيه ، عن يعلى بن أمية قال : قلت لعمر بن الخطاب : ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم فقد أمن الناس ، فقال عمر : عجبت مما عجبت منه ، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال : (صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته) رواه مسلم ، عن إسحق بن إبراهيم ، فوقع لنا موافقة عالية له ، قالوا : ولم يقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنا إلا بعد نزول آية القصر (١) فى صلاة الخوف ، وكان نزولها بالمدينة ، وفرض الصلاة بمكة فظاهر هذا يقتضى أن القصرطارىء على الإتمام ، وأما قول ابن عباس أنها فرضت فى الحضر أربعا وفى

١- الآية ١٠١ من سورة النساء : (وإذا ضربتم فى الأرض ، فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ، إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً)

السفر ركعتين ، وفى الخوف ركعة ، فقرأت على أبى العباس أحمد بن هبة الله ابن عساكر بجامع دمشق أخبرتكم زينب بنت عبدالرحمن الشعرى أجازة قالت : أنا الشيخان أبو محمد إسماعيل بن القاسم بن أبى بكر القارىء سماعاً ، وأبو عبدالله الفراوى إجازة قالا : أنا عبدالغافر الفارسى قال : أنا بشر بن أحمد الإسفرائنى قال : ثنا أبو سليمان داود بن الحسين البيهقى ثنا يحيى بن يحيى ثنا أبو عوانة ، عن بكير ابن الأخنس ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : فرض الله عز وجل الصلاة على لسان نبيكم فى الحضر أربعاً ، وفى السفر ركعتين ، وفى الخوف ركعة ، رواه مسلم عن يحيى ، فوافقناه بعلو .

وقرأت على الشيخة الأصيلة مؤنسة خاتون بنت الملك العادل سيف الدين أبى بكر ابن أيوب أجازة ، أخبرتك أم هانىء عفيفة بنت أحمد بن عبدالله الفارقانية إجازة : أنا أبو طاهر عبد الواحد بن الصباغ قال : أنا أبو نعيم الحافظ قال : أنا ابن الصواف قال : أنا بشر بن موسى ثنا محمد بن سعيد يعنى الأصبهانى ثنا شريك وأبو وكيع ، عن زبيد ، عن عبدالرحمن بن أبى ليلى ، عن عمر ، قال : صلاة السفر ركعتان ، وصلاة الجمعة ركعتان ، وصلاة العيد ركعتان ، تمام غير قصر على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال أبو وكيع : على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم .

وروينا عن الطبرانى ثنا محمد بن سهل الرباطى ثنا سهل بن عثمان ثنا شريك عن قيس ابن وهب ، عن أبى الكنود قال : سألت ابن عمر عن صلاة السفر ، فقال : ركعتان نزلت من السماء فإن شئتم فردوها .

وأما قول الحربى فبعيد ، غير أنه قد قيل : إن الصلاة قبل فرضها كانت كذلك ، وسيأتى .

قال أبو عمر : وقد أجمع المسلمون أن فرض الصلاة فى الحضر أربعاً إلا المغرب والصبح لا يعرفون غير ذلك عملاً ونقلاً مستفيضاً ولا يضرهم الإختلاف فيما كان أصل فرضها إذ لاخلاف بينهم فيما آل إليه أمرها ، واستقر عليه حالها .

أما الصلاة طرفى النهار ، فروينا عن ابن الصواف بالسند المذكور آنفا ثنا إبراهيم ابن إسحق الضبى ثنا محمد بن أبان ، عن أبى إسحق ، عن عمارة بن عمارة بن رويبة الثقفى قال : سمع أذناى ، ووعى قلبى من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، وجبت له الجنة » .

ومن ذلك قوله تعالى (وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار[١])

١- سورة غافر : الآية ٥٥

ذكر عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام على قبائل العرب

أخبرنا محمد بن إبراهيم المقدسى الإمام قراءة عليه ، وأنا حاضر فى الرابعة ، وعبدالرحيم بن يوسف المزى قراءة عليه ، وأنا أسمع بالجامع الأزهر ، قال الأول : أخبرنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكندى بن زيد قراءة عليه وأنا أسمع ، وقال الثانى : أخبرنى أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد سماعاً عليه فى الخامسة قالا : أنا أبو بكر محمد بن عبدالباقى بن محمد الأنصارى قال : أنا أبو الحسن على بن ابراهيم ابن عيسى بن إبراهيم الحاسب ثنا أبو بكر بن أبى شيبة ثنا محمد بن عبدالله الأسدى ثنا اسرائيل يعنى ابن يونس ، عن عثمان بن أبى المغيرة الثقفى ، عن سالم بن أبى الجعد عن جابر بن عبدالله قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس فى الموقف ويقول : « ألارجل يعرض علىّ قومه فإن قريشاً قد منعونى أن أبلغ كلام ربى »
وأخبرنا عبدالرحيم بن يوسف الموصلى بقراءة والدى عليه وغازى بن أبى الفضيل ابن عبدالوهاب الدمشقى بقراءتى عليه قالا أنا ابن طبرزد قال أنا ابن الحصين ، قال أنا ابن غيلان ، قال : أنا محمد بن عبدالله الشافعى ثنا إسحق بن الحسن بن ميمون الحربى ثنا عبدالله بن رجاء ثنا سعيد بن سلمة بن ابنى الحسام ثنا محمد بن المنكدر أنه سمع ربيعة بن عباد أو عباد الدؤلى يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف على الناس فى منازلهم قبل أن يهاجر إلى المدينة يقول : يأيها الناس إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، قال : ووراءه رجل يقول : يأيها الناس إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم ، فسألت : من هذا الرجل ؟ فقيل : أبو لهب .
وذكر ابن إسحق عرضه عليه السلام نفسه على كندة ، وعلى كلب ، وعلى بنى حنيفة ، قال : ولم يك أحد من العرب أقبح رداً عليه منهم وعلى بنى عامر بن صعصعة .
وذكر الواقدى : دعاءه عليه السلام بنى عبس إلى الإسلام ، وأنه أتى غسان فى منازلهم وبنى محارب كذلك . وذكر قاسم بن ثابت فيما رأيته من حديث عبدالله بن عباس ، عن على بن أبى طالب فى خروجهما هو وأبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك قال على : وكان أبو بكر فى كل خير مقدماً فقال : ممن القوم ؟ فقالوا : من شيبان ابن ثعلبة ، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبى أنت وأمى هؤلاء غرر [1] قومهم ، وفيهم مفروق بن عمرو ، وهانىء بن قبيصة ، ومثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك ، وكان مفروق بن عمر قد غلبهم جمالاً ولساناً ، وكانت له

١- فلان غرة قومه أى سيدهم

غديرتان «١» ، وكان أدنى القوم مجلساً من أبى بكر رضى الله عنه ، فقال له أبو بكر رضى الله عنه : كيف العدد فيكم ؟ فقال مفروق : إنا لنزيد على الألف ، ولن تغلب الألف من قلة ، فقال أبو بكر : كيف المنعة فيكم ؟ فقال مفروق : علينا الجهد ، ولكل قوم جد ، فقال أبو بكر : فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟ فقال مفروق : إنا لأشد ما نكون غضباً حين نلقى ، وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عندالله يديلنا مرة ، ويديل علينا أخرى ، لعلك أخو قريش ؟ فقال أبو بكر : أو قد بلغكم أنه رسول الله ، فها هو ذا ، فقال مفروق : قد بلغنا أنه يذكر ذلك ، فإلى ما تدعو يا أخا قريش ؟ فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنى رسول الله ، وأن تؤونى وتنصرونى ، فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسله ، واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغنى الحميد . فقال مفروق : وإلى ما تدعو أيضاً ، يا أخا قريش ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون «٢») فقال مفروق : وإلى ما تدعو أيضاً ، يا أخا العرب ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون «٣») فقال مفروق : دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ولقد أفك «٤» قوم كذبوك ، وظاهروا عليك ، وكأنه أراد أن يشركه فى الكلام هانىء بن قبيصة فقال : هذا هانىء ابن قبيصة شيخنا ، وصاحب ديننا ، فقال هانىء : قد سمعنا مقالتك ، يا أخا قريش ، وإنى أرى أن تركنا ديننا وإتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ، ليس له أول ولا آخر ، زلة فى الرأى ، وقلة نظر فى العاقبة ، وإنما تكون الزلة مع العجلة ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقداً ، ولكن نرجع وترجع ، وننظر وتنظر ، وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام المثنى بن حارثة فقال : وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى : قد سمعت مقالتك والجواب هو جواب هانىء بن قبيصة فى تركنا ديننا ، واتباعنا دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر ، وإنما نزلنا بين صريين «٥» اليمامة والسماوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذان

١- الغديرة : واحدة الغدائر وهى الذوائب من الشعر

٢- سورة الأنعام : الآية ١٥١

٣- سورة النحل : الآية ٩٠

٤- الإفك : الكذب

٥- بفتح الصاد ، تثنية صرى وهو الماء الذى يطول استنقاعه

الصريان ؟ فقال : أنهار كسرى ومياه العرب ، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور ، وعذره غير مقبول ، وأما ما كان من مياه العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول ، وإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثاً ولا نؤوى محدثاً ، وإنى أرى أن هذا الأمر الذى تدعونا إليه أنت هو مما يكرهه الملوك ، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك فيما يلى مياه العرب فعلنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أسأتم فى الرد ، إذ أفصحتم في الصدق ، وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم أتسبحون الله وتقدسونه ؟ فقال النعمان بن شريك : اللهم لك ذا ، فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يأيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً «١») .

ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بيدى فقال : « يا أبا بكر ، يا أبا حسن ، أية أخلاق فى الجاهلية ما أشرفها بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض وبها يتجازون فيما بينهم » .

قال : ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج ، فما نهضنا حتى بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانوا صدقاً صبراً ، ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك كله يدعو إلى دين الله ويأمر به كل من لقيه ورآه من العرب إلى أن قدم سويد بن الصامت أخو بنى عمرو بن عوف من الأوس فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فلم يبعد ولم يجب ، ثم انصرف إلى يثرب فقتل فى بعض حروبهم «٢» قال ابن إسحق : فإن كان رجال من قومه ليقولون : إنا نراه قد قتل وهو مسلم .

وقدم مكة أبو الحيسر أنس بن رافع فى فتية من قومه بنى عبدالأشهل يطلبون الحلف «٣» فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فقال رجل منهم اسمه إياس بن معاذ ، وكان شاباً : يا قوم هذا والله خير مما قدمنا له ، فضربه أبو الحيسر ونهره ، فسكت ، ولم يتم الحلف ، فإنصرفوا إلى بلادهم ، ومات إياس بن معد فقيل : إنه مات مسلماً .

١- سورة الأحزاب : الآيتان ٤٥ - ٤٦

٢- فى ابن هشام نقلاً عن ابن إسحق ٢/٣٦ أن رجالاً من قومه كانوا يقولون : إنا لنراه قد قتل وهو مسلم ، وكان قتله قبل يوم بعاث ، وبعاث موضع كانت فيه حرب بين الأوس والخزرج .

٣- يطلبون الحلف : أى حلف قريش على بنى الخزرج خصوم الأوس قبيلتهم ، وكانت الحرب قد اضطرمت بين القبيلتين

بدء إسلام الأنصار ، وذكر العقبة الأولى

والأنصار بنو الأوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن ابن الأزدراء «١» بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ عامر بن يشجب ابن يعرب بن يقطن قحطان ، قال ابن إسحق : فلما أراد الله إظهار دينه ، وإعزاز نبيه ، وإنجاز موعده له ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم «٢» الذي لقي فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة «٣» لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً فقال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج ، قال : أمن موالي يهود ؟ قالوا : نعم ، قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى ، فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام ، وكان مما صنع الله بهم في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهل علم وكتاب ، وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم إن نبياً مبعوثاً الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض : تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه ، فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا له : إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ، ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا .

وهم فيما ذكر لي ستة نفر من الخزرج ثم من بني النجار وهم : تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر أسعد بن زرارة «٤» بن عدس بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، وعوف «٥» بن الحرث بن سواد بن غنم بن مالك بن النجار ، وابن سعد يقول : سواد بن مالك بن غنم بن مالك وهو ابن عفراء «٦» .

ومن بني زريق رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق «٧» .

١- بكسر الدال المهملة وفتح الراء مهموز ممدود

٢- في الموسم : أي موسم الحج ، وفيه كانت تقام الأسواق المشهورة مثل سوق عكاظ ، وكان العرب يفدون على مكة من جميع أنحاء الجزيرة وتنزل كل قبيلة في منزل خاص بها .

٣- العقبة : موضع على يسار الطريق القاصد منى من مكة .

٤- في بعض الروايات أنه أول الأنصار إسلاماً ، وأنه أول من صلى بالناس الجمعة في المدينة ، توفي في السنة الأولى من الهجرة « أنظر : أسد الغابة ١/٨٦ »

٥- في الاستيعاب ص ٥١٢ أنه استشهد في غزوة بدر

٦- عفراء : هي بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن مالك بن النجار

٧- شهد العقبتين الأولى والثانية ، واستشهد في غزوة أحد ولم يذكره ابن إسحق في البدريين وذكره فيهم موسى بن عقبة « أسد الغابة ٢/ ١٩٧ »

ومن بنى سواد بن غنم بن كعب بن سلمة : قطبة «١» بن عامر بن حديدة بن عمرو بن سواد .

ومن بنى سلمة بن سعد : على بن أسد بن شاردة بن تزيد بن جشم

ومن بنى حرام كعب بن غنم بن كعب بن سلمة : عقبة «٢» بن عامر بن نابى بن زيد بن حرام .

ومن بنى عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة : جابر «٣» بن عبدالله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد .

قال أبو عمر : ومن أهل العلم بالسير من يجعل فيهم عبادة بن الصامت «٤» ويسقط جابر ابن رئاب والله أعلم .

***

١- شهد المشاهد كلها مع الرسول الكريم ، قيل : توفى فى خلافة عثمان بن عفان وقيل : قتل فى معركة صفين . « أسد الغابة ٤٠٦/٤ »

٢- شهد بدراً وأحداً والخندق ، واستشهد فى حروب الردة لعهد الصديق رضى الله عنه « أسد الغابة ٥٤/٤ »

٣- شهد مع الرسول جميع المشاهد وقد روى عنه المحدثون أحاديث كثيرة توفى سنة أربع وسبعين وقيل : سنة سبع وسبعين و صلى عليه أبان بن عثمان وكان أمير المدينة « أسد الغابة ٣٠٧/١ »

٤- شهد مع الرسول جميع المشاهد ، ووجهه عمر بن الخطاب إلى الشام قاضياً ومعلماً فأقام بحمص ثم انتقل إلى فلسطين ومات بها سنة أربع وثلاثين « أسد الغابة ١٦٠/٣ » .

ذكر العقبة الثانية

حتى إذا كان العام المقبل قدم مكة من الأنصار إثنا عشر رجلاً منهم خمسة من الستة الذين ذكرناهم : أبو أمامة، وعوف بن عفراء ، ورافع بن مالك ، وقطبة ، وعقبة ، وبقيتهم معاذ بن الحرث بن رفاعة وهو ابن عفراء أخو عوف المذكور ، وزكوان بن عبد قيس بن خلدة «١» بن مخلد بن عامر بن زريق الزرقي ، وقد ذكروا أنه رحل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة فسكنها فهو مهاجرى أنصارى قتل يوم أحد ، وعبادة ابن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف ابن الخزرج .

ومن بني سالم بن عوف بن عمر بن عوف بن الخزرج : العباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم ، ومن حلفائهم يزيد بن ثعلبة بن خزمة – بسكون الزاى والطبرى بفتحها – بن أصرم بن عمرو بن عمارة بفتح العين وتشديد الميم– ابن مالك من بني فزارة من بلى .

ومن الأوس بن حارثة أخى الخزرج ، ثم من بنى جشم ، أخى عبدالأشهل بن جشم بن الحرث بن الخزرج من يعده مولى لهم ابن عمرو بن مالك بن الأوس : أبو الهيثم مالك بن الثيهان – أهل الحجاز يخففون الياء وغيرهم يشددها – ابن مالك بن عمرو بن زيد بن جشم بن عمرو بن جشم ، ومن الناس من يعده مولى لهم من بلى .

ومن بنى أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الأوس : عويم بن ساعدة ابن عايش بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن زيد .

فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء عند العقبة على بيعة النساء ، ولم يكن أمر بالقتال بعد .

أخبرنا أحمد بن يوسف السماوى ، بقراءة والدى عليه سنة ست وسبعين قال : أنا أبو روح المطهر بن أبى بكر البيهقى سماعاً عليه قال : أنا أبو بكر الطوسى قال · أنا نصر الله بن أحمد الخشنامى قال : أنا أحمد بن الحسن النيسابورى قال : أنا محمد بن أحمد ثنا محمد بن يحيى الذهلى ثنا عبد الرازق قال : أنا معمر ، عن الزهرى ، عن أبى إدريس الخولانى ، عن عبادة بن الصامت قال : بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرا أنا منهم فتلا عليهم آية النساء : لا تشركوا بالله شيئا ، ثم قال : ومن وفى فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فى الدنيا فهو طهر له أو قال كفارة ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه ، فأمره إن شاء الله غفر له ، وإن شاء عذبه رواه البخارى .

١– خلدة : بفتح الخاء وسكون اللام وفتح الدال ، مخلد : بضم الميم وفتح الخاء وفتح اللام المشددة

حدثنى إسحق بن منصور قال : أنا يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن أخى ابن شهاب عن عمه فذكره بمعناه . فلما انصرفوا [1] بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ابن أم مكتوم ، ومصعب بن عمير يعلم من أسلم منهم القرآن ، ويدعو من لم يسلم إلى الإسلام ، فنزل مصعب بن عمير على أسعد بن زرارة ، وكان مصعب بن عمير يدعى المقرىء والقارىء وكان يؤمهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض فجمع بهم أول جمعة جمعت فى الإسلام ، وعند ابن إسحق ، أول من جمع بهم أبو أمامةأسعد ابن زرارة .

روينا عن أبى عروبة ثنا هاشم بن القاسم ثنا ابن وهب عن يونس ، عن ابن شهاب قال : بلغنا أن أول ما جمعت الجمعة بالمدينة ، قبل أن يقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمع بالمسلمين مصعب بن عمير بن عبد مناف ، وبه قال ثنا هاشم ثنا ابن وهب قال : أخبرنى ابن جريج ، عن سليمان بن موسى أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب إليه يأمره بذلك .

وروينا من طريق أبى داود ثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن إدريس ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبى أمامة بن سهل ، عن أبيه ، عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك - وكان قائد أبيه بعد ما ذهب بصره - عن أبيه كعب بن مالك أنه كان إذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لأسعد بن زرارة فقلت له : إذا سمعت النداء ترحمت لأسعد بن زرارة ، فقال : لأنه أول من جمع بنا فى هزم النبيت من حرة بنى بياضة فى بقيع يقال له : بقيع الخضمات ، قلت : كم أنتم يومئذ ؟ قال : أربعون .

بقيع الخضمات : بالباء وقع فى هذه الرواية وقيده البكرى بالنون [2] وقال : هزم [3] النبيت ، جبل على بريد من المدينة .

قال السهيلى : تجميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة ، وتسميتهم إياها بهذا الإسم هداية من الله لهم قبل أن يؤمروا بها ، ثم نزلت سورة الجمعة بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فاستقر فرضها ، واستمر حكمها ولذلك قال عليه السلام : أضلته اليهود والنصارى ، وهداكم الله له .

وذكر عبد بن حميد ثنا عبدالرازق ، عن معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين قال : جمع أهل المدينة قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقبل أن تنزل الجمعة الحديث .

وروى الدار قطنى عن ابن عباس أذن النبى صلى الله عليه وسلم بها لهم قبل الهجرة ، وقد روينا من طريق أبى عروبة الأثر ، عن سليمان بن موسى بذلك .

١- انصرفوا هنا : أى حان انصرافهم

٢- قال فى النهاية : نقيع الخضمات هو موضع بنواحى المدينة . ٣- الهزم : المنخفض من الأرض .

ذكر إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير

قال ابن إسحق : وحدثنى عبيدالله بن المغيرة بن معيقيب ، وعبدالله بن أبى بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد دار بنى عبد الأشهل ودار بنى ظفر فدخل حائطاً من حوائط بنى ظفر فجلسا فيه واجتمع إليهما رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما وكلاهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير : لا أبا لك أنطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وأنههما عن أن يأتيا دارينا ، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة منى حيث قد علمت كفيتك ذلك ، هو ابن خالتى ولا أجد عليه مقدماً . فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما ، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب : هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه ، قال مصعب : إن يجلس هذا أكلمه قال : فوقف عليهما متشتماً ، فقال : ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ، فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكره ، قال : أنصفت ، ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يذكر عنهما – والله لعرفنا فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، ثم قال : ما أحسن هذا وأجمله ، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين : قالا له : تغتسل فتطهر ، وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائى رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه ناديهم ، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ، فلما وقف على النادى قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حدثت أن بنى حارثة خرجوا إلى أسعد ابن زرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك «١» ، فقام سعد مغضباً مبادراً تخوفاً للذى ذكر له من بنى حارثة ، فأخذ الحربة من يده ، وقال : والله ما أراك أغنيت عنا شيئاً ، ثم خرج إليهما فلما رآهما سعد مطمئنين عرف أن أسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتماً ثم قال لأسعد بن زرارة : يا أبا أمامة أما والله لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رمت هذا منى ، أتغشانا فى دارينا بما نكره ؟ وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير : أى مصعب جاءك والله سيد من وراءه من قومه إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان ، قال : فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد : أنصفت ، ثم ركز الحربة ،

١– فى ابن إسحق ٢/٤٥ « ليحقروك » وكذلك هو فى الطبرى . والإخفار : نقض العهد .

وجلس فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن قالا : فعرفنا والله فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين ؟ قالا : تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين ، قال : فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، ثم شهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادى قومه ومعهم أسيد بن حضير فلما رآه مقبلاً قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم ، قال يا بنى عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبة (١) ، قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم علىّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قال : فوالله ما أمسى فى دار بنى عبدالأشهل رجل ولا إمرأة إلا مسلماً أو مسلمة ، حاشا الأصيرم ، وهو عمرو بن ثابت بن وقش ، فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد ، فأسلم واستشهد ولم يسجد لله سجدة وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة .

رجع إلى ابن إسحق قال : ورجع مصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد ، وخطمة ، ووائل ، وواقف ، وتلك أوس الله ، وهم من الأوس بن حارثة وقال أبو عمر : وكانوا سكاناً فى عوالى المدينة ، فأسلم منهم قوم ، وكان سيدهم أبو قيس صيفى بن الأسلب فتأخر إسلامه وإسلام سائر قومه إلى أن مضت بدر وأحد والخندق ، ثم أسلموا كلهم .

ورأيت فى التاريخ الأوسط للبخارى ، إن أهل مكة سمعوا هاتفاً يهتف قبل إسلام سعد ابن معاذ :

فإن يسلم السعدان يصبح محمد — بمكة لا يخشى خلاف المخالف

فحسبوا أنه يريد القبيلتين : سعد هزيم من قضاعة ، وسعد بن زيد مناة بن تميم ، حتى سمعوه يقول :

فياسعد الأوس كنت أنت ناصراً — ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

أجيبا إلى داعى الهدى وتمنيا — على الله فى الفردوس منية عارف

فى أبيات ، وقد روينا ذلك أطول من هذا .

١- النقيبة : النفس يقال : هو ميمون النقيبة أى مبارك النفس ، وقيل : ميمون الأمر ينجح فيما يحاول ويظفر ، وقيل : ميمون المشورة .

ذكر البراء بن معرور وصلاته إلى القبلة وذكر العقبة الثالثة

قال ابن إسحق : ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة ، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة ، فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق .

فحدثني معبد بن كعب بن مالك أن أخاه عبدالله ، وكان من أعلم الأنصار ، حدثه أن أباه كعباً حدثه ، وكان ممن شهد العقبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها قال : خرجنا من حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا ، ومعنا البراء [1] بن معرور سيدنا وكبيرنا ، فلما وجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة ، قال البراء لنا : يا هؤلاء إني قد رأيت رأياً والله ما أدرى أتوافقوني عليه أم لا ؟ قال : قلنا : وما ذاك ؟ قال : رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر – يعني الكعبة – وأن أصلي إليها ، قال : قلنا : والله ما بلغنا أن نبينا يصلي إلا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه ، قال : فقال : إني لمصلي إليها . قال : قلنا : لكنا [2] لا نفعل ، قال : فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى إلى الكعبة حتى قدمنا مكة ، قال : وقد كنا عبنا عليه ما صنع ، وأبى إلا الإقامة على ذلك ، قال : فلما قدمنا مكة ، قال لي : يا ابن أخي أنطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسأله عما صنعت في سفري هذا ، فإنه والله لقد وقع في نفسي منه شيء لما رأيت من خلافكم إياي فيه ، قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك ، فلقينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هل تعرفانه ؟ قلنا : لا ، قال : فهل تعرفان العباس ابن عبدالمطلب عمه ؟ قلنا : نعم ، قال : وكنا نعرف العباس كان لايزال يقدم علينا تاجراً ، قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس ، قال : فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم معه ، فسلمنا ، ثم جلسنا إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ قال : نعم ، هذا البراء بن معرور سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك ، قال : فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشاعر » ؟ قال : نعم ، قال : فقال له البراء بن معرور : يا نبي الله ، إني خرجت في سفري هذا وقد هداني الله للإسلام ، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر فصليت إليها ، وخالفني أصحابي في ذلك ، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء فماذا ترى يا رسول الله ؟ قال : لقد كنت على قبلة لوصبرت عليها .

فرجع البراء إلى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى إلى الشام ، وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ، وليس كما قالوا ، نحن أعلم به منهم .

١– البراء : آخر ليلة في الشهر ، وبها سمي البراء بن معرور ، والمعرور : المقصود . ٢– في نسخة « والله » مكان « لكنا »

ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من واسط أيام التشريق ، فلما فرغنا من الحج ، وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من ساداتنا أخذناه وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه ، وقلنا له : يا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا ، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً ، ثم دعوناه إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا العقبة ، قال : فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيباً ، فنمنا «١» تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تسلل القطا مستخفين حتى إجتمعنا فى الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا إمرأتان من نسائنا : نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بنى مازن بن النجار ، وأسماء بنت عمرو بن عدى بن نابى إحدى نساء بنى سلمة وهى أم منيع .

قال : فاجتمعنا فى الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه العباس بن عبدالمطلب ، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ، ويتوثق له ، فلما جلس كان أول من تكلم فقال : يا معشر الخزرج - وكانت العرب إنما يسمون هذا الحى من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها - إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده ، وأنه قد أبى إلا الإنحياز إليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه فإنه فى عز ومنعة من قومه وبلده .قال : فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

قال : فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم : فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغب فى الإسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم .

قال : فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال : نعم والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا - أى نساءنا - فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن والله أهل الحروب وأهل الحلقة «٢» ورثناها كابراً عن كابر . قال : فاعترض القول - والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم - أبو الهيثم بن التيهان فقال : يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرجال حبالاً وإنا قاطعوها « يعنى اليهود » فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال :

١- فى نسخة « فمكثنا » مكان « فنمنا »

٢- الحلقة : السلاح عاما ، وقوم من أهل اللغة يخصونه بالدروع

« بل الدم الدم ، والهدم الهدم «١» ، أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجوا إلى منكم إثنى عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم ، فأخرجوا تسعاً من الخزرج ، وثلاثة من الأوس .

فمن الخزرج ثم من بنى النجار: أسعد بن زرارة بن عدس ، ومن بنى مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج ، عبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس الأكبر بن مالك الأكبر ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك الأغر .

ومن بنى زريق : رافع بن مالك بن العجلان

ومن بنى سلمة ثم بنى حرام : عبدالله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام .

ومن بنى عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة : البراء بن معرور بن صخر بن خنساء ابن سنان بن عبيد . ومن بنى طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج : سعد ابن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبى خزيمة بن ثعلبة بن طريف .

ومن بنى ثعلبة بن الخزرج أخى طريف : المنذر بن عمرو بن خنيس بن لوزان بن عبد ود ابن زيد بن ثعلبة . ومن بنى غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج : عبادة بن الصامت . ومن الأوس ثم من بنى عبد الأشهل بن جشم بن الحرث بن الخزرج بن عمرو ابن مالك بن الأوس : أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل .

ومن بنى السلم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس : سعد بن خيثمة بن الحرث بن مالك ابن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم .

ومن بنى أمية بن زيد : رفاعة بن عبدالمنذر بن زنبر «٢» بن زيد بن أمية .

قال ابن هشام : وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان بدل رفاعة .

وروينا عن أبى بكرالبيهقى بسنده إلى مالك قال : فحدثنى شيخ من الأنصار أن جبريل عليه السلام كان يشير له إلى من يجعله نقيباً وقد قيل : إن الذى تولى الكلام مع الأنصار وشد العقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسعد بن زرارة .

وروينا من طريق العدنى ثنا يحيى بن سليم عن ابن خيثم عن أبى الزبير ، عن جابر ، فذكر حديث العقبة وفيه : فأخذ بيده – يعنى النبى صلى الله عليه وسلم – أسعد بن زرارة ، وهو أصغر السبعين إلا أنا فقال : رويداً يا أهل يثرب ، إنا لم نضرب إليه أكباد المطى إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وأن إخراجه اليوم ، مفارقة العرب كافة وقتل

١– قال ابن قتيبة : كانت العرب تقول عند الحلف والجوار : دمى دمك ، وهدمى هدمك ، أى ما هدمت من الدماء هدمته أنا .

٢– بفتح الزاى وسكون النون وفتح الباء وآخره راء .

خياركم ، وأن تعضكم السيوف ، فإما أنتم قوم تصبرون عليها إذا مستكم بقتل خياركم ومفارقة العرب كافة ، فخذوه وأجركم على الله ، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه ، فهو أعذر لكم عند الله ، فقالوا : يا أسعد ، أمط عنا يدك ، فوالله لانذر هذه البيعة ، ولا تستقيلها الحديث ، وقيل : بل العباس بن عبادة بن نضلة .

روينا عن ابن إسحق قال : حدثنى عاصم بن عمرو بن قتادة : أن القوم لما إجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة : يا معشر الخزرج إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس فذكر نحو ما تقدم قال : فأما عاصم فقال : والله ما قال ذلك العباس إلا ليشد العقد «١» لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما عبدالله بن أبى بكر فقال : ما قال ذلك العباس إلا ليؤخرالقوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبدالله بن أبى سلول «٢» فيكون أقوى لأمرالقوم ، فالله أعلم أى ذلك كان . وكانت هذه البيعة على حرب الأسود والأحمر ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه واشترط عليهم لربه ، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة ، وأول المبايعين فيها مختلف فيه :فروينا عن ابن إسحق من طريق البكائى ، ومن طريق أبى عروبة ، عن سليمان بن سيف ، عن سعيد بن يزيع عنه قال : بنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم بن التيهان .

تسمية من شهد العقبة

وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وأمرأتين هذا هو العدد المعروف وإن زاد فى التفصيل على ذلك ، فليس ذلك بزيادة فى الجملة ، وإنما هو لمحل الخلاف فيمن شهد ، فبعض الرواة يثبته ، وبعضهم يثبت غيره بدله ، وقد وقع ذلك فى غير موضع فى أهل بدر ، وشهداء أحد وغير ذلك .

وهم من الأوس ثم من بنى عبد الأشهل : أسيد بن حضير ، وأبو الهيثم مالك ابن التيهان ، وسلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء «٣» بن عبد الأشهل ، وسعد ابن زيد بن عامر بن عمرو بن جشم بن الحارث بن الخزرج ، وبنو جشم عدادهم فى بنى عبد الأشهل شهداء العقبة فى قول الواقدى وحده ، وهو معدود فى البدريين عند غيره . وقد اختلف فى نسبه وهو عند ابن إسحق : سعد بن زيد بن مالك بن عبيد بن كعب ابن عبد الأشهل .

ومن بنى حارثة بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : ظهير بن رافع ابن

١- العقد : العهد . ٢- قال ابن هشام : سلول : امرأة من خزاعة .
٣- قال ابن هشام : ويقال ابن زعوراء بفتح العين .

عدى بن زيد بن جشم بن حارثة ، وأبو بردة بن نيار بن عمرو بن عبيد بن كلاب ابن دهمان بن غنم بن ذبيان بن هميم بن كاهل بن ذهل بن بلى بن عمرو بن الحاف ابن قضاعة ، حليف لهم ، وبهيز بن الهيثم ، من بنى نابى بن مجدعة بن حارثة بن الحرث ابن الخزرج ، وبهيز بالباء الموحدة عند بعضهم وبالنون عند آخرين .

ومن بنى عمرو بن عوف : سعد بن خثيمة ، ورفاعة بن عبدالمنذر ، وعبدالله بن جبير ابن النعمان بن أمية بن البرك بن امرىء القيس بن ثعلبة بن عمرو ، ومعن بن عدى بن الجد ابن العجلان بن ضبيعة عويم بن ساعدة .

ومن الخزرج ثم من بنى النجار : أبو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد بن عوف ابن غنم بن مالك بن النجار ، ومعاذ بن عفراء ، وأخواه : معوذ وعوف ، وعمارة بن حزم ابن زيد بن لوزان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار ، وأسعد بن زرارة النعيمان بن عمرو بن رفاعة بن الحرث بن سواد بن غنم عند الواقدى وحده .

ومن بنى مبذول بن مالك بن النجار : عامر بن مالك بن النجار : سهل بن عتيك بن نعمان بن عمرو بن عتيك ابن عمرو .

ومن بنى حديلة [1] أبى بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك ابن النجار – وحديلة أم معاوية بن عمرو وهى ابنة مالك بن زيد مناة بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج – ولم يذكره ابن إسحق .

ومن بنى مغالة وهم بنو عدى بن عمرو بن مالك بن النجار : أوس بن ثابت بن المنذر ابن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى ، وأبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حرام .

ومن بنى مازن بن النجار : قيس بن أبى صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول ابن عمرو بن غنم بن مازن ، وعمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء بن سبذول .

وابن هشام يقول : هو غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء ، وغيرهما يثبتهما معاً .

ومن بنى الحرث بن الخزرج : عبدالله بن رواحة ، وسعد بن الربيع ، وخارجة بن يزيد ابن أبى زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ، وبشير ابن سعد بن ثعلبة بن خلاس – بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام للدار قطنى ، وبكسرها وتخفيف اللام عند غيره – وابن زيد بن مناة بن مالك الأعز ، وخلاد بن سويد بن ثعلبة ابن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس بن مالك الأغر ، وعبدالله بن زيد [2] بن ثعلبة ابن عبد ربه بن زيد الحرث بن الخزرج .

وبعضهم يقول فى زيد مناة ، وابن عمارة يسقط ثعلبة صاحب الأذان .

١– بضم الحاء المهملة وفتح الدال المهملة .

٢– فى ابن إسحق : ٦٨/٢ أن عبدالله بن زيد شهد بدراً ، وهو الذى أرى النداء للصلاة فجاء به إلى الرسول فأمره به .

ومن بنى الأبجر : خدرة بن عوف بن الحرث بن الخزرج ، وعبدالله بن ربيع بن قيس ابن عامر بن عباس الأبجر .

ومن بنى أخيه : خدارة بن عوف عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عسيرة بن عطية ابن خدارة بن عوف بن الحرث أبو مسعود ، وكان أحدثهم سناً ، وابن إسحق يسقط منه عطية .

وأسيرة عنده بالياء يسيرة - وذكرها الدار قطنى ، وأبو بكر الخطيب عن ابن إسحق - نسيرة - بالنون المضمومة ، ووهم الأمير وابن عبد البر من قال ذلك ، وأما ابن عقبة فقال : أسيرة بفتح الهمزة .

وكذلك اختلفوا فى تقييد - عسيرة - فمنهم من يفتح العين ويكسر السين ، ومنهم من يفتح السين ويضم العين .

وخدارة منهم من يقولها بالجيم ومنهم من يقولها بالخاء المعجمة ، والذين يقولونها بالجيم منهم من يضمها ومنهم من يكسرها .

ومن بنى زريق : ابن عبد حارثة رافع بن مالك بن العجلان وذكوان بن عبد قيس ، وعباد «١» بن قيس بن عامر بن خالد بن عامر بن زريق بدل الحرث بن قيس ، وخالد ابن مخلد بن عامر بن زريق ، وعند ابن الكلبى خلدة بدل خالد .

ومن بنى بياضة بن عامر بن زريق : زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدى ابن أمية بن بياضة ، وفروة بن عمرو بن ودفة «٢» بن عبيد بن عامر بن بياضة ، وخالد ابن قيس بن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة .

ومن بنى سلمة ثم من بنى عبيد : البراء بن معرور وابنه بشر ، وسنان بن صيفى ابن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد ، والطفيل بن النعمان بن خنساء بن سنان ابن عبيد ، قال ابن سعد : لا أحسبه إلا وهماً . ومعقل ويزيد ابنا المنذر بن سرح بن خناس ابن سنان بن عبيد ، ومسعود بن يزيد بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عبيد ، والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد ، ويزيد بن خدام - وبعضهم يقول حرام ابن سبيع بن خنساء بن سنان بن عبيد ، وجبار «٣» بن صخر بن أمية بن خنساء ابن سنان بن عبيد ويقال خناس ، والطفيل بن مالك بن خنساء بن سنان بن عبيد ومن بنى سلمة أيضاً ثم من بنى سواد ، ثم من بنى كعب بن سواد : كعب بن مالك بن أبى كعب ابن القين وعند غيره بن أبى كعب بن عمرو بن القين بن كعب بن سواد ، رجل .

ومن بنى غنم بن سواد : قطبة بن عامر بن حديدة ، وأخوه يزيد بن عمرو بن حديدة ، وأبو اليسر كعب بن

١- فى ابن إسحق : عبادة

٢- ذكره ابن إسحق بذال معجمة قال أبو ذر : من رواه بالذال المعجمة فهو من توذف فى مشيته إذا تبختر ويقال إذا أسرع ومن رواه بالدال المهملة فهو من ودفت الشحمة إذا قطرت

٣- بفتح الجيم وتشديد الباء الموحدة

عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم صيفي بن سواد بن عباد المذكور خمسة .

ومن بني نابي بن عمرو بن سواد : ثعلبة بن غنمة بن عدي بن نابي «١» وأخوه عمر ، وعبس ابن عامر بن نابي ، وخالد بن عمرو بن عدي بن نابي ، وعبدالله بن أنيس بن أسعد ابن حرام بن حبيب بن مالك بن غنم بن كعب بن تيم بن بهنة بن ناشزة بن يربوع بن البرك وبرة والبرك دخل في جهينة حليف لهم . وعند أبي عمر : تيم بن نفاثة «٢» بن إياس ابن يربوع . خمسة .

وعامر بن نابي ، المذكور في العقبة الأولى ذكره ابن الكلبي ، وعمير بن عامر بن نابي شهد المشاهد كلها قاله ابن الكلبي ، قال الدمياطي : ولم أر من تابعه على ذكر عمير في الصحابة .

ومن بني سلمة ثم من بني حرام : عبدالله بن عمرو بن حرام «٣» ، وابنه جابر ، وثابت ابن الجذع «٤» ثعلبة بن زيد بن الحرث بن حرام ، وعمير وقيل عمرو بن الحرث بن ثعلبة ابن الحرث بن حرام .

وابن هشام يقول : لبدة بدل ثعلبة ، وعمرو بن الجموح بن زيد بن حرام وابنه معاذ .

ولم يذكر ابن إسحق : عمر لخديج بن سلامة بن أوس بن عمرو بن كعب بن القراقر ابن الضحيان أبو شبات «٥» حليف لهم من قضاعة . سبعة .

ومن بني أدي بن سعد أخي سلمة بن سعد : معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ ابن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي عداده في بني سلمة ، لأنه كان أخا سهل بن محمد ابن الجند بن قيس بن صخر بن سنان بن عبيد لأمه .

ومن بني غنم بن عوف أخي سالم الحبلي : عبادة بن الصامت ، والعباس بن عبادة ابن نضلة «٦» ، ويزيد بن ثعلبة البلوي ، حليفهم عمرو بن الحرث بن لبدة بن عمرو بن ثعلبة ، ومالك بن الدخشم بن مالك بن الدخشم بن مرضخة بن غنم ، وأبو معشر ينكر شهوده العقبة - خمسة وهم من القواقل .

ومن بني الحبلي سالم «٧» : رفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم ، وابنه مالك بن رفاعة ، ذكره الأموي ، وعقبة بن وهب بن كلدة بن الجعد بن هلال ابن الحرث بن عمرو بن عدي بن جشم بن عوف بن بهنة بن عبدالله بن غطفان بن سعد ابن قيس - عيلان حليف لهم ثلاثة .

١- شهد بدراً وقتل بالخندق شهيداً

٢- بضم النون وثاء مثلثة

٣- شهد بدراً وقتل يوم أحد شهيداً

٤- بكسر الجيم وسكون الذال

٥- الضحيان بفتح الضاد وسكون الحاء ، أبو شبات : بضم الشين وفتح الباء

٦ - كان ممن خرج إلى الرسول وهو بمكة فأقام معه بها ، فكان يقال له : مهاجري أنصاري ، وقتل يوم أحد شهيداً

٧- قال ابن هشام : وإنما سمي الحبلي لعظم بطنه

ومن بنى ساعدة : سعد بن عبادة ، والمنذر بن عمرو «١» .
والمرأتان من بنى مازن بن النجار : نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول ابن عمرو بن غنم بن مازن أم عمارة .
ومن بنى سلمة : أم منيع أسماء بنت عمرو بن عدى بن نابى .
قال أبو عمر : وقد ذكر أهل السير فيهم : أوس بن عباد بن عدى فى بنى سلمة .

ذكر فوائد تتعلق بخبر هذه العقبة

قول البراء : نمنعك مما نمنع منه أزرنا : العرب تكنى عن المرأة بالإزار وتكنى به أيضاً عن النفس ، وتجعل الثوب عبارة عن لابسه ويحتمل هنا الوجهين . قاله السهيلى . قال : ومعرور : مقصود . ورأيت بخط جدى أبى بكر محمد بن أحمد رحمه الله : البراء فى اللغة ممدود : آخر ليلة من الشهر وبها سمى البراء بن معرور ، وكانت العرب تسمى بما تسمعه حال ولادة المولود قلت : وابنه بشر بن البراء الذى سوده رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى سلمة ، كما ذكر ابن إسحق ، وكما أنبأنا محمد بن أبى الفتح الصورى بقراءة الحافظ أبى الحجاج المزى عليه ، وأنا أسمع ، أخبركم أبو القاسم ابن الحرستانى قراءة عليه وأنتم تسمعون فأقربه ، قال : أنا أبو الحسن بن قبيس ، قال : أنا أبو الحسن بن أبى الحديد ، قال : أنا جدى أبو بكر ، قال : أنا أبو بكر محمد ابن جعفر الخرائطى ثنا أبو بكر أحمد بن منصور الرمارى ثنا عبدالرازق ، قال : أنا معمر عن الزهرى ، عن أبى بن كعب بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لبنى ساعدة : من سيدكم ؟ قالوا : جد بن قيس ، قال : بم سودتموه ؟ قالوا : إنه أكثرنا مالاً ، وإنا على ذلك لنزنه «٢» بالبخل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : وأى داء أدوأ «٣» من البخل ؟ قالوا : فمن ؟ قال : « سيدكم بشر بن البراء بن معرور » .
وكان أول من استقبل القبلة «٤» حياً وميتاً ، وكان يصلى إلى الكعبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى إلى بيت المقدس ، فأطاع النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما حضره الموت ، قال لأهله : استقبلوا بى الكعبة . كذا روينا فى هذا الخبر .

١- شهد بدراً وأحداً ، وقتل يوم بئر معونة أميراً لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، وهو الذى كان يقال له : « أعنق ليموت » أعنق أى سار العنق وهو ضرب من السير السريع .
٢- أى نتهمه.
٣- أى عيب أقبح منه
٤- فى نسخة « الكعبة »

وروينا عن عمرو بن دينار ، ومحمد بن المنكدر ، والشعبى من طريق ابن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : بل سيدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح . وذكره السهيلى عن الزهرى ، والذى وقع لنا عن الزهرى كرواية ابن إسحق ، وأنشد أبو عمر [1] فى ذلك لشاعر الأنصار :

وقال رسول الله والحق قوله	لمن قال منا من تعدون سيدا
فقلنا له جد بن قيس على التى	نبخله فيها وما كان أسودا
فسود عمرو بن الجموح لجوده	وحق لعمرو بالندى أن يسودا

فى أبيات ذكرها .

وقد بقى علينا فى الخبر الذى أسندناه أنفاً موضعان ينبغى التنبيه عليهما :

أحدهما : قوله لبنى ساعدة وليس بشىء ليس فى نسب هؤلاء ساعدة هم بنو سلمة ابن سعيد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج .

والثانى : قوله فى بشر بن البراء وكان أول من استقبل الكعبة حياً وميتاً ، وإنما ذلك البراء غير شك . كذلك رويناه فيما سلف ، وكذلك رويناه عن أبى عروبة ثنا ابن شبيب ثنا عبدالرازق قال : أنا معمر قال : قال الزهرى : البراء بن معرور أول من استقبل القبلة حياً وميتاً .

وذكر يزيد بن خزام هو عند ابن إسحق ، وعند موسى بن عقبة ، يزيد بن خدارة ، وعند أبى عمر ، يزيد بن حرام ، ويزيد بن خزمة - بسكون الزاى - عند ابن إسحق وابن الكلبى - وفتحها الطبرى . وهو يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة بفتح العين وتشديد

وفروة بن عمرو بن وذقة ، عند ابن إسحق - بالذال المعجمة ، وقال ابن هشام : بالدال المهملة ورجحة السهيلى وذقة . وفسر - الودقة بالروضة الناعمة ، و قال : وإنما جعل النبى صلى الله عليه وسلم النقباء اثنى عشر اقتداء بقوله سبحانه فى قوم موسى : « وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباً » [2] .

قوله : يا أهل الجباجب : يعنى منازل منى . وأزب العقبة : شيطان

وقوله : بل الدم الدم والهدم الهدم : قال ابن هشام : الهدم بفتح الدال ، وقال ابن قتيبة : كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار : دمى دمك وهدمى هدمك أى ما هدمت من الدماء هدمته أنا ، قال : ويقال أيضاً : بل اللدم اللدم والهدم الهدم وأنشد .

ثم الحقى بهدمى ولدمى

فاللدم : جمع لادم ، وهم أهله الذين يلتدمون عليه إذا مات ، وهو من لدمت صدره إذا ضربته .

١- فى الأصل « أبو عمرو »

٢ - سورة المائدة : الآية ١٢ .

والهدم : قال ابن هشام : الحرمة ، وإنما كنى عن حرمة الرجل وأهله بالهدم ، لأنهم كانوا أهل نجعة وارتحال ، ولهم بيوت يستخفونها يوم ظعنهم فكلما ظعنوا هدموها .
والهدم : بمعنى المهدوم كالقبض ثم جعلوا الهدم وهو البيت المهدوم عبارة عما حوى ، ثم قالوا : هدمى هدمك أى رحلتى رحلتك .

ذكر الهجرة إلى المدينة

قال ابن إسحق : فلما تمت بيعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة العقبة ، وكانت سراً عن كفار قومهم وكفار قريش ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه بالهجرة إلى المدينة ، فخرجوا أرسالاً «١» أولهم فيما قيل أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومى ، وحبست عنه امرأته أم سلمة هند بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبدالله ابن عمرو بن مخزوم بمكة نحو سنة ، ثم أذن لها بنو المغيرة الذين حبسوها فى اللحاق بزوجها فانطلقت وحدها مهاجرة حتى إذا كانت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة ، أخا بنى عبد الدار ، وكان يومئذ مشركاً فشيعها حتى أوفى على قرية بنى عمرو بن عوف بقباء ، قال لها : هذا زوجك فى هذه القرية ، ثم انصرف راجعاً إلى مكة ، فكانت تقول : ما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن أبى طلحة .
وقد قيل : إن أول المهاجرين مصعب بن عمير .
روينا عن أبى عروبة ثنا ابن بشار ، وابن المثنى قالا : ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبى إسحق قال : سمعت البراء يقول : كان أول من قدم المدينة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير ، ثم عامر بن ربيعة حليف بنى عدى بن كعب معه امرأته ليلى بنت أبى حثمة بن غانم .
قال أبو عمر : وهى أول ظعينة «٢» دخلت من المهاجرات المدينة .
وقال موسى بن عقبة : وأول امرأة دخلت المدينة أم سلمة ثم عبدالله بن جحش بن رئاب بأهله وأخيه عبد بن جحش أبى أحمد ، كان ضريراً ، وكان منزلهما ومنزل أبى سلمة وعامر على مبشر بن عبد المنذر بن زنبر بقباء فى بنى عمرو بن عوف .
قال أبو عمر : و هاجر جميع بنى جحش بنسائهم فعدا أبو سفيان على دارهم فتملكها ، وكانت الفارعة بنت أبى سفيان بن حرب تحت أبى أحمد بن جحش .
وزاد غير أبى عمر : فباعها من عمرو بن علقمة أخى بنى عامر بن لؤى ، فذكر ذلك

١- أرسالاً : جماعات
٢- الظعينة : المرأة فى الهودج

عبدالله بن جحش لما بلغه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضى يا عبدالله ، أن يعطيك الله بها داراً فى الجنة خيراً منها ؟ قال : بلى : قال فذلك لك . فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، كلمه أبو أحمد فى دارهم ، فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الناس لأبى أحمد : يا أبا أحمد ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن ترجعوا فى شىء أصيب منكم فى الله ، فأمسك عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رجع إلى خبر ابن إسحق : وكان بنو غنم بن دودان أهل إسلام ، قد أوعبوا «١» إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرة رجالهم ونساؤهم : عكاشة بن محصن ابن حرثان بن قيس بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة أبو محصن حليف بنى أمية ، وأخوه عمرو بن محصن ، وشجاع ، وعقبة ابنا وهب بن ربيعة بن أسد ابن صهيب بن مالك بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، وأربد بن جميرة - وقال ابن هشام : حميرة بالحاء ، وهو عند ابن سعد : حمير - ومنقذ بن نباتة بن عامر بن غنم بن دودان «٢» وسعيد بن رقيش ، ومحرز بن نضلة بن عبد الله بن مرة بن كبير ابن غنم ، وزيد بن رقيش وقيس بن جابر ، ومالك بن عمرو ، وصفوان بن عمرو ، وثقف ابن عمرو ، حليف بنى عبد شمس ، وربيعة بن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن لكيز بن عامر ابن غنم بن دودان بن أسد ، والزبير بن عبيدة ، وتمام بن عبيدة ، وسخبرة بن عبيدة ، ومحمد ابن عبدالله بن جحش .

ومن نسائهم : زينب بنت جحش «٣» ، وأم حبيبة بنت جحش «٤» ، وجدامة بنت جندل ، وأم قيس بنت محصن ، وأم حبيبة بنت تمامة ، وآمنة بنت رقيش ، وسخبرة بنت تميم ، وحمنة بنت جحش .

وقال أبو عمر : ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعياش بن أبى ربيعة فى عشرين راكباً فقدموا المدينة فنزلوا فى الموالى فى بنى أمية بن زيد ، وكان يصلى بهم سالم مولى أبى حذيفة ، وكان أكثرهم قرآناً ، وكان هشام بن العاص بن وائل قد أسلم ، وواعد عمر ابن الخطاب أن يهاجر معه ، وقال : تجدنى أو أجدك عند أضاة «٥» بنى غفار ، ففطن لهشام قومه ، فحبسوه عن الهجرة ، ثم إن أبا جهل ، والحرث بن هشام ، ومن الناس

١- أوعبوا : أى خرجوا جميعهم .   ٢- فى نسخة زيادة « ابن أسد » .

٣- هى أم المؤمنين ، وكانت أولاً عند زيد بن حارثة ، ثم اقترن بها بعده الرسول ، يقول الله تعالى : « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا » سورة الأحزاب الآية ٣٧ .

٤- واضح أن ابن سيد الناس جعل لزينب أختين ، هما أم حبيبة أو حبيب وحمنة وتابعه فى ذلك السهيلى فقال : إن حمنة كانت تحت مصعب بن عمير ، وكانت أم حبيب تحت عبد الرحمن بن عوف ، وعند ابن عساكر أن حمنة كانت تكنى بأم حبيبة لا أم حبيب أى أنهما فقط زينب وحمنة أم حبيبة .

٥- كلمة الأضاة تمد وتقصر وهى الغدير وكانت أضاة بنى غفارخارج مكة على بعد عشرة أميال منها .

من يذكر معهما أخاهما العاص بن هشام – خرجا حتى قدما المدينة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فكلما عياش بن ربيعة، وكان أخاهما لأمهما وابن عمهما ، وأخبراه : أن أمه قد نذرت أن لا تغسل رأسها ولا تستظل حتى تراه ، فرقت نفسه وصدقهما ، وخرج راجعاً معهما فكتفاه في الطريق ، وبلغا به مكة فحبساه بها إلى أن خلصه الله تعالى بعد ذلك بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في قنوت الصلاة : اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة .

قال ابن إسحق : فحدثني بعض آل عياش بن أبي ربيعة أنهما حين دخلا مكة دخلا به نهاراً موثقاً ، ثم قالا : يا أهل مكة ، هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا .

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة : «من لي بعياش بن أبي ربيعة ، وهشام بن العاص ؟ » فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة : أنا لك يا رسول الله بهما ، فخرج إلى مكة ، فقدمها مستخفياً ، فلقي امرأة تحمل طعاماً فقال لها : أين تريدين يا أمة الله ؟ قالت : أريد هذين المحبوسين ، تعنيهما ، فتبعها حتى عرف موضعهما ، وكانا محبوسين في بيت لا سقف له ، فلما أمسى تسور عليهما ، ثم أخذ مروة «١» فوضعها تحت قيديهما ، ثم ضربهما بسيفه ، فقطعهما ، فكان يقال لسيفه : ذو المروة ، لذلك ، ثم حملهما على بعيره وساق بهما فعثر فدميت إصبعه فقال :

هل أنت إلا إصبع دميت ؟ وفي سبيل الله ما لقيت

ثم قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

قال بن إسحق : ونزل عمر بن الخطاب – حين قدم المدينة – ومن لحق به من أهله وقومه ، وأخوه زيد بن الخطاب ، وعمرو وعبدالله ابنا سراقة بن المعتمر بن أنس بن أداة ابن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب ، وخنيس بن حذافة السهمي « وكان صهره على ابنته حفصة بنت عمر بن الخطاب ، خلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده » وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وواقد بن عبدالله التميمي ، حليف لهم ، وخولي بن أبي خولي ، ومالك بن أبي خولي ، واسم أبي خولي عمرو بن زهير ، قيل : جعفي ، وقيل : عجلي ، وقيل غير ذلك ، حليفان لهم ، وبنو البكير أربعتهم : إياس ، وعاقل وعامر ، وخالد حلفاؤهم من بني سعد بن ليث ، على رفاعة بن عبد المنذر ابن زنبر في بني عمرو بن عوف بقباء ، وقد كان منزل عياش بن أبي ربيعة معه عليه حين قدما المدينة.

ثم تتابع المهاجرون فنزل طلحة بن عبدالله ، وصهيب بن سنان على خبيب بن أساف ، ويقال : بل نزل طلحة على سعد بن زرارة أخي بني النجار ، كذا قال ابن سعد ، وإنما هو أسعد .

قال ابن هشام : وقد ذكر لي عن أبي عثمان النهدي أنه قال : بلغني أن صهيباً حين

١- المروة : الحجر الأبيض الصلب .

أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكا حقيرا [1]، فكثر مالك عندنا وبلغت الذى بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، لا والله لا يكون ذلك ، فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى ؟ قالوا : نعم ، فقال : فإنى قد جعلت لكم مالى ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ربح صهيب ، ربح صهيب » .

قال ابن إسحق : ونزل حمزة بن عبدالمطلب ، وزيد بن حارثة ، وأبو مرثد كناز ابن الحصين بن يربوع بن عمرو بن يربوع بن خرشة بن سعد بن طريف بن جلان بن غنم ابن يعصر الغنوى ، كذا ذكره أبو عمر عن ابن إسحق .

وأما ابن الرشاطى فقال : حصين بن عمرو بن يربوع بن طريف بن خرشة بن عبيد ابن سعد بن عوف بن كعب بن جبلان بن غنم بن غنى وابنه مرثد ، وأنسة [2]، وأبو كبشة [3] موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على كلثوم بن هدم أخى بنى عمرو بن عوف بقباء ، ويقال : بل نزلوا على سعد بن خيثمة ، ويقال : بل نزل حمزة بن عبدالمطلب على أسعد بن زرارة ، ونزل عبيدة بن الحرث ، وأخواه الطفيل ، والحصين ومسطح بن أثاثة واسمه عمرو بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصى ، وسويبط بن سعد ابن حرملة ، وطليب بن عمير ، وخباب مولى عتبة بن غزوان على عبدالله بن سلمة أخى بنى عجلان بقباء . ونزل عبدالرحمن بن عوف فى رجال من المهاجرين على سعد ابن الربيع .

ونزل الزبير بن العوام ، وأبو سبرة بن أبى رهم على منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة ابن الجلاح . ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ .

ونزل أبو حذيفة بن عتبة ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وعتبة بن غزوان على عباد بن بشر ابن وقش . ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت أخى حسان .

ويقال : بل نزل الأعزاب من المهاجرين على سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزباً .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة ، ولم يتخلف معه أحد من المهاجرين إلا من حبس أو افتتن إلا على بن أبى طالب وأبو بكر ، وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فيقول له : لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحباً فيطمع أبو بكر أن يكون هو [4]

١- صعلوكاً : أى فقيرا .

٢- أنسة ، ويكنى أبا مسروح من مولدى السراة ، شهد بدراً والمشاهد كلها مع الرسول الكريم ، ومات فى خلافة أبى بكر .

٣- أبو كبشة : اسمه سليم ، يقال إنه من فارس ، ويقال : من مولدى أرض دوس ، شهد بدراً والمشاهد كلها مع النبى عليه الصلاة والسلام ومات فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه .

٤- هنا فى هامش الأصل « بلغ مقابلة لله الحمد » .

ذكر يوم الزحمة

قال ابن إسحق : ولما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً ، وأصابوا منعة فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فإجتمعوا له فى دار الندوة « وهى دار قصى ابن كلاب التى كانت قريش لا تقضى امراً إلا فيها » يتشاورون فيها ما يصنعون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه .

فحدثنى من لا أتهم من أصحابنا ، عن عبدالله بن أبى نجيح ، عن مجاهد بن جبر أبى الحجاج وغيره ممن لا أتهم ، عن عبدالله بن عباس قال : لما إجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا دار الندوة ليتشاوروا فيها فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غدوا فى اليوم الذى اتعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة ، فاعترضهم إبليس ، لعنه الله ، فى هيئة شيخ جليل عليه بت «١» له ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد سمع بالذى اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون ، وعسى أن لا يعدمكم منه رأياً ونصحاً ، قالوا : أجل ، فادخل ، فدخل معهم ، وقد اجتمع فيها أشراف قريش : من بنى عبد شمس : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، ومن بنى نوفل بن عبد مناف : طعيمة ابن عدى ، وجبير بن مطعم ، والحرث بن عمرو بن نوفل ، ومن بنى عبد الدار بن قصى : النضر بن الحرث بن كلدة ، ومن بنى أسد بن عبدالعزى : أبو البخترى بن هشام ، وزمعة ابن الأسود ، وحكيم بن حزام ، ومن بنى مخزوم : أبو جهل بن هشام ، ومن بنى سهم : نبيه ومنبه ابنا الحجاج ، ومن بنى جمح : أمية بن خلف ، أو من كان منهم ، وغيرهم ممن لا يعد من قريش ، فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، وإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأيا ، قال : فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم : إحبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه باباً ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهير والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم ، قال الشيخ النجدى : لا والله ما هذا لكم برأى ، والله لو حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى فانظروا إلى غيره فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فإذا خرج عنا فوالله ما نبالى أين ذهب ولا حيث وقع

١- البت - بفتح الباء وتشديد التاء الكساء الغليظ .

إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت ، قال الشيخ النجدى : والله ما هذا لكم برأى ، ألم تروا حسن حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ، والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حى من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله وحديثه حتى يبايعوه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، أديروا فيه رأياً غير هذا ، قال : فقال أبو جهل ابن هشام : والله إن لى فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً جلداً نسيباً . وسيطاً ، ثم نعطي كل فتي منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً ، فلم يقدر بنو عبد مناف علي حرب قومهم جميعاً ، فرضوا منا بالعقل «١» فعقلناه لهم . قال : يقول الشيخ النجدى : القول ما قال هذا الرجل ، هذا الرأي ولا رأي غيره . فتفرق القوم علي ذلك وهم مجمعون له . فأتي جبريل رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال : لاتبت هذه الليلة علي فراشك الذي كنت تبيت عليه . قال : فلما كانت عتمة من الليل إجتمعوا علي بابه يرصدونه حتي ينام فيثبون عليه ، فلما رأي رسول الله صلي الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن أبي طالب : نم علي فراشي وتسج «٢» ببردي هذا الحضرمي الأخضر ، فنم عليه ، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم . وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم ينام في برده ذلك إذا نام .

فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال : لما إجتمعوا وفيهم أبو جهل بن هشام ، فقال وهم علي بابه : إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه علي أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم نار تحرقون فيها .

قال :وخرج عليهم رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فأخذ حفنة «٣» من تراب في يده ، ثم قال : « نعم أنا أقول ذلك ، وأنت أحدهم » . وأخذ الله أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب علي رءوسهم وهو يتلو هذه الآيات (يس والقرآن الحكيم . إنك لمن المرسلين . علي صراط مستقيم) إلي قوله : (فأغشيناهم فهم لايبصرون «٤») حتي فرغ رسول الله صلي الله عليه وسلم من هؤلاء الآيات ، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع علي رأسه تراباً ، ثم انصرف إلي حيث أراد أن يذهب ، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم ، فقال : ما تنتظرون ها هنا ؟ قالوا : محمداً ،

١- العقل : الدية .

٢- تسج : أي تغط

٣- الحفنة : ملء اليد

٤- سورة يس : الآيات ١-٩ .

قال : قد خيبكم الله ! قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع علي رأسه تراباً ، وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟ قال : فوضع كل رجل منهم يده علي رأسه فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يطلعون ، فيرون علياً علي الفراش متسجياً ببرد رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائماً عليه برده ، فلم يزالوا كذلك حتي أصبحوا ، فقام على عن الفراش ، فقالوا : والله لقد صدقنا الذي كان حدثنا . فكان مما أنزل الله من القرآن في ذلك : (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أويقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين «١») وقول الله تعالي : (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فإني معكم من المتربصين «٢») .

ذكر فوائد تتعلق بهذه الاخبار

قوله : بقباء : هو مسكن بني عمرو بن عوف ، علي فرسخ من المدينة ، ويمد ويقصر ، ويؤنث ويذكر ، ويصرف ولا يصرف .

وذكر في مهاجري بني دودان بن أسد : بنات جحش بن رئاب وهن : زينب وكان إسمها برة ، فسماها رسول الله صلي الله عليه وسلم زينب وهي التي كانت عند زيد ابن حارثة ، ونزلت فيها : (فلما قضي زيد منها وطراً زوجناكها) [٣]

وحمنة بنت جحش ، وهي التي كانت تحت عبد الرحمن بن عوف ، وأم حبيبة ، وقال السهيلي : أم حبيب ، وحكاه أبو عمر وقال : هو قول أكثرهم .

وكان شيخنا الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي رحمه الله يقول : أم حبيب حبيبة ، وأما الحافظ أبو القاسم بن عساكر فعنده أم حبيبة وإسمها حمنة ، فهما إثنتان علي هذا فقط ولم أجد في جمهرة «٤» ابن الكلبي ، وكتاب أبي محمد بن حزم في النسب غير زينب وحمنة ، والسهيلي يقول : كانت زينب عند زيد بن حارثة ، وأم حبيب تحت عبد الرحمن بن عوف ، وحمنة تحت مصعب بن عمير . قال : ووقع في الموطأ «٥» وهم أن زينب كانت تحت عبد الرحمن بن عوف ولم يقله أحد ، والغلط لا يسلم منه

١- سورة الأنفال : الآية ٣٠

٢- سورة الطور: الآيتان ٣٠ -٣١. قال ابن هشام : المنون : الموت ، وريب المنون : ما يريب ويعرض منها .

٣- سورة الاحزاب آية ٣٧

٤- هو كتاب جمهرة النسب تصنيف هشام بن محمد بن السائب الكلبي الكوفي ، وهو مؤرخ عالم بالانساب وأخبار العرب وأيامها توفي سنة ٢٠٤هـ

٥ - موطأ الإمام مالك ، وهو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر ينتهي نسبه إلي ذي أصبح أحد ملوك اليمن ، قدم أحد أجداده إلي المدينة وسكنها ، وكان جده أبو عامر من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وهو أحد الائمة الاربعة عند أهل السنة وإليه تنسب المالكية .توفي سنة ١٧٩ هـ

بشر ، غير أن شيخنا أبا عبدالله محمد بن نجاح أخبرنا : أن أم حبيب كان أسمها زينب فهما زينبان ، غلبت علي إحداهما الكنية ، فعلي هذا لايكون في حديث الموطأ وهم وذكر جدامة بنت جندل – وهي بالدال المهملة ، ومن أعجمها فقد صحف – قال السهيلي وأحسبها جدامة بنت وهب . قلت : جدامة بنت جندل غير معروفة ، والذي ذكره أبو عمر :جدامة بنت وهب ، أسلمت بمكة وهاجرت مع قومها إلي المدينة لايعرف غير ذلك :
وذكر في المهاجرين : محرر بن نضلة ، وابن عقبة يقول فيه : محرز بن وهب .
وذكر في خبر يوم الزحمة ، تشاور قريش في أمره عليه السلام ، ولم يسم المشيرين ، وكان الذي أشار بحبسه أبو البختري بن هشام ، والذي أشار بإخراجه ونفيه هو أبوالاسود ربيعة بن عمير ،أخو بني عامر بن لؤي ، ذكره السهيلي عن ابن سلام ..

أحاديث الهجرة وتوديع رسول الله صلي الله عليه وسلم مكة

قرأت على أبى حفص عمر بن عبد المنعم ، بعربيل من غوطة دمشق ، أخبركم أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الأنصاري حضوراً في الرابعة قال : أنا أبو الحسن السلمي : أنا أبو نصر الحسين بن محمد بن أحمد بن طلاب الخطيب قال : أنا ابن جميع ثنا إبراهيم بن معاوية ثنا عبدالله بن سليمان ثنا نصر بن عاصم ثنا الوليد ثنا طلحة ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : « والله إنى لأخرج منك ، وإنى لأعلم أنك أحب بلاد الله وأكرمها على الله تعالى ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت » .
وكان أبو بكر يستأذنه عليه السلام فى الهجرة فيثبطه ليكون معه من غير أن يصرح له بذلك ، كما أخبرنا الإمام أبو عبدالله محمد بن إبراهيم المقدسى بقراءة والدى عليه وأنا حاضر فى الرابعة ، وأبو عبدالله محمد بن عبد المؤمن بقراءتى عليه بظاهر دمشق قالا : أخبرنا أبو ملاعب ، قال : أنا الأرموى ، قال : أنا يوسف بن محمد بن أحمد قال : أنا أبو عمر بن مهدى ، قال : أنا ابن مخلد ثنا ابن كرامة ثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : استأذن أبو بكر فى الخروج من مكة حين اشتد عليه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقم ، فقال : يا رسول الله أتطمع أن يؤذن لك ؟ فيقول : إنى لأرجو ذلك ، فانتظره أبو بكر .
ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم آت يوم ظهراً فناداه ، فقال : أخرج من عندك ، فقال : يا رسول الله ، إنما هما ابنتاى ، قال : شعرت أنه قد أذن لى فى الخروج ، فقال: يا رسول الله الصحبة ، فقال : الصحبة ، قال : يا رسول الله ، عندى ناقتان قد

أعددتهما للخروج ، فأعطى النبى صلى الله عليه وسلم إحداهما وهى الجدعاء فركبها ، فإنطلقا حتى أتيا الغار وهو بثور «١» فتواريا فيه ، وكان عامر بن فهيرة غلاماً لعبدة ابن الطفيل ، وهو أخو عائشة لأمها ، وكانت لأبى بكر منحة «٢» فكان يروح بها ويغدو عليها ، ويصبح فيدلج إليهم ، ثم يسرح ولا يفطن له أحد من الرعاء .
فلما خرجا خرج معهما يعقبانه حتى قدم المدينة ، فقتل عامر بن فهيرة يوم بئر معونة .

حديث الغار

قرأت على أبى الفتح الشيبانى بدمشق ، أخبركم الحسن بن على بن الحسين بن الحسن ابن محمد بن البن الأسدى قراءة عليه وأنت تسمع ، قال : أنا جدى قال : أنا أبو القاسم بن أبى العلاء ، قال : أنا ابن أبى النصر قال : أنا خيثمة ثنا عبد الله بن أحمد الدورقى ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا عوف بن عمرو القيسى أخو رياح القيسى ثنا أبو مصعب المكى قال : أدركت أنس بن مالك ، وزيد بن أرقم ، والمغيرة بن شعبة فسمعتهم يتحدثون : أن النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الغار ، أمر الله شجرة فنبتت فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم فسترته ، وأمر الله حمامتين وحشيتين «٣» فوقفتا بفم الغار .
وأقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم ، وهراويهم ، وسيوفهم حتى إذا كانوا من النبى صلى الله عليه وسلم على أربعين ذراعاً تعجل بعضهم ينظر فى الغار فلم ير إلا حمامتين وحشيتين بفم الغار ، فرجع إلى أصحابه فقالوا له : ما لك ؟ قال : رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد : فسمع النبى صلى الله عليه وسلم ما قال ، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل قد درأ عنه .

١- جبل ثور بأسفل مكة .
٢- أى غنم .
٣- جاء فى الأثر أن حمام الحرم من نسل هاتين الحمامتين اللتين وقفتا على فم الغار ، فلذلك احترم حمام الحرم ، وهو من جنس قوله تعالى : (وكان أبوهما صالحاً) وقيل : هو جدهما السابع ، فحفظ الله الأعقاب ، رعاية للأسلاف ، وإن طالت الأحقاب

حديث الهجرة «١» ، وخبر سراقة بن مالك بن جعشم

روينا من طريق البخارى ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث ، عن عقيل قال ابن هشام : أخبرنى عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : لم أعقل أبوى إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشية .

فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة ، حتى إذا بلغ برك الغماد «٢» لقيه ابن الدغنة ، وهو سيد القارة «٣» فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ قال : أبو بكر : أخرجنى قومى ، فأريد أن أسيح فى الأرض فأعبد ربى ، قال ابن الدغنة : فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج ، إنك تكسب المعدوم «٤» وتصل الرحم ، وتحمل الكل وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فأنا لك جار ، فارجع فاعبد ربك ببلدك ، فرجع وارتحل مع ابن الدغنة ، فطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج ، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ، ويحمل الكل ، ويقرى الضيف ، ويعين على نوائب الحق ، فلم تكذب قريش «٥» بجوار ابن الدغنة ، وقالوا لابن الدغنة : مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره ، فليصل فيها وليقرأ ما يشاء ، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به ، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا ، فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر ، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ، ولا يستعلن بصلاته ، ولا يقرأ فى غير داره ، ثم بدا لأبى بكر ، فابتنى مسجدا بفناء داره فكان يصلى فيه ، ويقرأ القرآن ، فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه ، وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يكاد يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين ، فأرسلوا إلى ابن الدغنة ، فقدم عليهم فقالوا : إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وإنا قد خشينا أن يفتن «٦» نساءنا وأبناءنا بهذا ، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل ، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك

١- هكذا العنوان فى نسخة ، وفى نسخة أخرى (ذكر الهجرة إلى المدينة)

٢- موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن .

٣- فى ابن إسحق : وهو يومئذ سيد الأحابيش ، والأحابيش هم أحياء من القارة انضموا إلى بنى ليث ، والتحبش : التجمع ، وقيل حالفوا قريشاً تحت جبل يسمى حبشياً بأسفل مكة فسموا بذلك .

٤- تكسب المعدوم : أى تكسب غيرك ما هو معدوم عنده ، وقال أبو ذر : المعدوم هنا النفيس .

٥- لم تكذب : أى قبلته ولم ترفضه .

٦- أى يخرجهن عن دينهن .

ذمتك ، فإنا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لإبى بكر الإستعلان .
قالت عائشة : فأتى ابن الدغنة «١» إلى أبى بكر فقال : قد علمت الذى عاقدت لك عليه ، فإما أن تقتصر على ذلك ، وإما أن ترجع إلىّ ذمتى «٢» ، فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت «٣» فى رجل عقدت له ، فقال له أبو بكر : فإنى أرد إليك جوارك ، وأرضى بجوار الله .

والنبى صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين : « إنى أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين) ، وهما الحرتان ، فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة ، وتجهز أبو بكر قبل المدينة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «على رسلك فإنى أرجو أن يؤذن لى » فقال أبو بكر : هل ترجو ذلك بأبى أنت ؟ قال : « نعم » .

فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه ، وعلف راحلتين عنده ورق السمر وهو الخبط أربعة أشهر ، قال ابن شهاب : قال عروة : قالت عائشة : فبينا نحن جلوس يوماً فى بيت أبى بكر فى نحر «٤» الظهيرة ، قال قائل لأبى بكر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعاً «٥» ، فى ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فدى له أبى وأمى ، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر ، قالت : فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فإستأذن فأذن له ، فدخل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أخرج من عندك ، فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبى أنت يا رسول الله فقال : « فإنه قد أذن لى فى الخروج » ، فقال أبو بكر : الصحابة بأبى أنت يا رسول الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «نعم» ، قال أبو بكر : فخذ بأبى أنت يا رسول الله ، إحدى راحلتى هاتين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل بالثمن .

قالت عائشة : فجهزناهما أحب الجهاز وصنعنا لهما سفرة «٦» فى جراب فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها «٧» فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين قالت : ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار فى جبل ثور ، فمكثا فيه ثلاث ليال ، يبيت عندهما عبدالله بن أبى بكر ، وهو غلام شاب ثقف لقن «٨» فيدلج من

١- قيل اسمه الحارث بن يزيد
٢- الذمة : العهد ..
٣- اى أغدربك .
٤- نحر الظهيرة : اى أول الزوال ، وهو أشد ما يكون فى حرارة النهار .
٥- التقنع : تغطية الرأس
٦- السفرة : بضم فسكون طعام يتخذه المسافر ، وأكثر ما يحمل فى جلد مستدير ، فنقل إسم الطعام إلى الجلد وسمى به وفى حديث عائشة : صنعنا سفرة فى جراب اى طعاماً .
٧- النطاق : هو حبل تشد به المرأة وسطها للمهنة .
٨- لقن : سريع الفهم .

عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمراً يكتادان به إلاوعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة – مولى أبى بكر – منحة «١» من غنمه ، فيريحها عليهما حين يذهب . ساعة من العشاء ، فيبيتان فى رسل «٢» وهو لبن منحتهما ورضيفهما «٣» حتى ينعق «٤» بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث .

واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر من بنى الديل «٥» (وهو من بنى عبد بن عدى) هادياً خريتا – والخريت الماهر بالهداية – قد غمس حلفاً «٦» فى آل العاص بن وائل السهمى ، وهو على دين كفار قريش . فأمناه ، فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث ، وإنطلق معهما عامر ابن فهيرة والدليل ، فأخذ بهم على طريق السواحل .

قال ابن شهاب : وأخبرنى عبدالرحمن بن مالك المدلجى – وهو ابن أخى سراقة بن مالك ابن جعشم – أن أباه أخبره ، أنه سمع سراقة بن مالك بن جعشم يقول : جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر دية كل واحد لمن قتله أو أسره ، فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى ، بنى مدلج ، أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس ، فقال : يا سراقة ، إنى قد رأيت أنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه ، قال سراقة : فعرفت أنهم هم ، فقلت : إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً ، انطلقوا بأعيننا ثم لبثت فى المجلس ساعة ، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى ، وهى من وراء أكمة فتحبسها علىّ ، وأخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه «٧» الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسى ، فركبتها فرفعتها تقرب بى حتى دنوت منهم ، فعثرت بى فرسى ، فخررت عنها ، فقمت فأهويت بيدى إلى كنانتى ، فاستخرجت منها الأزلام ، فاستقسمت بها أضرهم أم لا ؟ فخرج الذى أكره ، فركبت فرسى ، وعصيت الأزلام تقرب بى ، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم – وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات – ساخت «٨» يدا فرسى فى الأرض ، حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها ، ثم زجرتها فنهضت ، فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان ساطع فى السماء مثل الدخان ، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذى أكره ، فناديتهم بالأمان ، فوقفوا

١– منحة اللبن : أى يعطيه ناقة أوشاة ينتفع بلبنها ويعيدها . ٢– الرسل : اللبن الطرى

٣– الرضيف : اللبن المرضوف ، وهو الذى طرح فيه الحجارة المحماه ليذهب وخمه .

٤– أى يصيح بغنمه ويسمعها صوته . ٥– ابن بكر ، بن عبد مناة ، بن كنانة ، وهو دليل الرسول الكريم إلى المدينة فى هجرته ، قيل اسمه عبدالله بن أريقط ، وقيل عبدالله بن أرقد

٦– أى كان حليفاً ، وكانوا إذا تحالفوا غمسوا أيديهم فى دم ، أو فى شىء يكون فيه تلويث ، فيكون ذلك تاكيداً للحلف .

٧– الزج : الحديدة فى أسفل الرمح . ٨– ساخت : غاصت

فركبت فرسى حتى جئتهم ، ووقع فى نفسى ، حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ، أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع : فلم يرزآنى «١» ولم يسألانى ، إلا أن قال : « اخف عنا » فسألته أن يكتب لى كتاب أمن ، فأمر عامر ابن فهيرة «٢» فكتب لى فى رقعة من أدم «٣» ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن شهاب : فأخبرنى عروة بن الزبير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى الزبير فى ركب من المسلمين ، كانوا تجاراً قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض ، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة ، فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم ، فلما آووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم «٤» من آطامهم لأمر ينظر إليه ، فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين «٥» ، يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته : يا معاشر «٦» العرب ، هذا جدكم الذى تنتظرون .

فثار المسلمون إلى السلاح ، فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين ، حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف ، وذلك فى يوم الأثنين من شهر ربيع الأول ، فقام أبو بكر للناس ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتاً ، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحيى أبا بكر ، حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه ، فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ، فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذى أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ركب راحلته ، فسار يمشى مع الناس ، حتى بركت عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين ، وكان مربداً «٧» للتمر لسهيل وسهل - غلامين يتيمين - فى حجر أسعد بن زرارة - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته ، « هذا إن

١- لم ينقصانى مما معى شيئا .

٢- فى بعض الروايات أن الذى كتب له هذا الكتاب أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه .

٣- يقال إن الرسول الكريم وعد سراقة حينئذ أن يلبسه الله تاج كسرى وسواريه ، فعجب من ذلك فأنجز الله وعده على يد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه .

٤- الأطم : الحصن

٥- أى عليهم ثياب بيض

٦- فى نسخة « يا معشر »

٧- المكان الذى يجفف فيه التمر

شاء الله تعالى المنزل » ، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين ، فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً ، فقالا : بل نهبه لك يارسول الله .

وقع فى البخارى فى رواية أبى ذر ، عن أبى الهيثم الكشميهنى ، عن الفربرى [1] هنا زيادة : فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبله منهما هبة ، حتى ابتاعه منهما ، ثم بناه مسجداً .

فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن [2] فى بنائه ، ويقول وهو ينقل اللبن :

هذا الحمال لا حمال [3] خيبر ‏ ‏ ‏ هذا أبر [4] ربنا وأطهر
اللهم إن الأجر أجر الآخرة ‏ ‏ ‏ فارحم الأنصار والمهاجرة

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لى . قال ابن شهاب : ولم يبلغنا فى الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات .

كذا وقع فى هذا الخبر أن الذى كسا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر الزبير ، وذكر موسى بن عقبة أنه طلحة بن عبيد الله فى خبر ذكره .

وروينا من طريق البخارى أن أبا بكر كان يسأل عن النبى صلى الله عليه وسلم : من هذا ؟ فيقول : هذا الرجل يهدينى الطريق ، قال : فيحسب الحاسب أنه يعنى الطريق ، وإنما يعنى سبيل الخير .

وروينا من طريق ابن إسحق : أنه عليه السلام أعلم علياً بخروجه ، وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدى عنه الودائع التى كانت عنده للناس ، وأن أبا بكر خرج بماله كله ، وهو فيما قيل : خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم .

أخبرنا عبدالله بن أحمد بن فارس ، ويوسف بن يعقوب بن المجاور ، قراءة على الأول وأنا أسمع بالقاهرة ، وبقراءتى على الثانى بسفح قاسيون ، قالا : ثنا أبو اليمن الكندى ، قال : أخبرنا هبة الله بن أحمد الحريرى ، قال : أنا أبو طالب العشارى ، قال أنا أبو الحسين بن سمعون ثنا عمر بن الحسن بن على بن مالك قال : أنا يحيى ابن إسماعيل الجريرى [5] ثنا جعفر بن على ثنا سيف ، عن بكر بن وائل ، عن الزهرى ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أحد أمن على فى صحبته وذات يده من أبى بكر ، وما نفعنى مال ما نفعنى مال أبى بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً لا تخذت أبابكر خليلاً » .

١- فى الأصل « القوبرى » .
٢- الطوب الذى لم يحرق
٣- المحمول من اللبن .
٤- أبر : أبقى ذخراً وأكثر ثواباً
٥- بفتح الجيم وكسر الراء نسبة إلى جرير بن عبدالله .

وجهل أهل مكة الخبر عنهم إلى أن سمعوا الهاتف يهتف بالشعر الذى فيه ذكر أم معبد فعلموا أنهم توجهوا نحو يثرب ، وأنهم قد نجوا منهم .

حديث أم معبد « ١ »

أخبرنا الشيخان أبو الفضل عبدالرحيم بن يوسف المزى بقراءة والدى عليه ، وأبو الهيجاء غازى بن أبى الفضل بقراءتى عليه، قالا : أنا ابن طبرزد قال : أنا ابن الحصين ، قال : أنا ابن غيلان ، قال : أنا أبو بكر الشافعى ثنا محمد بن يونس القرشى ثنا عبدالعزيز بن يحيى مولى العباس بن عبدالمطلب ثنا محمد بن سليمان ابن سليط الأنصارى قال : حدثنى أبى عن أبيه ، عن جده أبى سليط ، وكان بدرياً قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ومعه أبو بكر الصديق وعامر بن فهيرة - مولى أبى بكر - وابن أريقط ، يدلهم على الطريق ، مروا بأم معبد الخزاعية وهى لا تعرفهم ، فقال لها : يا أم معبد ، هل عندك من لبن ؟ قالت : لا والله و إن الغنم لعازبة ، قال : فما هذه الشاة التى أرى ؟ - لشاة رآها فى كفاء البيت - قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم ، قال : أتأذنين فى حلابها ؟ قالت لا والله ما ضربها من فحل قط ، فشأنك بها ، فدعا بها فمسح ظهرها وضرعها ثم دعا بإناء يربض «٢» الرهط فحلب فيه فسقى أصحابه عللا «٣» بعد نهل «٤» ، ثم حلب فيه آخر فغادره عندها وارتحل ، فلما جاء زوجها عند المساء قال : يا أم معبد ما هذا اللبن ولا حلوبة فى البيت ، والغنم عازبة «٥» ؟ قالت : لا والله ، إلا أنه مر بنا رجل ظاهر الوضاءة ، متبلج الوجه فى أشفاره «٦» وطف «٧» وفى عينيه دعج «٨» ، وفى صوته صحل «٩» ، غصن بين الغصنين ، لا تشنئوه من طول ، ولا تقتحمه من قصر ، لم تعبه ثجلة «١٠» ولم تزره صعلة «١١» كأن عنقه إبريق فضة ، إذا صمت فعليه البهاء ، وإذا نطق فعليه وقار ، له كلام كخرزات النظم ، أزين أصحابه منظراً ، وأحسنهم وجهاً ، أصحابه يحفون به ، إذا أمر ابتدروا أمره ، وإذا

١- واضح أن ابن سيد الناس يقدم لقاء الرسول الكريم لسراقة على قصة أم معبد ، وأكثر أهل السير يؤخرون هذا اللقاء إلى ما بعد قصتها ، وكان الترتيب يقتضى ذكر قصة أم معبد قبل لقاء سراقة كما شرطه المؤلف فى أول سيرته ولعله فعل ذلك لأن خبر سراقة ورد فى الحديث الصحيح بخلاف قصة أم معبد فلم ترو عند البخارى ولا عند مسلم .

٢- يربض الرهط : أى يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الأرض ، من ربض فى المكان إذا لصق به وأقام ملازماً له .

٣- العلل : الشرب بعد الشرب .

٤- النهل : نهل ينهل نهلاً شرب .

٥- عازب : حيال بعيدة المأوى ، والحيال : هى التى لم تلد .

٦- الأشفار : هى حروف العين التى ينبت عليها الشعر « الهدب »

٧- وطف : فى شعر أجفانه طول .

٨- دعج : شدة سواد العين . وقيل : شدة سواد العين فى شدة بياضها .

٩- صحل : الصحل بالتحريك كالبحة وألا يكون حاد الصوت .

١٠- ثجلة : أى ضخم البطن .

١١- صعلة : هى صغر الرأس

نهى يتفقوا عند نهايته ، قال : هذه والله صفة صاحب قريش ، ولو رأيته لا تبعته ولأجتهدن أن أفعل .

قال : فلم يعلموا بمكة أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، حتى سمعوا هاتفاً على رأس أبى قبيس وهو يقول :

جزى الله خيراً والجزاء بكفه ... رفيقين قالا خيمتى أم معبد
هما رحلا بالحق وانتزلا به ... فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فما حملت من ناقة فوق رحلها ... أبر وأوفى ذمة من محمد
وأكسى لبرد الحال قبل ابتذاله ... وأعطى برأس السابح المتجرد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد

وبه قال أبو بكر الشافعى ، حدثنا محمد بن يحيى بن سليمان ثنا أحمد بن محمد ابن أيوب ثنا إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحق قال : حدثت عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنهما أنها قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبى بكر رضى الله عنه ، فخرجت إليهم فقالوا : أين أبوك يا بنت أبى بكر ؟ قالت قلت : والله لا أدرى أين أبى ، قالت : فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشاً خبيثاً ، فلطم خدى لطمة خرم منها قرطى ، قالت : ثم انصرفوا .

فمضى ثلاث ليال ، ما ندرى أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يغنى بأبيات غنى بها العرب ، وإن الناس ليتبعونه يسمعون صوته وما يرونه ، حتى خرج بأعلى مكة وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين قالا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالهدى واغتدوا به ... فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد

فقالت : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحديث .

وقد روينا حديث أسماء هذا متصلاً من حديث هشام بن عروة عن أبيه ، عن أسماء ، أخبرناه عبدالله بن أحمد بن فارس قراءة عليه وأنا أسمع بالقاهرة ، وأبو الفتح يوسف ابن يعقوب الشيبانى بقراءتى عليه بسفح قاسيون قالا : أنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكندى ، قال أنا أبو القاسم هبة الله بن أحمد بن عمر الحريرى ، قال : أنا أبو طالب محمد بن على بن الفتح قال : أنا أبو الحسين محمد بن أحمد ثنا عمر بن الحسن ابن على بن مالك الشيبانى قال : أنا يحيى بن إسماعيل ثنا جعفر بن على ثنا سيف عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت : ارتحل

النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، فلبثنا أياماً ثلاثة أو أربعة أو خمس ليال لاندرى أين توجه ، ولا يأتينا عنه خبر ، حتى أقبل رجل من الجن ، الحديث بنحو ما تقدم .
وروينا عن أبى بكر الشافعى بالسند المتقدم ، ثنا بشر بن أنس أبو الخير ثنا أبو هشام محمد بن سليمان بن الحكم بن أيوب بن سليمان بن زيد بن ثابت بن يسار الكعبى الربعى الخزاعى قال : حدثنى عمى أيوب بن الحكم ، قال الشافعى : وحدثنى أحمد ابن يوسف بن يوسف بن تميم البصرى ثنا أبو هشام محمد بن سليمان بقديد قال : حدثنى عمى أيوب بن الحكم ، عن حزام بن هشام ، عن أبيه هشام ، عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة فذكر نحو ما تقدم من خبر أبى سليط ، وذكر الأبيات وزاد فيها

فيالقصى مازوى الله عنكم ... به من فعال لا تجارى وسؤدد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت ... عليه صريحاً «١» ضرة «٢» الشاة مزبد
فغادرها رهناً لديها بحالب ... ترددها فى مصدر ثم مورد

فلما سمع بذلك حسان بن ثابت قال يجاوب الهاتف .

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم ... وقدس من يسرى إليهم ويغتدى
ترحل عن قوم فضلت عقولهم ... وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم ... وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وقد نزلت منه على أهل يثرب ... ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبى يرى ما لا يرى الناس حوله ... ويتلو كتاب الله فى كل مسجد
وإن قال فى يوم مقالة غائب ... فتصديقها فى اليوم أو فى ضحى الغد
ليهن أبا بكر سعادة جده ... بصحبته من يسعد الله يسعد

***

واجتاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه ذلك بعبد يرعى غنماً ، فكان من شأنه ما رويناه من طريق البيهقى بسنده ، عن قيس بن النعمان قال : لما أنطلق النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مستخفين مرابعبد يرعى غنماً ، فاستسقياه اللبن فقال : ما عندى شاة تحلب ، غير أن ها هنا عناقاً «٣» حملت أول ، وقد أخدجت «٤» وما بقى لها لبن ، فقال : ادع بها ، فدعا بها ، فاعتقلها النبى صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت قال : وجاء أبو بكر بمجن فحلب ، فسقى أبا بكر ، ثم حلب فسقى الراعى ، ثم

١- الصريح : الخالص
٢- الضرة : لحمة الضرع
٣- العناق : الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة .
٤- أى ولدت قبل أوانها .

حلب فشرب فقال الراعي : بالله من أنت ؟ فوالله ما رأيت مثلك ، قال أو تراك تكتم عليّ حتى أخبرك ؟ قال : نعم ، قال : فإني محمد رسول الله . فقال : أنت الذي تزعم قريش أنك صابيء ؟ قال : إنهم ليقولون ذلك ، قال : فأشهد أنك رسول الله ، وأن ما جئت به حق ، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي ، وأنا متبعك ، قال : إنك لن تستطيع ذلك يومك ، فإذا بلغك أني قد ظهرت فائتنا .

ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار

العثان : بضم العين المهملة والثاء المثلثة : شبه الدخان وهو مفسر في الخبر بذلك ، وجمعه عواثن . الحمال : جمع أو مصدر أي هذا الحمل أو المحمول من اللبن أفضل من حمال خيبر التمر . والزبيت المحمول منها ، قيل : رواه المستملي بالجيم فيهما وله وجه ، والأول أظهر .

وأم معبد عاتكة بنت خالد إحدى بني كعب من خزاعة ، وهي أخت حبيش بن خالد الذي روينا الخبر عن طريقه ، وله صحبة ، وكان منزلها بقديد «١» .

وأبو سليط : أسيرة بن عمرو ، أنصاري من بني النجار ، شهد بدراً وما بعدها ، ووقع في الأبيات التي رويناها في الخبر من طريقه :

فما حملت من ناقة فوق رحلها

البيت والذي يليه في ذلك الشعر وليس ذلك بمعروف ، والمعروف في هذا الشعر أنه لأبي أناس الدبلي ، رهط أبي الأسود صحابي ، ذكره أبو عمر ، وعمه سارية بن زنيم الذي قال له عمر بن الخطاب : يا سارية الجبل .

وكان أبو أناس شاعراً ، وهو القائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

تعلم رسول الله أنك قادر على كل حاف من تهام ومنجد

وهي طويلة منها :

وما حملت من ناقة فوق رحلها أبر وأوفى ذمة من محمد

وتضمن حديث أم معبد أشياء من صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، يأتي شرحها في الشمائل إن شاء الله تعالى .

وكفاء البيت : سترة في البيت من أعلاه إلى أسفله من مؤخره ، وقيل : الكفاء : الشقة التي تكون في مؤخر الخباء ، وقيل : هو كساء يلقى على الخباء كالإزار حتى يبلغ الأرض ، وقد أكفى البيت ذكره ابن سيده .

١- قال ياقوت : قديد اسم موضع قرب مكة .

ذكر دخوله عليه السلام المدينة

وكان أهل المدينة يتوكفون (١) قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغهم توجهه إليهم ، فكانوا يخرجون كل يوم لذلك أول النهار ثم يرجعون ، حتى كان يوم الإثنين لإثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، خرجوا لذلك على عادتهم ، فرجعوا ، ولم يقدم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قدم من يومه ذلك حين اشتد الضحاء فنزل بقباء على بنى عمرو بن عوف على كلثوم بن عوف ، وكان يجلس للناس فى بيت مسعد بن خيثمة .

قال الواقدى : ونزل على كلثوم أيضاً جماعة من الصحابة منهم : أبو عبيدة ابن الجراح ، والمقداد بن عمر ، وخباب بن الأرت ، وسهيل وصفوان ابنا بيضاء ، وعياض ابن زهير ، وعبدالله بن مخرمة ، ووهب بن سعد بن أبى سرح ، ومعمر بن أبى سرح ، وعمرو بن أبى عمرو بن محارب بن فهر ، وعمير بن عوف - مولى سهيل بن عمرو - وكل هؤلاء قد شهد بدراً .

ثم لم يلبث كلثوم أن مات قبل بدر ، وكان رجلاً صالحاً غير مغموص عليه ، انتهى كلام الواقدى .

وقيل : نزل أبو بكر على خبيب بن أساف (٢) وقيل : على خارجة بن زيد بن أبى زهير .
وأقام علىّ بمكة ثلاث ليال ، حتى أدى الودائع التى كانت عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للناس ، ثم جاء فنزل على كلثوم ، فكان يقول : كانت بقباء امرأة لازوج لها مسلمة ، فرأيت إنساناً يأتيها من جوف الليل فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه ، فيعطيها شيئاً معه فتأخذه ، قال : فإستريت شأنه ، فقلت : يا أمة الله ، من هذا الرجل الذى يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه فيعطيك شيئاً لا أدرى ما هو ؟ وأنت امرأة مسلمة لازوج لك ؟ قالت : هذا سهل بن حنيف قد عرف أنى امرأة لا أحد لى فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها ثم جاءنى بها ، فقال : احتطبى بها ، فكان على يأثر (٣) ذلك من أمر سهيل بن حنيف .

وكان فيمن خرج لينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من يهود فيهم عبدالله ابن سلام .

أخبرنا الشيخان أبو الفضل عبدالرحيم بن يوسف وأبو الهيجاء غازى بن أبى الفضل قالا : أنا أبو حفص عمرو بن محمد بن طبرزد قال : أنا أبو القاسم بن الحصين قال :

١- أى يتوقعون وينتظرون .
٢- ويقال « ابن يساف » بالياء بدل الهمزة
٣- يأثر ذلك : أى يحدث به .

أنا أبو طالب بن غيلان قال : أنا أبو بكر الشافعى ثنا معاذ ثنا مسدد ثنا يحيى ، عن عوف ثنا زرارة قال : قال عبدالله بن سلام : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قيل : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانجفل «١» الناس إليه فكنت فيمن انجفل ، فلما رأيت وجهه صلى الله عليه وسلم ، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، فأول ما سمعته يقول : « أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » وأشرقت المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم ، وسرى السرور إلى القلوب بحلوله بها .

روينا من طريق ابن ماجه : حدثنا بشر بن هلال الصواف ثنا جعفر بن سليمان الضبعى ثنا ثابت ، عن أنس بن مالك قال :

لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شىء ، فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شىء ، وما نفضنا عن النبى صلى الله عليه وسلم الأيدى حتى أنكرنا قلوبنا .

وروى ابن أبى خيثمة عن أنس : شهدت يوم دخول النبى صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم أر يوماً أحسن منه ، ولا أضوأ .

وروى البخارى من حديث البراء بن عازب قال : فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحديث ، قال ابن إسحق : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى عمرو بن عوف يوم الأثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، ويوم الخميس ، وأسس مسجده «٢» ، ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة ، وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك .

وقد روينا عن أنس من طريق البخارى إقامته فيهم أربع عشرة ليلة والمشهور عند أصحاب المغازى ما ذكره ابن إسحق ، فأدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة فى بنى سالم بن عوف ، فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى «٣» وادى رانوناء ، فكانت أول جمعة صلاها فى المدينة ، فأتاه عتبان بن مالك ، وعباس بن عبادة بن نضلة فى رجال من بنى سالم بن عوف فقالوا : يارسول الله ، أقم عندنا فى العدد والعدة والمنعة ، قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، لناقته فخلوا سبيلها ، فانطلقت ، حتى وازت دار بنى بياضة تلقاه زياد بن لبيد ، وفروة بن عمرو فى رجال من بنى بياضة فقالوا : يا رسول الله ، هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة ، فقال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ،

١- جفل : أسرع .

٢- فى هذا المسجد نزل قوله تعالى : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » التوبة : ١٠٨

٣- فى بعض الروايات : أن الرسول صلى فى بطن الوادى فى بنى سالم

فانطلقت ، حتى إذا مرت بدار بنى ساعدة ، اعترضه سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو فى رجال من بنى ساعدة فقالوا : يا رسول الله ، هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة ، قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها ، فانطلقت ، حتى إذا وازت دار بنى الحرث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع ، وخارجة بن زيد ، وعبدالله بن رواحة فى رجال من بنى الحرث بن الخزرج ، فقالوا : يا رسول الله ، هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة ، قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها ، فانطلقت ، حتى إذا مرت بدار بنى عدى بن النجار ـ وهم أخواله دنيا : أم عبدالمطلب سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم ـ اعترضه سليط بن قيس ، وأبو سليط أسيرة بن أبى خارجة فى رجال من بنى عدى بن النجار فقالوا : يا رسول الله ، هلم إلى أخوالك إلى العدد والعدة والمنعة قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها فانطلقت ، حتى إذا أتت دار بنى مالك ابن النجار بركت على باب مسجده صلى الله عليه وسلم ، وهو يومئذ مربد (1) لغلامين يتيمين من بنى مالك بن النجار فى حجر معاذ بن عفراء : سهل وسهيل ابنى عمرو ، فلما بركت ورسول الله صلى الله عليه وسلم عليها لم ينزل وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يثنيها به ، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ، ثم تحلحلت (2) ورزمت (3) ووضعت جرانها (4) ونزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه فى بيته ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١- مربد : بكسر الميم وفتح الباء بينهما راء مهملة ساكنة - أصله الموضع الذى يجفف فيه التمر .

٢- تحركت

٣- رزمت : يقال : رزمت الناقة رزوماً ، إذا أقامت من الأعياء

٤- جران البعير : مقدم عنقه .

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المربد لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو ، وهما يتيمان لي ، وسأرضيهما منه فاتخذه مسجداً . فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي أيوب حتى بني مسجده ومساكنه ، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغب المسلمين في العمل فيه ، فعمل فيه المهاجرون والأنصار ، ودأبوا فيه فقال قائل من المسلمين :

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إذ قدمها شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة ، يبنى له فيها مسجده ومساكنه .

وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أبى أن يأخذه إلا بالثمن فالله أعلم .

فبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده وجعل عضادتيه (١) الحجارة ، وسواريه (٢) جذوع النخل ، وسقفه جريدها بعد أن نبش قبور المشركين وسواها ، وسوى الخرب ، وقطع النخل ، وعمل فيه المسلمون .

ومات أبو أمامة أسعد بن زرارة حينئذ فوجد (٣) عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجداً شديداً ، وكان قد كواه من ذبحة (٤) نزلت به ، وكان نقيب بني النجار ، فلم يجعل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيباً بعده وقال لهم : أنا نقيبكم ، فكانت من مفاخرهم . وذكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري قال : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أبي أيوب ، وأراده قوم من الخزرج على النزول عليهم ، فقال : المرء مع رحله وكان مقامه في منزل أبي أيوب سبعة أشهر ، ونزل عليه تمام الصلاة بعد مقدمه بشهر ووهبت الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم كل فضل كان في خططها (٥) ، وقالوا : يا نبي الله ، إن شئت فخذ منازلنا ، فقال لهم خيراً .

قالوا : وكان أبو أمامة أسعد بن زرارة يجمع بمن يليه في مسجد له ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ، ثم إنه سأل أسعد أن يبيعه أرضاً متصلة بذلك المسجد كانت في يده ليتيمين في حجره يقال لهما : سهل وسهيل ابنا رافع بن عمرو بن عائذ

١- العضادة بالكسر : ما يشد الباب من جانبيه .

٢- سواري المسجد : أعمدته

٣- وجد : حزن

٤- داء يكون في الحلق يخنق صاحبه

٥- أي أراضيها .

ابن ثعلبة بن غنم ـ كذا نسبهما البلاذرى ، وهو يخالف ما سبق عن ابن إسحق وغيره ، والأول أشهر ـ قال : فعرض عليه أن يأخذها ، ويغرم عنه لليتيمين ثمنها ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، وابتاعها منهما بعشرة دنانير أداها من مال أبى بكر .
ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بإتخاذ اللبن ، فإتخذ و بنى به المسجد ، ورفع أساسه بالحجارة ، وسقف بالجريد ، وجعلت عمده جذوعاً ، فلما استخلف أبو بكر لم يحدث فيه شيئاً ، واستخلف عمر فوسعه ، فكلم العباس بن عبدالمطلب فى بيع داره ليزيدها فيه ، فوهبها العباس لله وللمسلمين ، فزادها عمر فى المسجد .
ثم إن عثمان بناه فى خلافته بالحجارة والقصة [1]، وجعل عمده حجارة ، وسقفه بالساج ، وزاد فيه ونقل إليه الحصباء من العقيق .

وكان أول من اتخذ فيه المقصورة مروان بن الحكم بناها بحجارة منقوشة ، ثم لم يحدث فيه شىء إلى أن ولى الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد أبيه فكتب إلى عمر ابن عبدالعزيز ، وهو عامله على المدينة ، يأمره بهدم المسجد وبنائه ، وبعث إليه بمال وفسيفساء ورخام وبثمانين صانعاً من الروم والقبط من أهل الشام ومصر ، فبناه وزاد فيه ، وولى القيام بأمره والنفقة عليه صالح بن كيسان ، وذلك فى سنة سبع وثمانين ، ويقال فى سنة ثمان وثمانين ، ثم لم يحدث فيه أحد من الخلفاء شيئاً حتى استخلف المهدى .

قال الواقدى : بعث المهدى عبدالملك بن شبيب الغسانى ، ورجلاً من ولد عمر ابن عبدالعزيز إلى المدينة لبناء مسجدها والزيادة فيه ، وعليها يومئذ جعفر بن سليمان ابن على ، فمكثا فى عمله سنة ، وزادا فى مؤخره مائة ذراع فصار طوله ثلاثمائة ذراع ، وعرضه مائتى ذراع .

وقال على بن محمد المدائنى : ولى المهدى جعفر بن سليمان ، مكة والمدينة واليمامة ، فزاد فى مسجد مكة ، ومسجد المدينة ، فتم بناء مسجد المدينة فى سنة اثنتين وستين ومائة .

١- القصة : بالفتح الجص .

ذكر الموادعة بين المسلمين واليهود

قال ابن إسحق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم واشترط عليهم « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبى صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم «١» يتعاقلون «٢» بينهم ، وهم يفدون عانيهم «٣» بالمعروف والقسط «٤» بين المؤمنين ، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وذكر كذلك فى بنى ساعدة ، وبنى جشم ، وبنى النجار ، وبنى عمرو بن عوف ، وبنى النبيت ، وبنى الأوس ، وأن المؤمنين لا يتركون مفرحاً «٥» بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل ، ولا يحالف مؤمن مولى «٦» مؤمن دونه ، وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم دسيعة «٧» ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعاً ، ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمناً فى كافر ، ولا ينصر كافر على مؤمن ، وأن ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس ، وأن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وإن سلم المؤمنين واحدة : لا يسالم مؤمن من دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء أو عدل بينهم ، وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً ، وأن المؤمنين يبيء «٨» بعضهم عن بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله ، وأن المتقين على أحسن هدى وأقومه وإنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ، ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن وإنه من اعتبط «٩» مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولى المقتول ، وإن المؤمنين

١- على ربعتهم : الحال التى جاء الإسلام وهم عليها .

٢- اى يعقل بعضهم بعضاً ، أى يدفع دية جنايتهم الخطأ .

٣- العانى : الأسير .

٤- القسط : العدل قال تعالى « قل أمر ربى بالقسط » أما القسط بالفتح فهو الجور .

٥- مفرحاً : هو الذى أثقله الدين والغرم .

٦- كان الرجل إذا أسلم على يديه رجل من المشركين كان مولى له أى يرثه كما يرث من أعتقه ومنه الحديث ، أنه سئل عن رجل مشرك يسلم على يد رجل من المسلمين فقال هو : « أولى الناس بمحياه ومماته » أى أحق به من غيره ، فذهب قوم إلى العمل به واشترط آخرون أن تضيف إلى الإسلام على يده المعاقدة والموالاة ، وذهب أكثر الفقهاء إلى خلاف ذلك ، وجعلوا هذا الحديث بمعنى البر والصلة ورعى الذمام ، ومنهم من ضعف الحديث هـ . ابن الأثير .

٧- دسيعة : أى طلب دفعاً على سبيل الظلم ، أى دسيعة من ظلم ويجوز أن يراد بالدسيعة العطية ، وفى الحديث « ألم أجعلك تدسع » أي تعطى الجزيل .

٨- يبيء : يعنى أن دماءهم متكافئة .

٩- اعتبطه : أى قتله من غير ما شيء يوجب قتله .

عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه ، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه ، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف «١» ولا عدل «٢» وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله وإلى محمد ، وإن اليهود يتفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، بنى النجار مثل مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم أو أثم فإنه لا يوتغ «٣» إلا نفسه وأهل بيته .
وذكر مثل ذلك ليهود بنى النجار ، وبنى الحارث ، وبنى ساعدة ، وبنى جشم ، وبنى الأوس ، وبنى ثعلبة ، وبنى الشطبة ، وإن جفنة بطن من ثعلبة وأن بطانة «٤» يهود كأنفسهم ، وإن البردون الإثم «٥» وإن موالى ثعلبة كأنفسهم ، وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ، وأنه لا ينحجر «٦» عن ثأر جرح ، وانه من فتك فبنفسه إلا من ظلم ، وأن الله على أبرهذا «٧» وإن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم «٨» وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصحية والبردون الإثم وإنه لن يأثم امرؤ بحليفه ، وأن النصر للمظلوم ، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار «٩» يخاف فساده فإن مرده إلى الله ، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لا تجار قريش ، ولا من نصرها ، وأن بينهم النصر على من دهم «١٠» يثرب ، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب فى الدين : على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم ، وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة وأن البر دون الإثم لا يكتسب كاسب إلا على نفسه ، وإن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة ، وأبره ، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم

١- الصرف : التوبة
٢- العدل : الفدية
٣- يوتغ : أى لا يهلك إلا نفسه .
٤- بطانة الرجل : خاصته وأهل سره الذين بهم يقوى وبنصرهم إياه يعتز ويفخر .
٥- إن البردون الإثم : أى أن البر ينبغى أن يكون حاجزاً عن الإثم ، والوفاء ينبغى أن يمنع من الغدر .
٦- ينحجر « فى النهاية » لما تحجر جرحه للبرء انفجر أى اجتمع والتأم .
٧- وأن الله على أبرهذا : أى شاهد على أبره وأتقاه وأصدقه
٨- قال السهيلى : إنما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب قبل أن تفرض الجزية ، إذ كان الإسلام ضعيفاً كان لليهود إذ ذاك نصيب فى المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين كما شرط عليهم فى هذا الكتاب النفقة معهم فى الحرب .
٩- الإشتجار : الإختلاف .   ١٠- دهم يثرب : فاجأها

ولا آثم وإنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم أو أثم ، وإن الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) .
هكذا ذكره ابن إسحق ، وقد ذكره ابن أبي خيثمة فأسنده : حدثنا أحمد بن جناب أبو الوليد ثنا عيسى بن يونس ثنا كثير بن عبدالله بن عمرو المزني ، عن أبيه ، عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار فذكر بنحوه .

شرح ما فيه من الغريب

الربعة : الحالة التى جاء الإسلام وهم عليها – من كتاب المزنى – قال الخشني : ربعة وربعة وكذلك رباعة ورباعة .
المفرح : رواه ابن جريج مفرجاً ـ قال أبو عبيد : ومعناهما واحد .
وقال أبو عبيد : سمعت محمد بن الحسن يقول : هذا يروى بالحاء وبالجيم .
قال أبو العباس ثعلب : المفرح : المثقل من الديون ، وبالجيم الذى لا عشيرة له .
وقال أبو عبيدة : المفرج : بالجيم أن يسلم الرجل فلا يوالى أحد بقود فتكون جنايته على بيت المال لأنه لا عاقلة له فهو مفرج .
وقال بعضهم : هو الذى لا ديوان له .
وقال أبو عبيد القاسم بن سلام ، عن محمد بن الحسن : هو القتيل يوجد بأرض فلاة لا يكون عند قرية فإنه يؤدى من بيت المال ولا يطل دمه .
وقوله : إن المؤمنين يبيء بعضهم عن بعض يعني، أن دماءهم متكافئة ، يقال ما فلان ببواء لفلان أى بكفؤ له ، ويقال : باء الرجل بصاحبه يبوء بواء إذا قتل به كفؤا .
ولم يفسره ابن قتيبة ومعناه يقتل بعضهم قاتل بعض . يقال : أبأت لفلان قاتله أى قتلته
ويوتغ : يفسد ، قاله ابن هشام .
نقلت هذه الفوائد من خط جدى رحمه الله من حواشى كتابه الذى تقدم ذكره .

ذكر المؤاخاة

كانت المؤاخاة مرتين : الأولى بين المهاجرين بعضهم وبعض قبل الهجرة على الحق والمواساة ، آخى بينهم النبى صلى الله عليه وسلم ، فآخى بين أبى بكر وعمر ، وبين حمزة وزيد بن حارثة ، وبين عثمان وعبدالرحمن بن عوف ، وبين الزبير وابن مسعود ، وبين عبيدة بن الحارث وبلال ، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبى وقاص ، وبين أبى عبيدة وسالم مولى أبى حذيفة ، وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله . وبين على ونفسه صلى الله عليه وسلم . قرأت على أبى الربيع سليمان بن أحمد المرجانى بثغر

الإسكندرية ، وغيره ، عن محمد بن عماد قال أنا ابن رفاعة قال : أنا الخلعى ، قال : أنا أبو العباس أحمد بن الحسن بن جعفر العطار ثنا أبو محمد الحسن بن رشيق العسكرى ثنا أبو عبد الله محمد بن رزيق بن جامع المدينى ثنا أبو الحسين سفيان ابن بشر الأسدى ثنا على بن هاشم بن البريد عن كثير النواء ، عن جميع بن عمير ، عن عبد الله بن عمر ، قال آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه فآخى بين أبى بكر وعمر ، وفلان وفلان ، حتى بقى على عليه السلام ، وكان رجلاً شجاعاً ماضياً على أمره إذا أراد شيئاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما ترضى أن أكون أخاك ؟ قال : بلى يا رسول الله رضيت ، قال : فأنت أخى فى الدنيا والآخرة .

قال كثير : فقلت لجميع بن عمر : أنت تشهد بهذا على عبدالله بن عمر ؟ قال : نعم أشهد .

فلما نزل عليه السلام المدينة آخى «١» بين المهاجرين والأنصار على المواساة والحق فى دار أنس بن مالك فكانوا يتوارثون بذلك دون القرابات حتى نزلت وقت وقعة بدر (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله «٢») ، فنسخت ذلك .

وكانت المؤاخاة بعد بنائه عليه السلام المسجد ، وقد قيل : كان ذلك والمسجد يبنى ، وقال أبو عمر : بعد قدومه عليه السلام المدينة لخمسة أشهر .

قرىء على أبى عبدالله بن أبى الفتح المقدسى بمرج دمشق وأنا أسمع ، أخبركم ابن الحرستانى سماعا ، قال : أنا أبو الحسن على بن أحمد بن منصور بن قيس الغسانى قراءة عليه وأنا أسمع قال : أنا أبو الحسن أحمد بن عبدالواحد بن محمد بن أبى الحديد السلمى قال : أنا جدى أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان ، قال أنا محمد ابن جعفر بن محمد أبو بكر الخرائطى قراءة عليه ثنا سعدان ثنا يزيد بن هارون قال : أنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك قال ، قال المهاجرون : يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل ولا أحسن بذلاً من كثير كفونا المؤنة ، وأشركونا فى المهنة ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله ، قال : إلا ما أثنيتم عليهم ودعوتم لهم . وبه إلى الخرائطى ثنا سعدان بن نصر ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : لقد رأيتنا وما الرجل المسلم بأحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم . رواه مسلم عن أبى كريب والترمذى ، والنسائى عن هناد كليهما عن أبى معاوية ، فوقع

١- قال السهيلى : آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه حين نزلوا المدينة ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض ، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » أعنى فى الميراث ، ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة فقال : « إنما المؤمنون إخوة » يعنى فى التواد وشمول الدعوة .

٢- سورة الأحزاب : الآية ٦ .

لنا بدلاً عالياً لهم «١» .

وقال ابن إسحق : آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار «٢» فقال : تآخوا فى الله أخوين أخوين ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال : « هذا أخى » فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أخوين ، وحمزة وزيد بن حارثة أخوين ، وإليه أوصى حمزة يوم أحد .

وذكر سنيد بن داود : أن زيد بن حارثة وأسيد بن الحضير أخوان ، وهو حسن إذهما أنصارى ومهاجرى ، وأما المؤاخاة بين حمزة وزيد فقد ذكرناها فى المرة الأولى .

رجع إلى ابن إسحق : وجعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبل أخوين ، وأنكره الواقدى لغيبة جعفر بالحبشة ، وعند سنيد : أن المؤاخاة كانت بين ابن مسعود ، ومعاذ بن جبل .

رجع إلى ابن إسحق : أبو بكر بن أبى قحافة وخارجة بن أبى زهير أخوين ، وعمر ابن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين ، وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ أخوين ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين ، والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش أخوين ، ويقال : بل الزبير وعبدالله بن مسعود .

قلت : هذا كان فى المؤاخاة الأولى قبل الهجرة .

وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر أخوين ، وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك أخوين ، وسعيد بن زيد وأبى بن كعب أخوين ، ومصعب بن عمير وأبو أيوب خالد بن زيد أخوين ، وأبو حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر أخوين ، وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أخوين ، ويقال : بل ثابت بن قيس بن الشماس ، وأبو ذر والمنذر بن عمرو أخوين .

وأنكره الواقدى : لغيبة أبى ذر الغفارى عن المدينة ، وقال : لم يشهد بدراً ولا أحداً ولا الخندق ، وإنما قدم بعد ذلك ، وعنده طليب بن عمير والمنذر بن عمرو أخوين .

رجع إلى ابن إسحق : وحاطب بن أبى بلتعة وعويم بن ساعدة أخوين ، وسلمان الفارسى وأبو الدرداء « عويمر بن ثعلبة » أخوين ، وبلال وأبو رويحة عبدالله بن عبدالرحمن الخثعمى أخوين .

وعند سنيد بن داود فيما حكاه أبو عمر : المؤاخاة بين أبى مرثد وعبادة بن الصامت ، وبين سعد « بن أبى وقاص » وسعد بن معاذ ، وبين عبدالله بن جحش وعاصم بن ثابت ابن أبى الأفلح ، وبين عتبة بن غزوان وأبى دجانة ، وبين أبى سلمة بن عبد الأسد وسعد ابن خيثمة ، وبين عثمان بن مظعون وأبى الهيثم بن التيهان وزاد غيره ، وبين عبيدة بن الحرث وعمير بن الحمام ، وبين الطفيل بن الحرث أخى عبيدة وسفيان بن نسر «٣» بن

١- ليس هو فى مسلم ولا الترمذى ولا النسائى .

٢- كانوا تسعين رجلاً خمسة وأربعين من المهاجرين وخمسة وأربعين من الأنصار ، ويقال كانوا مائة : خمسين من المهاجرين وخمسين من الأنصار .

٣- اختلف الرواة هل هو بشر أو بشير أو نسر انظر أسد الغابة ٢ / ٤٠٨

زيد من بنى جشم بن الحرث بن الخزرج وبين الحصين بن الحارث أخيهما ، وعبدالله بن جبير وبين عثمان بن مظعون والعباس بن عبادة بن نضلة ، وبين صفوان بن بيضاء ورافع بن المعلى ، وبين المقداد « بن عمر » و عبدالله بن رواحة ، وبين ذى الشمالين ، ويزيد بن الحرث من بنى حارثة ، وبين عمير بن أبى وقاص وخبيب بن عدى ، وبين عبدالله بن مظعون وقطبة بن عامر بن جديدة ، وبين شماس بن عثمان وحنظلة بن أبى عامر ، وبين الأرقم بن أبى الأرقم وطلحة بن زيد ، وبين زيد بن الخطاب ومعن بن عدى ، وبين عمرو بن سراقة وسعد بن زيد من بنى عبد الأشهل ، وبين عاقل بن البكير ومبشر ابن عبد المنذر ، وبين عبد الله بن مخرمة وفروة بن عمرو البياضى ، وبين خنيس بن حذافة والمنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح ، وبين سبرة بن أبى رهم وعبادة ابن الخشخاش ، وبين مسطح بن أثاثة وزيد بن المزين «١» ، وبين عكاشة بن محصن والمجذر ابن زياد حليف الأنصار ، وبين عامر بن فهيرة والحرث بن الصمة ، وبين مهجع مولى عمر وسراقة بن عمرو بن عطية من بنى غنم بن مالك بن النجار .

كل هذا المزيد عن أبى عمر «٢»

وقيل : كان عددهم مائة : خمسين من المهاجرين وخمسين من الأنصار . وزيد بن المزين كذا وجد بخط أبى عمر ، بزاى مفتوحة وياء آخر الحروف مشددة مفتوحة وفى أصل ابن مفوز : المزين مكسور الميم ساكنة الزاى مفتوحة الياء . وعند ابن هشام : ابن المزنى .

قال ابن إسحق : فلما دون عمر الدواوين بالشام ، وكان بلال قد خرج إلى الشام فأقام بها مجاهداً ، فقال : عمر لبلال : إلى من تجعل ديوانك ؟ قال : مع أبى رويحة لا أفارقه أبداً للإخوة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد بينى وبينه فضمه إليه وضم ديوان الحبشة إلى خثعم لمكان بلال منهم ، فهو فى خثعم إلى هذا اليوم بالشام .

أخبرنا عبدالرحيم بن يوسف الموصلى ، وغازى بن أبى الفضل بدمشق قالا : أنا عمر ابن محمد بن معمر قال : أنا هبة الله بن محمد قال : أنا أبو طالب محمد بن محمد قال : أنا أبو بكر محمد بن عبد الله ثنا أبو عبدالله الحسين بن عمر الثقفى ثنا العلاء ابن عمرو الحنفى ثنا أيوب بن مدرك ، عن مكحول ، عن أبى أمامة قال : لما آخى النبى صلى الله عليه وسلم بين الناس ، آخى بينه وبين على .

أخبرنا أبو عبد الله بن أبى الفتح فيما قرأ عليه الحافظ أبو الحجاج المزى ، وأنا أسمع ، قال له : أخبرك القاضى أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الأنصارى قراءة عليه ، وأنت تسمع ، فاقربه ، قال : أنا أبو الحسن على بن أحمد المالكى سماعاً قال :

١- بكسر الميم وسكون الزاى وفتح الياء .

٢- هو أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمرى ولد بقرطبة سنة ٣٦٨ هـ وتوفى سنة ٤٦٣ هـ بشاطبة له عدة مؤلفات منها : الدرر فى اختصار المغانى والسير ، وكتاب الإستيعاب .

أنا أبو الحسن أحمد بن عبدالواحد السلمى قال : أنا جدى أبو بكر محمد بن أحمد قال : أنا محمد بن جعفر الخرائطى ثنا سعدان بن يزيد ثنا يزيد بن هارون قال : أنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك : أن عبدالرحمن بن عوف هاجر إلى المدينة فآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع ، فقال له سعد : يا عبد الرحمن ، إنى من أكثر الأنصار مالاً وأنا مقاسمك ، وعندى امرأتان فأنا مطلق إحداهما ، فإذا انقضت عدتها فتزوجها ، فقال له : بارك الله لك فى أهلك ومالك .
رواه البخارى من حديث حميد ، عن أنس أطول من هذا .

بدء الأذان

وكان الناس إنما يجتمعون إلى الصلاة لتحين (١) مواقيتها من غير دعوة ، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل بوقاً كبوق اليهود الذين يدعون به لصلاتهم ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين فى الصلاة فبينماهم على ذلك رأى عبدالله ابن زيد بن ثعلبة بن عبدربه أخو بلحارث بن الخزرج النداء .
روينا من طريق أبى داود ثنا عباد بن موسى الختلى ، وزياد بن أيوب ، وحديث عباد أتم قالا : حدثنا هشيم ، عن أبى بشر قال زياد : أنا أبو بشر ، عن أبى عمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار قال : اهتم النبى صلى الله عليه وسلم للصلاة : كيف يجمع الناس لها ، فقيل له : أنصب راية عند حضور الصلاة ، فإذا رأوها آذن بعضهم بعضاً فلم يعجبه ذلك ، قال : فذكر له القنع يعنى الشبور (٢) وقال زياد : شبور اليهود ، فلم يعجبه ذلك ، وقال : « هو من أمر اليهود » قال : فذكر له الناقوس ، فقال : «هو من أمر النصارى » فانصرف عبدالله بن زيد وهو مهتم لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرى الأذان فى منامه . قال : فغدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال يا رسول الله ، إنى لبين نائم ويقظان ، إذ أتانى آت فأرانى الأذان . قال : وكان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه رآه قبل ذلك فكتمه عشرين يوماً قال ثم أخبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له : «ما منعك أن تخبرنى ؟ » فقال : سبقنى عبدالله بن زيد فإستحييت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بلال ، قم فإنظر ماذا يأمرك به عبدالله بن زيد فإفعله » ، فأذن بلال .
قال أبو بشر : فأخبرنى أبو عمير : أن الأنصار تزعم أن عبدالله بن زيد لولا أنه كان يومئذ مريضاً لجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً .

١- أى يقدرون أحياناً ليأتوا إليها ، والحين الوقت والزمان .

٢- القنع بضم القاف ، والشبور بفتح الشين المعجمة وضم الباء المشددة وهو البوق .

وروينا عن ابن إسحق من طريق زياد ، ومن طريق أبى داود ثنا محمد بن منصور الطوسى ثنا يعقوب ثنا أبى ، عن محمد بن إسحق قال : حدثنى محمد بن إبراهيم ابن الحرث التيمى ، عن محمد بن عبدالله بن زيد بن عبد ربه قال : حدثنى أبى عبدالله ابن زيد قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناقوس يعمل ليضرب به للناس يجمع للصلاة طاف بى وأنا نائم رجل يحمل ناقوساً فى يده ، فقلت : يا عبدالله ، أتبيع هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ فقلت : ندعو به للصلاة ، قال أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك ؟ قلت : بلى ، فقال : تقول : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله حى على الصلاة ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، حى على الفلاح ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله .

قال : ثم استأخر عنى غير بعيد ثم قال : تقول إذا أقمت الصلاة : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، قد قامت الصلاة ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله .

فلما أصبحت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما رأيت فقال : إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال . فألق عليه ما رأيت فليؤذن به ، فإنه أندى «١» صوتاً منك، فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به .

قال : فسمع بذلك عمر بن الخطاب وهو فى بيته ، فخرج يجر رداءه يقول : والذى بعثك بالحق يا رسول الله ، لقد رأيت مثل ما رأى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فلله الحمد على ذلك » اللفظ لأبى داود .

قال ابن هشام ، وذكر ابن جريج ، قال : قال لى عطاء : سمعت عبيد بن عمير يقول : ائتمر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالناقوس للإجتماع للصلاة ، فبينما عمر ابن الخطاب يريد أن يشترى خشبتين للناقوس إذ رأى فى المنام أن لا تجعلوا الناقوس بل أذنوا للصلاة فذهب إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليخبره بالذى رأى ، وقد جاء النبى صلى الله عليه وسلم الوحى بذلك ، فما راع عمر إلا بلال يؤذن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره بذلك : « قد سبقك بذلك الوحى » وكان يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم : بلال ، وابن أم مكتوم ، وأبو محذورة ، وسعد القرظ وهو ابن عائذ مولى عمار بن ياسر ، وكان يلزم التجارة فى القرظ «٢» فعرف بذلك ، وكان يؤذن لأهل قباء ، وابن أم مكتوم عمرو بن قيس العامرى ، وقيل عبدالله ، وأبو محذورة سمرة بن معير وقيل : أوس .

١- أندى : أنفذ وأبعد صوتاً .

٢- القرظ : ورق السلم يدبغ به ، وقيل : قشر البلوط .

ورويـنا عـن الطـبرانى : حدثنا أبو عبد الرحمن النسائى ، ثنا إسحق بن إبراهيم ابن راهويه ثنا معاذ بن هشام ثنا أبى ، عن عامر الأحول ، عن مكحول ، عن عبدالله ابن محيريز عن أبى محذورة قال : علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، ثم يعود فيقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، حى على الفلاح الله أكبر ، الله أكبر لا إله إلا الله . رواه النسائى فى سننه كذلك ، ورواه مسلم ، عن أبى راهويه فوقع لنا عالياً ، وهذا من أعز الموافقات .

قال ابن إسحق : ونصبت عند ذلك أحبار يهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم العداوة بغياً وحسداً وضغناً ، لما خص الله به العرب من أخذه رسوله منهم ، وانضاف «١» إليهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان عسا «٢» على جاهليته ، فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالمبعث إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره ، وإجتماع قومهم عليه فظهروا بالإسلام ، واتخذوه جنة «٣» من القتل ونافقوا فى السر فكان هواهم مع يهود .

وكان أحبار يهودهم الذين يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعنتونه «٤» ليلبسوا الحق بالباطل ، فكان القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه ، إلا قليلاً من المسائل فى الحلال والحرام كان المسلمون يسألون عنها .

فمن اليهود الموصوفين بذلك : حيى بن أخطب ، وأخواه ياسر وجدى ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق .

وكعب بن الأشرف ، وعبدالله بن صوريا الأعور من بنى ثعلبة بن الفطيون «٥» ولم يكن بالحجاز فى زمانة أعلم بالتوراة منه «٦» وابن صلوبا ، ومخيريق «٧» وكان حبرهم .

وذكر ابن إسحق منهم جماعة ، منهم : عبدالله بن سلام وكان خيرهم وأعلمهم ، وكان اسمه الحصين ، فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله .

١- انضاف إليهم : مال إليهم ، يريد أنه أخذ بما أخذوا به من الحسد والبغض والعداوة

٢- عسا على جاهليته : بقى عليها واشتد فى الأخذ بها .

٣- جنة : وقاية . ٤- يتعنتونه : أى يشقون عليه .

٥- قال السهيلى : الفطيون : كلمة عبرانية ، وهى عبارة عن كل من ولى أمر اليهود وملكهم ، كما أن النجاشى عبارة عن كل من ملك الحبشة . وقال بعد ذلك بقليل : « إنما اليهود بنو إسرائيل وجملة من كان منهم بالمدينة وخيبر إنما هم قريظة والنضير وبنو قينقاع ، غير أن فى الأوس والخزرج من قد تهود ، وكان من نسائهم من تنذر إذا ولدت ولداً إن عاش ولدها أن تهوده لأن اليهود عندهم كانوا أهل علم وكتاب » .

٦- قال السهيلى : ذكر النقاش أن عبدالله بن صوريا أسلم لما تحقق من صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة وأنه هو ، وليس فى سيرة ابن إسحق ذكر إسلامه .

٧- قال ابن إسحق إن مخيريق : أسلم .

إسلام عبدالله بن سلام رضى الله تعالى عنه

وهو من بنى إسرائيل من ولد يوسف بن يعقوب نبى الله ، وهو حليف القواقلة ، وهم بنو غنم ، وبنو سالم ابنى عوف بن عمرو بن عوف من الخزرج .

روينا عن ابن سعد : أخبرنا عبدالله بن عمر ، وأبو معمر المنقرى ثنا عبدالوارث ابن سعيد ثنا عبدالعزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك قال : أقبل نبى الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، قالوا : جاء نبى الله ، فاستشرفوا ينظرون ، إذ سمع به عبدالله ابن سلام وهو فى نخل لأهله يخترف «١» لهم منه ، فعجل أن يضع الذى يخترف لهم فيها فجاء وهى معه ، فسمع من نبى الله صلى الله عليه وسلم ، ثم رجع إلى أهله .

قال : فلما خلى نبى الله صلى الله عليه وسلم ، جاء عبدالله بن سلام ، فقال : أشهد أنك رسول الله حقاً ، وأنك جئت بالحق ، ولقد علمت اليهود أنى سيدهم وابن سيدهم ، وأعلمهم وابن أعلمهم ، فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت ، فإنهم إن يعلموا أنى قد أسلمت ، قالوا فىّ ما ليس فىّ .

فأرسل نبى الله صلى الله عليه وسلم إليهم فدخلوا عليه ، فقال لهم نبى الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر اليهود ، ويلكم اتقوا الله ، فوالله الذى لا إله إلا هو ، إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقاً ، وإنى جئتكم بحق أسلموا » قالوا : ما نعلمه ، فأعادها عليهم ثلاثاً ، وهم يجيبونه كذلك . قال : « فأى رجل فيكم عبدالله بن سلام» ؟ قالوا : ذاك سيدنا وابن سيدنا ، وأعلمنا وابن أعلمنا ، قال : أفرأيتم إن أسلم ؟ قالوا ! حاش لله ، ما كان ليسلم ، فقال : «يا بن سلام أخرج إليهم ، فخرج إليهم » ، فقال : يا معشر اليهود ، ويلكم ، اتقوا الله ، والله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله حقاً ، وأنه جاء بالحق . فقالوا : كذبت . فأخرجهم النبى صلى الله عليه وسلم .

رواه البخارى من حديث عبدالعزيز بن صهيب .

وروينا من طريق البخارى : حدثنى حامد بن عمر ، عن بشر بن المفضل ثنا حميد ثنا أنس : أن عبدالله بن سلام بلغه مقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأتاه يسأله عن أشياء ، فقال : إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى ، ما أول أشراط الساعة : وما أول طعام يأكله أهل الجنة : وما بال الولد ينزع إلى أبيه وإلى أمه : فقال : أخبرنى بهن جبريل آنفا ، قال ابن سلام : ذاك عدو اليهود من الملا ئكة ، قال : أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم «٢» من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة

١- يجتنى

٢- تحشرهم : أى تسوقهم من المشرق إلى المغرب ليحتموا بعيداً عن الفتن ولعل المراد : الفتن التى تقوم فى آخر الزمان والحروب بالأسلحة الرهيبة التى تضطر الناس إلى الهرب من أماكنهم إلى مكان آمن .

كبد الحوت «١»، وأما الولد فإذا سبق «٢» ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، قال : يا رسول الله ، إن اليهود قوم بهت «٣» فذكر نحو ما تقدم .

وروينا عن ابن سعد أخبرنا يزيد بن هارون قال : أنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله :(قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله «٤») قال : جاء عبدالله بن سلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إن اليهود أعظم قوم عضيهة «٥» ، فسلهم عنى وخذ عليهم ميثاقاً أنى إن اتبعتك ، وآمنت بكتابك ، أن يؤمنوا بك ، وبكتابك الذى أنزل عليك ، وأخبئنى يا رسول الله ، قبل أن يدخلوا عليك . فأرسل إلى اليهود ، فقال : « ما تعلمون عبدالله بن سلام فيكم » ؟ قالوا : خيرنا وأعلمنا بكتاب الله ، سيدنا وعالمنا وأفضلنا ، قال : « أرأيتم إن شهد أنى رسول الله ، وآمن بالكتاب الذى أنزل علىّ تؤمنون بى » ؟ قالوا : نعم ، فدعاه فخرج عليهم عبدالله بن سلام ، فقال : يا عبدالله بن سلام ، أما تعلم أنى رسول الله تجدونى مكتوباً عندكم فى التوراة والإنجيل ، أخذ الله ميثاقكم أن تؤمنوا بى ، وأن يتبعنى من أدركنى منكم ؟ قال : بلى ، قالوا : ما نعلم أنت رسول الله وكفروا به ، وهم يعلمون أنه رسول الله ، وأن ما قال حق ، فأنزل الله « قل أرأيتم إن كان من عند الله – يعنى الكتاب والرسول – وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله – يعنى عبد الله بن سلام – فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدى القوم الظالمين » ففى ذلك نزلت هذه الآية .

١– الزيادة هى القطعة المنفردة المطلقة فى الكبد وهى فى المطعم غاية اللذة ولعل المراد بالحوت جنس الحوت لا حوت بعينه

٢– سبق : غلب ، وذلك أن الحمل يتكون من خليتين ، خلية الرجل ، وخلية المرأة ، وكل منهما تحمل وراثة الأصل ، فإذا غلبت كان المولود أكثر وراثة لأصلها .

٣– البهت : الكذب والإفتراء .

٤– سورة الأحقاف : الآية ١٠

٥– أى كذباً وبهتاناً ونميمة

خير مخيريق

قال ابن إسحق : وكان حبراً عالماً غنياً كثير الأموال من النخل ، وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته وما يجد في علمه ، وغلب عليه إلف دينه ، فلم يزل على ذلك حتى كان يوم أحد ، يوم السبت ، قال : والله يا معشر يهود ، إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال : لا سبت لكم ، ثم أخذ سلاحه ، فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأحد ، وعهد إلى من وراءه من قومه : إن قتلت هذا اليوم فأموالي إلى محمد يصنع فيها ما أراه الله ، فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني يقول : «مخيريق خير يهود » ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواله ، فعامة صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منها .

وقال الواقدي : كان مخيريق أحد بني النضير ، حبراً عالماً ، فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل ماله له وهو سبعة حوائط «١» فجعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة وهي : المثيب والضيافة ، والدلال ، وحسني ، وبرقة ، والأعواف ، ومشربة أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي مارية القبطية .

(كفار اليهود والمنافقون)

وذكر ابن إسحق : عن عبدالله بن أبي بكر قال : حدثت عن صفية ابنة حيي « بن أخطب » أنها قالت : كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدوا عليه ثم جاءا من العشي ، فسمعت عمي يقول لأبي : أهو هو ؟ قال : نعم والله . قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم ، قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت .

وذكر ابن إسحق من المنافقين : زوى بن الحرث ، والحرث بن سويد ، وجلاس بن سويد ، وكان ممن تخلف عن غزوة تبوك وقال : لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شر من الحمر ، فرفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمير بن سعد ، وكان في حجر جلاس ، خلف « جلاس على أمه بعد أبيه » فقال له عمير : والله يا جلاس إنك لأحب الناس إليّ ، وأحسنهم عندي يداً ، ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عنك لأفضحنك عنها ولئن صمت عنها ليهلكن ديني ، ولإحداهما أيسر علي من الأخرى ، ثم مشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر له ما قال جلاس ، فحلف جلاس بالله لرسول الله صلى

١- حائط : بستان

الله عليه وسلم لقد كذب عليّ عمير ، وما قلت ما قال فأنزل الله تعالى : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم » إلى قوله : (وما لهم فى الأرض من ولى ولا نصير «١») ، فزعموا أنه تاب فحسنت توبته .
وزاد ابن سعد فى هذا الخبر : فقال : ـ يعنى جلاساً ـ قد قلته ، وقد عرض الله عليّ التوبة فأنا أتوب فقبل ذلك منه . وكان له قتيل فى الإسلام فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه دينه ، فاستغنى بذلك . قال : وكان قدهم أن يلحق بالمشركين .
قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للغلام : وفت أذنك وقال الواقدى : ولم ينزع جلاس عن خير كان يصنعه إلى عمير ، فكان ذلك مما عرفت به توبته ، وأخوه الحارث .
هو الذى قتل المجذر بن زياد البلوى يوم أحد بأبيه سويد بن الصامت ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب بقتل الحارث إن ظفر به ، ففاته ، فكان بمكة ثم بعث إلى أخيه جلاس يطلب التوبة ، فأنزل الله فيه فيما بلغنى عن ابن عباس : (كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم «٢») إلى آخر القصة .
وقال الواقدى : إن الحارث أتى مسلماً بعد الفتح ، وكان قد ارتد ولحق بالمشركين فقتله النبى صلى الله عليه وسلم بالمجذر .
ومن بنى ضبيعة بن زيد : بجاد بن عثمان ، ونبتل بن الحرث ، وهو الذى قال : إنما محمد أذن من حدثه شيئاً صدقه ، فأنزل الله فيه : (ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن «٣») وأبو حبيبة بن الأزعر ، وكان ممن بنى مسجد الضرار ، وثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما اللذان عاهدا الله (لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين«٤») . ومعتب هو الذى قال يوم أحد (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا «٥») وهو الذى قال يوم الأحزاب : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى ، وقيصر ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط ، فأنزل الله : (وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا «٦») .
وأنكر ابن هشام دخول ثعلبة ومعتب فى المنافقين .
وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف ، وجارية بن عامر ، وابناه مجمع وزيد . وقيل : لا يصح عن مجمع النفاق وذكر آخرين . ومن بنى أمية بن زيد : وديعة بن ثابت وهو الذى كان يقول : «إنما كنا نخوض ونلعب» ومن بنى عبيد « بن زيد بن مالك » : خذام بن خالد ، وهو الذى أخرج مسجد الضرار من داره ، وبشر ورافع بن زيد .

١- سورة التوبة : الآية ٧٤ — ٢- سورة آل عمران : الآية ٨٦
٣- سورة التوبة : الآية ٦١
٤- سورة التوبة : الآية ٧٥ — ٥- سورة آل عمران : الآية ١٥٤
٦- سورة الأحزاب : الآية ١٢

ومن بنى النبيت عمر بن مالك بن الأوس مربع بن قيظى ، وأخوه أوس وأوس الذى قال يوم الخندق : إن بيوتنا عورة فأذن لنا فلنرجع إليها فأنزل الله فيه : (يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فرارا «١»).

ومن بنى ظفر : حاطب بن أمية ، وبشير بن أبيرق ، والحرث بن عمرو بن حارثة .

وعند ابن إسحق : بشير وهو أبو طعمة سارق الدرعين «٢» الذى أنزل الله فيه : « ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم «٣» وقزمان حليف لهم ، وهو المقتول يوم أحد بعد أن أبلى فى المشركين ، قتل نفسه «٤» ، بعد أن أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من أهل النار . ولم يكن فى بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة إلا أن الضحاك بن ثابت اتهم بشىء من ذلك ولم يصح ومن الخزرج من بنى النجار: رافع بن وديعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس وقيس عمرو بن سهل ومن بنى جشم بن الخزرج : الجد بن قيس وهو الذى يقول : يا محمد إئذن لى ولا تفتنى «٥» ومن بنى عوف بن الخزرج : عبدالله ابن أبى بن سلول ، وكان رأس المنافقين وهو الذى قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فى غزوة بنى المصطلق وفيه نزلت سورة المنافقين بأسرها قال أبو عمر : وزيد بن أرقم هو الذى رفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن عبدالله بن أبى قوله : لئن رجعنا إلى المدينة . فأكذ به عبدالله بن أبى وحلف ، فأنزل الله تصديق زيد بن أرقم فتبادر أبو بكر وعمر إلى زيد ليبشراه فسبق أبو بكر ، فأقسم عمر أن لا يبادره بعدها إلى شىء ، وجاء النبى صلى الله عليه وسلم فأخذ بأذن زيد وقال : « وفت أذنك يا غلام »

١- سورة الأحزاب: الآية ١٣

٢- قال السهيلى : كان من قصة الدرعين وقصة بشير أن بنى أبيرق ، وهم ثلاثة : بشير ومبشر وبشر ، نقبوا مشربة ، أونقبها بشير وحده على ما قال ابن إسحق ، وكانت المشربة لرفاعة بن زيد ، وسرقوا أدراعاً له وطعاماً ، فعثر على ذلك ، فجاء ابن أخيه قتادة بن النعمان يشكوهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء أسيد بن عروة بن أبيرق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إن هؤلاء عمدوا إلى أهل بيت هم أهل صلاح ودين فأنبوهم بالسرقة ورموهم بها من غير بينة ، وجعل يجادل عنهم حتى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتادة ، ورفاعة ، فأنزل الله تعالى « ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم » وأنزل الله عز وجل : « ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئاً » وكان البرىء الذى رموه بالسرقة لبيد بن سهل . قالوا : ماسرقناه وإنما سرقة لبيد بن سهل فبرأه الله ، فلما أنزل الله فيهم ما أنزل ، هرب ابن أبيرق السارق إلى مكة ، ونزل على سلافة بنت سعد بن شهيد ، قال فيها حسان بن ثابت أبياتاً يعرض فيه بها ، فقالت : إنما أهديت لى شعر حسان ، وأخذت رحله وطرحته خارج الدار ، قالت : جعلت وسلقت وخرقت إن بت فى منزلى ليلة ، فهرب إلى خيبر ، ثم إنه نقب بيتاً ذات ليلة فسقط الحائط عليه فمات .

٣- سورة النساء : ١٠٧ ٤- قال ابن إسحق : فلما كان يوم أحد قاتل قتالاً شديداً حتى قتل بضعة نفر من المشركين فأثبتته الجراحات فحمل إلى دار بنى ظفر ، فقال له رجال من المسلمين : أبشر يا قزمان فقد أبليت اليوم ، وقد أصابك ما ترى فى الله ، قال : بماذا أبشر ؟ فوالله ما قاتلت إلا حمية عن قومى ، فلما اشتدت به جراحاته وآذته أخذ سهماً من كنانته فقطع به رواهش يده - عصب ظاهر اليد - فقتل نفسه .

٥- أنزل الله تعالى فيه : « ومنهم من يقول إئذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا ، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين » التوبة : الآية ٤٩ .

ووديعة ، وسويد ، وداعس و هم رهط ابن سلول ، وهم وعبدالله بن أبى الذين كانوا يدسون إلى بنى النضير حين حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن أثبتوا فوالله لئن أخرجتم لنخرجن معكم «١» . القصة .
وكان النفاق فى الشيوخ ولم يكن فى الشباب إلا فى واحد وهو قيس بن عمرو بن سهل .
رجع إلى بن إسحق : فكان ممن تعوذ بالإسلام وأظهره وهو منافق من أحبار يهود من بنى قينقاع : سعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت ، ونعمان بن أوفى بن عمرو ، وعثمان ابن أوفى .
وزيد بن اللصيت هو الذى قال حين ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ، وهو لا يدرى أين ناقته ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاءه الخبر بما قال عدو الله - : « إن قائلاً قال يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ولا يدرى أين ناقته ، وإنى والله ما أعلم إلا ما علمنى ربى وقد دلنى الله عليها وهى فى هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها » فذهب رجال من المسلمين ، فوجدوها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما وصف .
ورافع بن حريملة ، وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات : « قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين » .
ورفاعه بن زيد بن الثابوت ، وهو الذى اشتدت الريح يوم موته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قافل من غزوة بنى المصطلق : إنها هبت لموت عظيم من عظماء الكفار .
وسلسلة بن برهام ، وكنانة بن صوريا . وكان هؤلاء يحضرون المسجد فيسخرون من المسلمين ، فأمر صلى الله عليه وسلم بإخراجهم منه ففيهم نزل صدر سورة البقرة إلى المائة منها .
قال ابن إسحق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر فيما حدثنى مولى لآل زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنهما :
(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب موسى وأخيه والمصدق لما جاء به موسى ، ألا إن الله تعالى قد قال لكم : يا معشر يهود أهل التوراة ، وإنكم تجدون ذلك فى كتابكم « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر

١- أنزل الله تعالى فيهم : « ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون » ثم القصة من السورة حتى انتهى إلى قوله: « فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين » سورة الحشر : الآيات ١١ - ١٧ .

السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه «١» فآزره «٢» فاستغلظ «٣» فاستوى «٤» على سوقه «٥» يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم «٦» مغفرة وأجراً عظيما «٧») .

وإنى أنشدكم بالله ، وأنشدكم بما أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذى أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى ، وأنشدكم بالذى أيبس البحر لآبائكم حتى أنجاهم من فرعون وعمله ألا أخبرتمونا هل تجدون فيما أنزل عليكم أن تؤمنوا بمحمد ، فإن كنتم لا تجدون ذلك فى كتابكم فلا كره عليكم قد تبين الرشد من الغى ، فأدعوكم إلى الله وإلى نبيه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ، ونحن أهل شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث وتصفونه لنابصفته ، قال سلام بن مشكم أحد بنى النضير : ما جاءنا بشىء نعرفه ، ما هو بالذى كنا نذكره لكم ، فأنزل الله فى ذلك من قولهم (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين «٨») .

قال ابن إسحق : وقال مالك بن الضيف حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر لهم ما أخذ الله عليهم له من الميثاق وما عهد الله إليهم فيه : والله ما عهد إلينا فى محمد عهد ، وما أخذ له علينا ميثاق ، فأنزل الله فيه (أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون «٩») .

وقال ابن صلوبا الفطيونى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، ما جئتنا بشىء نعرفه ، وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك بها ، فأنزل الله فى ذلك من قوله تعالى : (ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون «١٠») .

١- شطأه : قال الكسائى : يعنى طرفه الأعلى ، وفسره بأنه السنبل .
٢- فآزره : أى قواه ، والمراد : قوى الزرع سنابله بما يغذيها به لجودته .
٣- استغلظ : أى صار هذا السنبل غليظاً ، بعد أن كان ضعيفاً .
٤- استوى : أى استقر ، ولم تذهبه الآفات .
٥- سوقه : أى سيقانه .
٦- منهم : « من » لبيان الجنس . أى الذين آمنوا من جنس هؤلاء .
٧- سورة الفتح : الآية ٢٩ .
٨- سورة البقرة : الآية ٨٩ .
٩- سورة البقرة : الآية ١٠٠ .
١٠- سورة البقرة : الآية ٩٩

وقال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد إئتنا بكتاب تنزله من السماء نقرؤه وفجر لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك ، فأنزل الله فى ذلك : (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان «١» فقد ضل سواء السبيل «٢»).

وكان حيى بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسداً إذ خصهم الله برسوله الله صلى الله عليه وسلم فكانا جاهدين فى رد الناس عن الإسلام بما استطاعا فأنزل الله فيهما (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره إن الله على كل شىء قدير «٣») .

(وفد نصارى نجران واليهود)

ولما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم أحبار يهود فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رافع بن حريملة : ما أنتم على شىء ، وكفر بعيسى وبالإنجيل ، فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود : ما أنتم على شىء ، وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة ، فأنزل الله تعالى : (وقالت اليهود ليست النصارى على شىء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شىء وهم يتلون الكتاب «٤») وقال رافع بن حريملة : يا محمد ، إن كنت رسولاً من الله كما تقول فقل لله : فليكلمنا فأنزل الله : (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية «٥»).

وقال عبدالله بن صوريا الأعور : ما الهدى إلا ما نحن عليه ، فاتبعنا يا محمد تهتد ، وقالت النصارى مثل ذلك ، فأنزل الله تعالى : (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا «٦») الآية .

وسأل معاذ بن جبل ، وسعد بن معاذ ، وخارجة بن زيد نفراً من أحبار يهود عن بعض ما فى التوراة فكتموهم إياه ، فأنزل الله تعالى : (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى«٧») الآية .

ودعا عليه السلام اليهود إلى الإسلام ، فقال له رافع « بن خارجة » ومالك بن عوف : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فأنزل الله : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع

١- المراد يفضل الكفر على الإيمان .

٢- سورة البقرة : الآية ١٠٨ سواء السبيل : سواء الشىء وسطه ، والمراد الطريق البعيد عن العقبات .

٣- سورة البقرة : الآية ١٠٩ .

٤- سورة البقرة : الآية ١١٣ .

٥- سورة البقرة : الآية ١١٨ .

٦- سورة البقرة : الاية ١٣٥ .

٧- سورة البقرة : الاية ١٥٩ .

ما ألفينا عليه آباءنا «١») ولما أصاب الله قريشاً يوم بدر جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فى سوق بنى قينقاع حين قدم المدينة فقال : يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب به قريشاً ، فقالوا له : يا محمد ، لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا فأنزل الله : (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد «٢») الآية والتى بعدها .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس «٣» على جماعة من يهود فدعاهم إلى الله ، فقال له النعمان بن عمرو والحارث بن زيد : وعلى أى دين أنت يا محمد ؟ قال : على ملة إبراهيم ودينه ، قالا : فإن إبراهيم كان يهودياً ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فهلم إلى التوراة فهى بيننا وبينكم » ، فأبيا عليه فأنزل الله : (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون «٤») وقال أحبار يهود ما كان إبراهيم إلا يهودياً ، وقالت نصارى نجران : ما كان إلا نصرانياً ، فأنزل الله : « يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم الآيات إلى (والله ولى المؤمنين «٥») وقال عبدالله بن ضيف وعدى بن زيد ، والحرث بن عوف بعضهم لبعض : تعالوا نؤمن بما أنزل الله على محمد غدوة ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع فيرجعون عن دينهم فأنزل الله (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) إلى قوله : (والله واسع عليم «٦») .

وقال أبو نافع القرظى حين إجتمعت الأحبار من يهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإسلام : أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم ؟ وقال رجل من نصارى نجران مثله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معاذ الله أن يعبد غير الله فأنزل الله تعالى : (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله «٧») الآية ثم ذكر ما أخذ عليهم من الميثاق بتصديقه فقال : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم

١- سورة البقرة : الاية ١٧٠ .

٢- سورة آل عمران : الآية ١٢ .

٣- بيت المدراس : هو بيت عبادة اليهود ، سمى بذلك لأنهم يتدارسون فيه كتبهم .

٤- سورة آل عمران : الآيتان ٢٣ - ٢٤

٥- سورة آل عمران : الايات ٦٥ - ٦٨

٦- سورة آل عمران : الآيات ٧١ - ٧٣ .

٧- سورة آل عمران : الايات ٧٩ - ٨١ .

من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه » إلى آخر القصة
ومر شاس بن قيس وكان شيخاً قد عسا «١» عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين
شديد الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس
والخزرج يتحدثون فغاظه ما رأى من إلفتهم وجماعتهم بعد ما كان بينهم من العداوة ،
فقال : قد إجتمع ملأبني قيلة «٢» بهذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم إذا إجتمعوا من
قرار ، فأمر فتى شاباً من يهود كان معه فقال : إعمد إليهم فإجلس معهم ثم أذكر يوم
بعاث «٣» وما كان فيه وأنشدهم بعض ما كانوا يتقاولون فيه من الأشعار ، ففعل فتكلم
القوم عند ذلك ، وتنازعوا حتى تواثب رجلان على الركب : أوس بن قيظي من الأوس ،
وجبار بن صخر من الخزرج فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رددتها الآن
جذعة ، وغضب الفريقان جميعاً ، وقالوا : قد فعلنا موعدكم الظاهرة – والظاهرة الحرة
السلاح السلاح فخرجوا . وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن
معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال : « يا معشر المسلمين الله الله ،
أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به وقطع به
عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم من الكفر وألف به بينكم » فعرف القوم أنها نزغة من
الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فبكوا ، وعانق الرجال من الأوس الرجال من الخزرج ثم
انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله في شاس بن قيس : (قل يا
أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً «٤») الآية ، وفي أوس « بن
قيظي » وجبار « بن صخر » (يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب
يردوكم بعد إيمانكم كافرين » إلى قوله : « وأولئك لهم عذاب عظيم «٥») .
وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من يهود لما كان بينهم من الجوار ، فأنزل الله
تعالى : (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة «٦» من دونكم لا يألونكم خبالاً «٧» إلى (عليم
بذات الصدور «٨»)
ودخل أبو بكر بيت المدراس فقال لفنحاص : اتق الله وأسلم والله إنك لتعلم أن محمداً
لرسول الله ، فقال : والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر وإنه الينا لفقير ، فغضب أبو

١– عسا : اشتد وقوى ، يريد أنه تمكن في كفره فصعب إخراجه منه .
٢– الملأ : جماعة الناس ، ويقال : أشرافهم ، وقيلة : أم الأنصار .
٣– كان يوم بعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج .
٤– سورة آل عمران : الاية ٩٩ .
٥– سورة آل عمران : الآيات ١٠٠ – ١٠٥ .
٦– بطانة من دونكم : بطانة الرجل خاصته الذين يطلعون على باطنه وأسراره .
٧– لا يألونكم خبالا : يألون أي يقصرون . والخبال : الفساد ، والمعنى لا يقصرون بل يجتهدون في إفساد أمركم .
٨– سورة آل عمران : الآيتان ١١٨ – ١١٩ .

بكر وضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً وقال : لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك فشكاه فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر له أبو بكر ما كان منه فأنكر قوله ذلك ، فأنزل الله تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء «١») الآية . وأنزل فى أبى بكر : (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً «٢») الآية .

وكان كردم بن قيس وأسامة بن حبيب فى نفر من يهود يأتون رجالاً من الأنصار يتنصحون لهم فيقولون لهم : لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر فأنزل الله فيهم « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله » أى التوراة التى فيها تصديق ما جاء به محمد - « وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً «٣» .

وكان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء يهود إذا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لوى لسانه وقال : أرعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك ، ثم طعن فى الإسلام وعابه ، فأنزل الله فيه (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل) إلى (ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً «٤») .

وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساء من أحبار يهود منهم عبدالله بن صوريا الأعور وكعب بن أسد فقال لهم :(يا معشر يهود أتقوا الله وأسلموا فوالله إنكم لتعلمون أن الذى جئتكم به لحق) قالوا : ما نعرف ذلك فأنزل الله : (يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس «٥» وجوها «٦» فنردها على أدبارها «٧» أو نلعنهم «٨» كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا «٩») .

وقال سكين بن عدى بن زيد : يامحمد ، ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شىء بعد موسى ، فأنزل الله تعالى : « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده » إلى قوله « وكان الله عزيزاً حكيماً «١٠» .

١- سورة آل عمران : الآية ١٨١ .

٢- سورة آل عمران : الآية ١٨٦ .

٣- سورة النساء : الآية ٣٧ .

٤- سورة النساء : الآيات ٤٤ - ٤٦

٥- نطمس : الطمس إزالة الشىء أو إخفائه .

٦- وجوها : الوجه يطلق على وجه البدن المعروف ، ويطلق على وجه النفس أى مقصدها .

٧ - نردها على أدبارها : الرد على الأدبار قد يكون حسياً ، وقد يكون معنوياً ، وما هنا من الثانى أى نبطل مقاصدكم من الكيد للإسلام فتقتلكم الحسرة

٨- نلعنهم : اللعن هنا مراد به الإهلاك

٩- سورة النساء : الاية ٤٧

١٠- سورة النساء : الآيات ١٦٣ - ١٦٥ .

ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم فقال لهم : (أما والله إنكم لتعلمون أنى رسول الله) قالوا ما نعلمه ، وما نشهد عليه ، فأنزل الله تعالى « لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا «١») وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن أضا ، وبحرى بن عمرو ، وشاس بن عدى فكلموه ، وكلمهم ودعاهم إلى الله ، وحذرهم نقمته فقالوا : ما تخوفنا يا محمد ، نحن أبناء الله وأحباؤه كقول النصارى ، فأنزل الله تعالى فيهم « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه »، الآية «٢» ودعاهم إلى الإسلام مرة ، وحذرهم عقوبة الله ، فأبوا عليه ، فقال لهم معاذ بن جبل ، وسعد بن عبادة ، وعقبة بن وهب : يا معشر يهود اتقوا الله ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه بصفته ، فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهوذا : ما قلنا لكم هذا ، وما أنزل الله من كتاب بعد موسى وما أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما : (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل «٣» أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شىء قدير « ٤ »).

وإجتمع أحبارهم في بيت المدراس فأتوا برجل وامرأة زنيا بعد إحصانهما فقالوا : حكموا فيهما محمداً فإن حكم فيهما بحكمكم من التجبية ، « وهو الجلد بحبل من ليف يطلى بقار ، ثم تسود وجوههما ، ثم يحملان على حمارين ، وجوههما من قبل أدبار الحمارين » فإنما هو ملك ، وإن حكم فيهما بالرجم فهو نبى فاحذروه على ما فى أيديكم أن يسلبكموه ، ففعلوا ، فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى بيت المدراس فقال لهم : (أخرجوا إلى علمائكم) ، فأخرجوا له عبدالله بن صوريا «٥» فخلا به يناشده (هل تعلم أن الله حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم فى التوراة) قال : اللهم نعم ، أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك نبى مرسل ، ولكنهم يحسدونك ، قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بهما فرجما عند باب مسجده ، ثم جحد بن صوريا بعد ذلك نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : (يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر «٦» من الذين قالوا آمنا «٧» بأفواههم ولم

١- سورة النساء : الآية ١٦٦ .

٢- سورة المائدة : الآية ١٨ .

٣- على فترة من الرسل : المراد على حين فتور ، أى انقطاع وجود أحد من الرسل .

٤- سورة المائدة : الآية ١٩

٥- قال ابن إسحق : أنهم قد أخرجوا إليه يومئذ مع ابن صوريا أبا ياسر بن أخطب ووهب بن يهوذا ، فقالوا هؤلاء علماؤنا

٦- يسارعون فى الكفر : المراد يسارعون للوقوع فى أسبابه .

٧- الذين قالوا آمنا : هم المنافقون .

تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا «١» سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك «٢») الآية . وفي بعض طرق هذا الحديث أن حبراً منهم جلس يتلو التوراة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوضع يده على آية الرجم فضرب عبدالله بن سلام يده ، وقال : هذه آية الرجم أبى أن يتلوها عليك – الحديث .

وقال كعب بن أسد وابن صلوبا و« عبدالله » بن صوريا ، وشاس بن قيس بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى محمد ، لعلنا نفتنه عن دينه ، فإنما هو بشر فأتوه ، فقالوا : قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وأنا إن تبعناك اتبعك يهود ، ولم يخالفونا وأن بيننا وبين بعض قومنا خصومة ، فنحاكمهم إليك فتقضى لنا عليهم ونؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم » إلى قوله : « ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون «٣») وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال : « آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون «٤»)

فلما ذكر عيسى ابن مريم جحدوا نبوته ، وقالوا : لا نؤمن بعيسى ابن مريم ولانؤمن بمن آمن به فأنزل الله تعالى : (قل يأهل الكتاب هل تنقمون «٥» منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون «٦»).

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة ، وسلام بن مشكم ، ومالك ابن الضيف ، ورافع بن حريملة فقالوا : يا محمد ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ، وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد أنها من الله حق ؟ قال : بلى ، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس ، فبرئت من إحداثكم . قالوا : فإنا نأخذ بما فى أيدينا ، فإنا على الهدى والحق ، ولا نؤمن بك ولا نتبعك ، فأنزل الله تعالى (قل يأهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من «٧» ربكم) الآية .

كان رفاعة بن زيد بن التابوت ، وسويد بن الحارث ، قد أظهرا الإسلام ونافقا ، فكان رجال من المسلمين يوادونهما فأنزل الله تعالى « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء «٨» واتقوا الله

١- الذين هادوا : هم اليهود .
٢- سورة المائدة : الآية ٤١ .
٣- سورة المائدة : الآيتان ٤٩ – ٥٠
٤ – سورة البقرة : الآية ١٣٦
٥- تنقمون منا : أى تكرهون منا ، تعيبون علينا .
٦- سورة المائدة : الآية ٥٩ .
٧- سورة المائدة : الآية ٦٨
٨- أولياء : أى أصدقاء متناصرين تربطكم بهم مودة .

إن كنتم مؤمنين » إلى قوله (والله أعلم بما كانوا يكتمون «١»)

وقال جبل بن أبى قيشير ، وشمويل بن زيد : يا محمد ، متى الساعة إن كنت نبياً ؟ فأنزل الله تعالى : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها «٢» قل إنما علمها عند ربى «٣») الآية .

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سلام بن مشكم ، ونعمان بن أوفى ، ومحمود ابن دحية فى نفر منهم ، فقالوا : كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله ، فأنزل الله تعالى :(وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم «٤»)

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، محمود بن سيحان ، وعزير بن أبى عزير فى جماعة منهم فقالوا : إنا لا نرى ما جئت به متسقاً كما تتسق التوراة أما يعلمك هذا إنس ولا جن ، فقال لهم :(أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله وأنى رسول الله تجدون ذلك مكتوباً عندكم فى التوراة) ، قالوا : فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء فأنزل علينا كتاباً من السماء نقرؤه ، ونعرفه ، وإلا جئناك بمثل ما تأتى به فأنزل الله تعالى : (قل لئن إجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا «٥»)

وقال قوم منهم لعبد الله بن سلام حين أسلم ما تكون النبوة فى العرب ، ولكن صاحبك ملك متقول ، ثم جاءوا فسألوه عن ذى القرنين فقص عليهم ما جاءه من الله فيه مما كان قص على قريش ، وهم كانوا ممن أمر قريشاً أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه حين بعثوا إليهم النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط «٦» وأتى رهط منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد ، هذا الله خلق الخلق ، فمن خلقه ؟ فغضب حتى انتقع لونه «٧» ثم ساورهم «٨» غضباً لربه فجاءه جبريل فسكنه ، وأنزل عليه .

« قل هو الله أحد » السورة ، فلما تلاها عليهم ، قالوا : فصف لنا كيف خلقه ؟ وكيف ذراعه ؟ وكيف عضده ؟ فغضب أشد من غضبه الأول فأتاه جبريل من الله تعالى بقوله تعالى : (وما قدروا «٩» الله حق قدره «١٠») الآية .

١- سورة المائدة : الآيات ٥٧ - ٦١ .

٢- الساعة : المراد بها هنا القيامة . وأيان : أى متى مرساها : أصله مصدر معناه الإرساء . أى الإثبات يقال رسا الشىء يرسو . أى ثبت واستقر ، وأرساه غيره : أثبته والمراد هنا حصولها ، ووقوعها .

٣- سورة الأعراف : الآية ١٨٧ .

٤- سورة التوبة : الآية ٣٠ .

٥- سورة الإسراء : الآية ٨٨ . ظهيراً : مأخوذ من قولهم « تظاهر القوم على الشىء » أى تعاونوا عليه يعنى معيناً .

٦- انظر ص ١٠٧ من هذا الكتاب .

٧- انتقع لونه : بالبناء للمجهول ، وبالنون وتقال بالميم - تغير

٨- ساورهم : واثبهم وباطشهم .

٩- ما قدروا الله حق قدره : المراد : ما عرفوا الله حق المعرفة .

١٠- سورة الزمر : الآية ٦٧ .

وكان الذين حزبوا الأحزاب من قريش غطفان وبنى قريظة : حيي بن خطب ، وسلام ابن أبى الحقيق ، وأبو رافع ، والربيع بن الربيع بن أبى الحقيق ، وأبو عمار ، ووحوح ابن عامر ، وهوذة بن قيس ، فأما وحوح وأبو عمار وهوذة فمن بنى وائلة ، سائرهم من بنى النضير ، فلما قدموا على قريش قالوا : هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتاب الأول ، فسلوهم أدينكم خير أم دين محمد ، فسألوهم ، فقالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدى منه وممن اتبعه ، فأنزل الله تعالى فيهم : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا (١) من الكتاب (٢) يؤمنون بالجبت والطاغوت (٣) ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً » إلى قوله « ملكاً عظيماً (٤) »

(وفد نصارى نجران)

قال ابن إسحق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران ستون راكباً فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم ، فى الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم : العاقب أمير القوم ، وذو رأيهم واسمه عبدالمسيح ، والسيد ثمالهم (٥) وصاحب رحلهم واسمه الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل أسقفهم (٦) وحبرهم وإمامهم ، فكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه فى دينهم ، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه ، وبنوا له الكنائس ، فبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده فى دينهم ، فلما وجهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران جلس أبو حارثة على بغلة له موجهاً إلى جنبه أخ له يقال له كوز (٧) بن علقمة ، فعثرت بغلة أبى حارثة ، فقال كوز : تعس الأبعد ، يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له أبو حارثة : بل أنت تعست ، قال : ولم يا أخى ؟ قال : والله إنه للنبى الذى كنا ننتظر ، فقال له كوز : فما يمنعك منه وأنت تعلم هذا ؟ قال : ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا ومولونا وأكرمونا وقد أبوا إلا خلافه ، فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى ، فأضمر عليها منه أخوه كوز ابن علقمة حتى أسلم بعد ذلك ، فهو كان يحدث عنه هذا الحديث فيما بلغنى .

١- الذين أوتوا نصيباً : أحبار اليهود أى علمائهم .

٢- الكتاب : التوراة .

٣- الجبت : كل ما خضع له الناس من دون الله من شيطان أو ساحر أو كاهن ، والطاغوت : هو كل ما تكون طاعته سبباً لزيادة طغيانه وبعده عن الصواب سواء أكان مخلوقا يعبد ، أم رئيسا جباراً يطاع فى الشر خوفاً من بطشه ، أم شيطاناً يضل عن الصواب والطاغوت يطلق على الواحد والمتعدد . فيقال . رجل طاغوت أى طاغية ، ورجال طاغوت أى طاغون .

٤- سورة النساء الايات ٥١ - ٥٤ .

٥- ثمالهم : ثمال القوم : هو أصلهم الذى يرجعون إليه ويقوم بأمورهم شؤونهم

٦- أسقفهم : الأسقف رئيس من رؤساء النصاري فى الدين .

٧- فى ابن إسحق : كور بن علقمة .

ودخلوا على النبى صلى الله عليه وسلم مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات : جبب وأردية فى جمال رجال بنى الحرث بن كعب ، قال : يقول بعض من رآهم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ : ما رأينا وفداً مثلهم ، وقد حانت صلاتهم ، فقاموا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(دعوهم) ، فصلوا إلى المشرق . وكان تسمية الأربعة عشر : السيد (وهو الأيهم) ، والعاقب (وهو عبد المسيح) وأبو حارثة (بن علقمة) وأوس ، والحرث ، وزيد ، وقيس ، ويزيد ، ونبيه ، وخويلد ، وعمرو ، وخالد ، وعبدالله ، ويحنس ، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم : أبو حارثة ، والعاقب ، والأيهم وهم من النصرانية على دين الملك مع أختلاف فى أمرهم يقولون : هو الله . ويقولون : هو ولد الله ، ويقولون : هو ثالث ثلاثة ، وكذلك قول النصرانية ، فهم يحتجون فى قولهم (هو الله) بأنه كان يحيى الموتى ، ويبرىء الأسقام ، ويخبر بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طائراً ، وذلك كله بأمر الله تبارك وتعالى ، وليجعله آية للناس ويحتجون فى قولهم (إنه ولد الله) بأنهم يقولون : لم يكن له أب يعلم ، وقد تكلم فى المهد ، وهذا لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله ، ويحتجون فى قولهم (إنه ثالث ثلاثة) بقول الله : فعلنا وأمرنا ، وخلقنا وقضينا ، فيقولون : لو كان واحدا ما قال إلا فعلت ، وقضيت ، وأمرت ، وخلقت ، ولكنه هو وعيسى ومريم ، ففى كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن ، فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله صلي الله عليه وسلم : (أسلما)، قالا : قد أسلمنا ، قال : « إنكما لم تسلما » ، قالا : بلى قد أسلمنا قبلك . قال : « كذبتما يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً ، وعبادتكما الصليب ، وأكلكما الخنزير » . قالا : فمن أبوه يا محمد ؟ فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يجبهما ، فأنزل الله تعالى صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها .فلما آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله عنه والفصل من القضاء بينه وبينهم ، وأمربما أمر من ملاعنتهم إن ردوا ذلك عليه ، دعاهم إلى ذلك ، فقالوا : يا أبا القاسم ، دعنا ننظر فى أمرنا ثم نأتيك بما تريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه ، فانصرفوا عنه ، ثم خلوا بالعاقب – وكان ذا رأيهم ـ فقالوا : يا عبد المسيح ، ما ترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبى مرسل ، ولقد جاءكم من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم مالاعن قوم نبياً قط فبقى كبيرهم ، ولانبت صغيرهم ، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل ، ثم انصرفوا إلى بلادكم .

فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا أبا القاسم ، قد رأينا أن لا نلاعنك ، وأن نتركك على دينك ، ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا

يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رضاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتونى العشية ابعث معكم القوى الأمين ، فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : ما أحببت الإمارة قط حبى إياها يومئذ ، رجاء أن أكون صاحبها ، فرحت إلى الظهر مهجراً ، فلما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر سلم ثم نظر عن يمينه ويساره ، فجعلت أتطاول له ليرانى ، فلم يزل يلتمس ببصره حتي رأى أبا عبيدة بن الجراح ، فدعاه ، فقال : أخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه . قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة رضى الله عنه .

خبر عبدالله بن أبى بن سلول وأبى عامر الفاسق ويقال له الراهب

قال ابن إسحق : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كما حدثنى عاصم بن عمر ابن قتادة - وسيد أهلها عبد الله بن أبى بن سلول لايختلف عليه فى شرفه من قومه اثنان ، لم يجتمع الأوس والخزرج قبله ولابعده على رجل من أحد الفريقين حتى جاء الإسلام غيره ، ومعه فى الأوس رجل هو فى قومه من الأوس شريف مطاع : أبو عامر عبد عمرو بن صيفى بن النعمان أحد بنى ضبيعة بن زيد ، وهو أبو حنظلة الغسيل يوم أحد [1] ، وكان قد ترهب فى الجاهلية ، ولبس المسوح ، وكان يقال له الراهب ، فشقيا بشرفهما وضرهما .

أما ابن أبىّ فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم ، فجاءهم الله برسوله وهم على ذلك ، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضغن [2] ، ورأى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استلبه ملكا عظيماً ، فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارهاً مصراً على نفاق ، وأما أبو عامر فأبى إلا الكفر والفراق لقومه ، حين إجتمعوا على الإسلام ، فخرج منهم إلى مكة ببضعة عشر رجلا مفارقاً للإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتقولوا الراهب ولكن قولوا الفاسق .

وكان قد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل أن يخرج إلى مكة ما هذا الذى جئت به ؟ قال : (جئت بالحنيفية دين إبراهيم عليه السلام) قال : فأنا عليها ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنك لست عليها) ، قال : بلى إنك أدخلت يا محمد فى الحنيفية ما ليس منها قال : (ما فعلت ولكنى جئت بها بيضاء نقية) قال الكاذب أماته

١- حنظلة بن أبى عامر من سادات المسلمين وفضلائهم ، وهو المعروف بغسيل الملائكة ، وإنما قيل له ذلك كما قال ابن إسحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن صاحبكم لتغسله الملائكة - يعني حنظلة -فسألوا أهله : ما شأنه ؟ فسئلت صاحبته فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهائعة - الصيحة التى فيها الفزع - فقال الرسول الكريم لذلك غسلته الملائكة وكفى بهذا شرفاً ومنزلة عند الله تعالى .(أسد الغابة ٢ / ٦٦) .

٢- ضغن : امتلأ قلبه حقداً وعداوة ، وأصرعليها .

الله طريداً غريباً وحيداً ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم ، « أجل » . فكان هو ذلك خرج إلى مكة فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، خرج إلى الطائف ، فلما أسلم أهل الطائف خرج إلى الشام فمات بها طريداً غريباً وحيداً .

جماع أبواب مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعوثه وسراياه .

ولما أذن الله عز وجل لنبيه فى القتال كانت أول آية نزلت فى ذلك [أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير «١»] .

كما روينا من طريق ابن عروبة ثنا سلمة ثنا عبد الرزاق قال : أنا الثورى ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان يقرأ : [أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا] قال : وهى أول آية نزلت فى القتال .

وروينا عن ابن عائذ قال : أخبرنا الوليد بن محمد ، عن محمد بن مسلم الزهرى قال : كان أول آية نزلت فى القتال قوله عز وجل : [أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا «٢» وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس «٣» بعضهم ببعض لهدمت صوامع «٤» وبيع «٥» وصلوات «٦» ومساجد يذكر فيها أسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز «٧»]

قرىء على أبى محمد عبد العزيز بن عبد المنعم الحرانى وأنا أسمع ، أخبركم أبو على ابن أبي القاسم بن الخريف حضوراً فى الخامسة ، قال : أنا أبو بكر محمد بن عبد الباقى بن محمد الأ نصارى ، قال : أنا أبو الحسن على بن إبراهيم الباقلانى ، قال : أنا أبو بكر أحمد بن جعفر القطعى ، قال : أنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله البصرى ، قال حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد ، عن ابن عجلان ، عن المقبرى ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١- سورة الحج : الآية ٣٩ .

٢- أى أذن الله للذين يعتدى عليهم غيرهم أن يدافعوا عن أنفسهم ولو بالقتال ، بسبب أنه ظلمهم هذا المعتدى .

٣- أى ولولا أن الله يسخر للقوى المعتدى من هو أقوى منه لطغى فى الأرض ، وعم شره ، حتى ضرب بيوت العبادة .

٤- صوامع : مفردها صومعة وهى معبد الرهبان فى الصحراء المسمى الآن بالدير .

٥- بيع : جمع بيعة بكسر أوله ، وسكون ثانيه ، وهى معبد النصارى غير الرهبان ، وتسمى الآن بالكنيسة .

٦- صلوات : جمع صلاة . أصلها بالعبرية « صلوتا » وهى معبد اليهود .

٧- سورة الحج ٣٩ -٤٠

(أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى)

ذكر الخبر عن عدد مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعوثه

روينا عن ابن سعد قال : أنا محمد بن عمر واقد الأسلمى ثنا عمر بن عثمان ابن عبدالرحمن بن سعيد بن يربوع المخزومى ، وموسى بن محمد بن إبراهيم بن الحرث التيمى ، ومحمد بن عبدالله بن مسلم ابن أخى الزهرى ، وموسى بن يعقوب بن عبدالله ابن وهب بن زمعة بن الأسود ، وعبدالله بن جعفر بن عبدالرحمن بن المسور بن مخرمة الزهرى ، ويحيى بن عبدالله بن أبى قتادة الأنصارى ، وربيعة بن عثمان بن عبد الله بن الهدير التيمى ، وإسماعيل بن إبراهيم بن أبى حبيبة الأشهلى ، وعبدالحميد بن جعفر الحكمى ، وعبدالرحمن بن أبى الزناد ، ومحمد بن صالح التمار ، وقال ابن سعد ، وأنا رويم بن يزيد المقرىء ثنا هارون بن أبى عيسى ، عن محمد بن إسحق ، قال وأنا حسين بن محمد بن أبى معشر قال : وأنا إسماعيل بن عبد الله بن أبى أويس المدنى ، عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمه موسى بن عقبة ، دخل حديث بعضهم فى حديث بعض قالوا : كان عدد مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم التى غزا بنفسه سبعاً وعشرين ، وكانت سراياه التى بعث فيها سبعاً وأربعين سرية .

وكان ماقاتل فيه من المغازى تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والمريسيع ، والخندق ، وقريظة ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين ، والطائف ، فهذا ما اجتمع لنا عليه ، وفى بعض رواياتهم أنه قاتل فى بنى النضير ، ولكن الله جعلها له نفلاً خاصة ، وقاتل فى غزاة وادى القرى منصرفه من خيبر ، وقتل بعض أصحابه ، وقاتل فى الغابة .

فأول مغازيه صلى الله عليه وسلم بنفسه .

غزوة ودان

روينا عن أبى عروبة ثنا سليمان بن سيف ثنا سعيد بن بريع ثنا محمد بن إسحق قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفر غازياً على رأس إثنى عشر شهراً من مقدمه المدينة لإثنتى عشرة ليلة مضت من شهر صفر حتى بلغ ودان «١» ، وكان يريد قريشاً وبنى ضمرة وهى غزوة الأبواء ، ثم رجع إلى المدينة ، وكان استعمل عليها سعد ابن عبادة فيما ذكره ابن هشام ، قال ابن إسحق : فوادعته «٢» فيها بنو ضمرة ،

١- ودان : قرية من نواحى الفرع على الطريق من المدينة إلى مكة ، ومثلها الأبواء . وبالأبواء قبر السيدة آمنة بنت وهب أم النبى «ص» .

٢- وادع : صالح .

الذى وادعه منهم عليهم مخشى بن عمرو الضمرى وكان سيدهم فى زمانه ذلك ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيداً [1].

بعث حمزة وعبيدة بن الحرث

روينا عن ابن إسحق قال : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بها بقية صفر وصدراً من شهر ربيع الأول ، وبعث فى مقدمه ذلك عبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف فى ستين أوثمانين راكباً من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة ، فلقى بها جمعاً عظيماً من قريش ، فلم يكن بينهم قتال إلا أن سعد بن أبى وقاص قد رمى يومئذ بسهم فكان أول سهم رمى به فى الإسلام ، ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية .

وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو ، وعتبة بن غزوان ، وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار ، وكان على القوم عكرمة بن أبى جهل وقال ابن هشام : مكرز بن حفص بن الأخيف .

قال ابن إسحق : فكانت راية عبيدة فيما بلغنا أول راية عقدت فى الإسلام ، وبعض العلماء يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصل إلى المدينة ، وبعث فى مقامه ذلك حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم إلى سيف [2] البحر من ناحية العيص [3] فى ثلاثين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد ، فلقى أبا جهل بن هشام فى ذلك الساحل فى ثلاثمائة راكب ، فحجز بينهم مجدى ابن عمرو الجهنى ، وكان موادعاً للفريقين جميعاً ، فانصرف بعض القوم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال .

فقال : وبعض الناس يقول : كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كانا معاً فشبه ذلك على الناس .

وروينا عن موسى بن عقبة أن أول البعوث بعث حمزة فى ثلاثين راكباً ، فلقوا أبا جهل فى ثلاثين ومائة راكب من المشركين ، ثم كانت الأبواء على رأس اثنى عشر شهراً ، ثم بعث عبيدة فلقوا بعثاً عظيماً من المشركين على ماء يدعى الاحياء من رابغ ، قال : وهو أول يوم التقى فيه المسلمون والمشركون فى قتال . وروينا عن ابن عائذ ، عن الوليد ، عن ابن لهيعة ، عن أبى الأسود ، عن عروة أن راية حمزة هى الأولى . وروينا عنه أيضاً عن محمد بن شعيب ، عن عثمان بن عطاء الخراسانى ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ذكر بعث عبيدة ثم بعث حمزة بنحو ما ذكر ابن إسحق .

١- لم يلق كيداً : يريد أنه لم يلق حرباً ، ولم يخرج لقتاله أحد .

٢- سيف البحر : ساحل البحر .

٣- العيص : موضع بساحل البحر فى ناحية ذى المروة .

وروينا عن ابن سعد أن أول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمزة بن عبد المطلب فى شهر رمضان ، على رأس سبعة أشهر ، لواء أبيض ، وكان الذى حمله أبو مرثد كناز بن الحصين الغنوى فى ثلاثين راكباً من المهاجرين .
قال : ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً من الأنصار مبعثاً حتى غزا بهم بدراً ، وذلك أنهم شرطوا له أنهم يمنعونه فى دارهم .
وخرج حمزة يعرض لعير «١» قريش قد جاءت من الشام تريد مكة ، وفيها أبو جهل ابن هشام فى ثلاثمائة رجل ، ثم سرية عبيدة فى ستين من المهاجرين إلى بطن رابغ فى شوال على رأس ثمانية أشهر ، عقد له لواء أبيض ، حمله مسطح بن أثاثة ، فلقى أبا سفيان بن حرب فى مائتين من أصحابه على ماء يقال له أحياء .
وقال أبو عمر : أبنى من بطن رابغ على عشرة أميال من الجحفة ، وأنت تريد قديداً عن يسار الطريق ، وإنما نكبوا الطريق ليرعوا ركابهم .

سرية سعد بن أبى وقاص

إلى الخرار «٢» فى ذى القعدة على رأس تسعة أشهر ، عقد له لواء أبيض حمله المقداد بن عمرو وبعثه فى خمسين ومائة ، ويقال فى مائتين من قريش من المهاجرين ممن انتدب ولم يكره أحداً على الخروج ، وخرجوا على ثلاثين بعيراً يعتقبونها ، وخرج يعترض لعير قريش حين أبدأت إلى الشام ، فكان قد جاءه الخبر بقفولها من مكة فيها أموال قريش فبلغ ذا العشيرة ، وهى لبنى مدلج بناحية الينبع ، وبين ينبع والمدينة تسعة برد ، فوجد العير التى قد خرج إليها قد مضت قبل ذلك بأيام

غزوة بواط

قال ابن إسحق : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأول يريد قريشاً حتى بلغ بواط «٣» من ناحية رضوى «٤» ، ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كيداً .
واستعمل على المدينة السائب بن مظعون ، فيما ذكر ابن هشام ، وحمل اللواء ، وكان أبيض سعد بن أبى وقاص كما ذكر ابن سعد ، وقال : وخرج فى مائتين من أصحابه يعرض لعير قريش فيها أمية بن خلف الجمحى ، ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير .

١- العير : القافلة وهى الأبل والدواب تحمل الطعام وغيره من التجارات .
٢- الخرار : من الأودية بين المدينة ومكة .
٣- بواط : المشهور أنه بضم الباء الموحدة وفتح الواو ومخففة وبعد الألف طاء مهملة ، وهى من جبال جهينة قرب ينبع .
٤- رضوى : بفتح فسكون ، قال الزرقانى : جبل بالمدينة ، وفى خلاصة الوفاء رضوى جبل على يوم من ينبع وأربعة أيام من المدينة

غزوة العشيرة

قال ابن إسحق : فى أثناء جمادى الأولى يعنى من السنة الثانية ، ثم غزا قريشاً حتى نزل العشيرة من بطن ينبع فأقام بها جمادى الأولى وليالى من جمادى الآخره ، ووادع فيها بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة «١» ، وفيها كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً أبا تراب «٢» حين وجده نائماً هو وعمار بن ياسر ، وقد علق به تراب فأيقظه عليه السلام برجله ، وقال له : « مالك أبا تراب » لما يري عليه من التراب ، ثم قال : (ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين) قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : (أحيمر ثمود الذى عقر الناقة ، والذى يضربك يا على على هذه) ووضع يده على قرنه « حتى يبل منها هذه » وأخذ بلحيته .

واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ، فيما ذكر ابن هشام .

وذكر ابن سعد : أنها كانت فى جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهراً ، وحمل لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها حمزة بن عبد المطلب وكان أبيض . وخرج فى خسمين ومائة ، ويقال فى مائتين من المهاجرين ممن انتدب ، ولم يكره أحداً على الخروج ، وخرجوا على ثلاثين بعيراً يعتقبونها ، خرج يعترض لعير قريش حين أبدأت إلى الشام ، وكان قد جاءه الخبر بقدومها من مكة فيها أموال قريش ، فبلغ ذا العشيرة ، وهى لبنى مدلج بناحية ينبع وبين ينبع والمدينة تسعة برد – فوجد العير التى خرج إليها قد مضت قبل ذلك بأيام ، وهى العير التى خرج إليها حين رجعت من الشام ، فكانت بسببها وقعة بدر الكبرى .

١- قال الزرقانى : « وتقدم فى ودان أنه وادع بنى ضمرة ، فلعلها تاكيد للأولى ، أو أن حلفاء بنى مدلج كانوا خارجين عن بنى ضمرة لأمر ما وبسببه حالفوا بنى مدلج .

وقد ذكر السهيلى صورة الكتاب الذى كتبه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب محمد رسول الله لبنى ضمرة بأنهم آمنون على أنفسهم ، وأن لهم النصر على من رامهم ، وألا يحاربوا فى دين الله مابل بحر صوفة ، وأن النبى إذا دعاهم لنصر أجابوه عليهم بذلك ذمة الله ورسوله » .

٢- قال الزرقانى : « روى ابن إسحق وأحمد من طريقه عن عمار أن النبى كنى علياً أبا تراب حين نام هو وعمار فى نخل لبنى مدلج مجتمع ولصق بهما التراب ، ويعارضه ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد ، قال : جاء رسول الله «ص» بيت فاطمة فلم يجد علياً فقال لها : أين ابن عمك ؟ قالت : كان بينى وبينه شىء فغاضبنى فخرج فلم يقل عندى ، فقال رسول الله «ص» لإنسان : انظر أين هو ؟ فجاء فقال : يا رسول الله ، هو فى المسجد راقد ، فجاء صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب ، فجعل صلى الله عليه وسلم يمسحه عنه ويقول : قم أبا تراب ، وفى رواية اجلس أبا تراب ، مرتين .

وقال السهيلى : ما فى الصحيح أصح إلا أن يكون كناه بها مرة فى هذه الغزوة ومرة بعدها فى المسجد .

غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحق : فلم يقم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين قدم من غزوة العشيرة إلا ليالى قلائلة لا تبلغ العشرة حتى أغار كرز بن جابر «١» الفهرى على سرح «٢» المدينة ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبه حتى بلغ وادياً يقال له سفوان من ناحية بدر ، وفاته كرز بن جابر فلم يدركه .

واستعمل على المدينة فيما قال ابن هشام - زيد بن حارثة .

وذكر ابن سعد أنها فى ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة ، وحمل اللواء فيها على بن أبى طالب .

قال : والسرح ما رعوا من نعمهم .

سرية عبدالله بن جحش

وبعث عبدالله بن جحش فى رجب مقفله من بدر الأولى ومعه ثمانية رهط «٣» من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد ، وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ، ولا يستكره من أصحابه أحداً ، وكان أصحابه : أبو حذيفه بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وعكاشة بن محصن الأسدى ، وعتبة ابن غزوان ، وسعد بن أبى وقاص ، وعامر بن ربيعة من عنز بن وائل حليف بنى عدى ، وواقد بن عبدالله أحد بنى تميم حليف لهم ، وخالد بن البكير ، وسهيل بن بيضاء ، فلما سار عبدالله بن جحش يومين فتح الكتاب فنظر فيه فإذا فيه : « إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة «٤» بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً ، وتعلم لنا من أخبارهم » فلما نظر فى الكتاب ، قال : سمعاً وطاعة .

وخرج فى ذلك لأصحابه وقال : قد نهانى الرسول أن أستكره أحداً منكم ، فمضوا لم يتخلف منهم أحد وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران أضل سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه «٥» فتخلفا عليه فى طلبه .

١- هو كرز بن جابر بن حسيل بن لاحب الفهرى القرشى ، وقد أسلم بعد هذا الحادث وهاجر إلى المدينة وحسن إسلامه ، وشارك فى بعض الغزوات تحت لواء الرسول ، وقتل يوم فتح مكة سنة ثمان للهجرة ، قتله المشركون ، وكان فى خيل خالد ابن الوليد « أسد الغابة » ٤/٤٦٨ ، ٤٦٩ .

٢- سرح المدينة : الإبل والمواشى التى تسرح للرعى .

٣- الرهط : مادون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة .

٤- نخلة : موضع على ليلة من مكة .

٥- يعتقبان البعير : يتناوبان ركوبه .

ومضى عبدالله بن جحش وأصحابه حتى نزل بنخلة فمرت به عير لقريش فيها عمرو ابن الحضرمي ، وعثمان بن عبدالله بن المغيرة وأخوه نوفل المخزوميان ، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة ، فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف عليهم عكاشة بن محصن ، وكان قد حلق رأسه فلما رأوه آمنوا ، وقالوا : عُمّار لا بأس عليكم منهم ، وتشاور القوم فيهم ، وذلك فى آخر يوم من رجب ، فقال القوم : والله لئن تركتم القوم فى هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم به ، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام ، فتردد القوم ، وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا « على » قتل من قدروا عليه منهم ، وأخذ ما معهم ، فرمى واقد بن عبدالله التميمى عمرو ابن الحضرمى بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبدالله ، والحكم بن كيسان ، وأفلت القوم نوفل بن عبدالله ، فأعجزهم ، وأقبل عبدالله بن جحش وأصحابه بالعير وبالأسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكر بعض آل عبدالله بن جحش أن عبدالله قال لأصحابه : إن لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما غنمنا الخمس ، وذلك قبل أن يفرض الله تعالى الخمس من المغانم ، فعزل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمس العير ، وقسم سائرها بين أصحابه .

قال ابن إسحق : فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال : (ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام) ، فوقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً ، فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم سقط فى أيدى القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا ، وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال ، فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة ، إنما أصابوا ما أصابوا فى شعبان ، وقالت يهود تفاءل بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبدالله عمرو : عمرت الحرب ، والحضرمى : حضرت الحرب ، وواقد ابن عبدالله : وقدت الحرب فجعل الله عليهم ذلك لالهم .

فلما أكثر الناس فى ذلك أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم : (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل «١») .

ففرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق «٢» ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين ، وبعثت إليه قريش فى فداء عثمان بن عبدالله والحكم ابن كيسان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا نفد يكما حتى يقدم صاحبانا »

١- سورة البقرة : الآية ٢١٧ .

٢- الشفق : الخوف

يعني سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان « فإنا نخشاكم عليهما فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم » فقدم سعد وعتبة ، فأفداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم : فأما الحكم بن كيسان فأسلم ، فحسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً ، وأما عثمان بن عبدالله فلحق بمكة فمات بها كافراً .

فلما تجلى عن عبدالله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه - حين نزل القرآن - طمعوا فى الأجر ، فقالوا : يا رسول الله ، أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله فيهم « إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم «١» » فوضعهم الله من ذلك على أعظم الرجاء .

والحديث فى هذا ، عن الزهرى ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ثم قسم الفىء بعد ذلك . قال ابن هشام : وهى أول غنيمة غنمها المسلمون ، وعمرو بن الحضرمى أول من قتل المسلمون ، وعثمان والحكم أول من أسر المسلمون ، فقال فى ذلك أبو بكر الصديق ، ويقال هى لعبد الله بن جحش :

تعدون قتلا فى الحرام عظيمة	وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد	وكفر به والله راء وشاهد
شفينا من «٢» ابن الحضرمى رماحنا	بنخلة لما أوقد الحرب واقد

وذكر موسى بن عقبة ومحمد بن عائذ نحو ذلك غير أنهما ذكرا أن صفوان بن بيضاء بدل سهيل أخيه ولم يذكرا خالداً ولا عكاشة . وذكر ابن عقبة فيهم عامر بن إياس .

وقال ابن سعد : كان الذى أسر الحكم بن كيسان المقداد بن عمرو . وذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش فى اثنى عشر رجلاً من المهاجرين كل اثنين يعتقبان بعيراً إلى بطن نخلة وهو بستان ابن عامر ، وأن سعد بن أبى وقاص كان زميل عتبة بن غزوان فضل بهما بعيرهما فلم يشهدا الوقعة ، والذى ذكره موسى بن عقبة أن ابن جحش لما قرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخير أصحابه تخلف رجلان : سعد وعتبة فقدما بحران ومضى سائرهم ، وقال ابن سعد : ويقال إن عبد الله ابن جحش لما رجع من نخلة خمس ما غنم ، وقسم بين أصحابه سائر المغانم ، فكان أول خمس خمس فى الإسلام .

ويقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف غنائم نخلة ، حتى رجع من بدر ، فقسمها مع غنائم بدر ، وأعطى كل قوم حقهم ، وفى هذه السرية سمى عبدالله ابن جحش أمير المؤمنين «٣» .

١- سورة البقرة : الآية ٢١٨ .

٢- فى نسخة « سقينا » مكان شفينا » .

٣- لكونه كان مؤمراً على جماعة من المؤمنين .

تحويل القبلة

قرىء على الشيخ أبى عبد الله محمد بن إبراهيم المقدسى وأنا حاضر فى الرابعة ، أخبركم أبو الحسن على بن النفيس بن بورنداز قراءة عليه ببغداد وأقربه ، قال : أنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى قال : أنا أبو عطاء بن أبى عاصم ، قال : أنا حاتم ابن محمد بن يعقوب ثنا أبو العباس محمد بن محمد بن الحسن الفريزنى ثنا أبو جعفر وجابر بن عبد الله بن فورجة ثنا مالك بن سليمان الهروى ، عن يزيد بن عطاء ، عن أبى إسحق ، عن البراء بن عازب قال : لقد صلينا بعد قدوم النبى صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، وكان الله يعلم أنه يحب أن يوجه نحو الكعبة ، فلما وجه النبى صلى الله عليه وسلم إليها صلى رجل معه ، ثم أتى قوماً من الأنصار وهم ركوع نحو بيت المقدس فقال لهم وهم ركوع : أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وجه نحو الكعبة ، فاستداروا وهم ركوع فاستقبلوها . « رواه البخارى وغيره من حديث أبى إسحق عن البراء » .

ورويناه من طريق ابن سعد ثنا الحسن بن موسى ثنا زهير ثنا أبو إسحق ، عن البراء . الحديث وفيه : وأنه صلى أول صلاة صلاها العصر «١» وصلاها معه قوم ، فخرج رجل ممن صلاها معه فمر على أهل مسجد «٢» وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل بيت البيت ، وكان يعجبه أن يحول قبل البيت ، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلى قبل بيت المقدس ، وأهل الكتاب ، فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك .

وفيه : أنه مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال ، وقتلوا ، فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله تعالى : (وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم «٣») .

وقد اتفق العلماء على أن صلاة النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة كانت إلى بيت المقدس ، وأن تحويل القبلة إلى الكعبة كان بها ، واختلفوا كم أقام النبى صلى الله عليه وسلم يصلى إلى بيت المقدس بعد مقدمه المدينة ، وفى أى صلاة كان التحويل ، وفى صلاته عليه السلام قبل ذلك بمكة ، كيف كانت ؟

فأما مدة صلاة النبى صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس بالمدينة ، فقد رويناه أنه كان ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً أو ثمانية عشر شهراً ، وروينا بضعة عشر شهراً «٤» .

١- أى أن أول صلاة صلاها كاملة إلى جهة الكعبة هى صلاة العصر على الصحيح .

٢- هم أهل مسجد قباء .

٣- سورة البقرة : الآية ١٤٣

٤- فى حاشية الأصل : بلغ مقابلة لله الحمد

قال الحربى : ثم قدم صلى الله عليه وسلم المدينة فى ربيع الأول فصلى إلى بيت المقدس ، تمام السنة ، وصلى من سنة اثنتين ستة أشهر ، ثم حولت القبلة فى رجب .
وكذلك روينا عن ابن إسحق قال : ولما صرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة ، وصرفت فى رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى خبر ذكره ، وسنذكره بعد تمام هذا الكلام إن شاء الله تعالى .
وقال موسى بن عقبة وإبراهيم بن سعد ، عن ابن شهاب ، عن عبدالرحمن بن عبد الله ابن كعب بن مالك : أن القبلة صرفت فى جمادى ، وقال الواقدى : إنما صرفت صلاة الظهر يوم الثلاثاء فى النصف من شعبان ، كذا وجدته عن أبى عمر بن عبد البر .
والذى رويناه عن الواقدى من طريق ابن سعد ثنا إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس .
قال ابن سعد : وأنا عبد الله بن جعفر الزهرى ، عن عثمان بن محمد الأخنسى ، وعن غيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما هاجر إلى المدينة صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ، وكان يحب أن يصرف إلى الكعبة فقال : يا جبريل ، وددت أن الله صرف وجهى عن قبلة يهود . فقال جبريل : إنما أنا عبد فادع ربك وسله ، وجعل إذا صلى إلى بيت المقدس ، يرفع رأسه إلى السماء فنزلت : (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام [1]) فوجه إلى الكعبة إلى الميزاب ويقال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين من الظهر فى مسجده بالمسلمين ، ثم أمر أن يوجه إلى المسجد الحرام فاستدار إليه ودار معه المسلمون .
ويقال : بل زار رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بشر بن البراء بن معرور فى بنى سلمة فصنعت له طعاماً ، وحانت صلاة الظهر فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه ركعتين ، ثم أمر أن يوجه إلى الكعبة فاستقبل الميزاب ، فسمى المسجد مسجد القبلتين ، وذلك يوم الأثنين النصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً .
وفرض صوم شهر رمضان فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً . قال محمد ابن عمر . وهذا الثبت عندنا .
قال القرطبى : الصحيح سبعة عشر شهراً ، وهو قول مالك ، وابن المسيب ، وابن إسحق . وقد روى ثمانية عشر ، وروى بعد سنتين ، وروى بعد تسعة أشهر أو عشرة أشهر ، والصحيح ما ذكرناه أولاً .
وأما الصلاة التى وقع فيها تحويل القبلة ففى خبر الواقدى هذا أنها الظهر ، وقد ذكرنا فى حديث البراء قبل هذا أنها العصر ، وقد روينا عن ابن سعد ، قال : أنا عفان بن

١- سورة البقرة الآية ١٤٤ .

مسلم ثنا حماد بن سلمة ، قال : أنا ثابت ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى نحو بيت المقدس فنزل (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام) ، فمر رجل بقوم من بنى سلمة وهم ركوع فى صلاة الفجر فنادى : ألا إن القبلة قد حولت إلى الكعبة ، فمالوا إلى الكعبة .

وروينا عن ابن سعد قال : أنا الفضل بن دكين ثنا قيس بن الربيع ثنا زياد بن علاقة ، عن عمارة بن أوس الأنصارى قال : صلينا إحدى صلاتى العشى ، فقام رجل على باب المسجد ، ونحن فى الصلاة فنادى : إن الصلاة قد وجهت نحو الكعبة ، تحول أو تحرف أمامنا نحو الكعبة والنساء والصبيان .

وليس فى هذين الخبرين ما يعارض ما قبلهما لأن بلوغ التحويل غير التحويل .

وقرىء على أبى عبد الله بن أبى الفتح بن وثاب الصورى ، وأنا أسمع ، أخبركم الشيخان أبو مسلم المؤيد بن عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن الإخوة البغدادى نزيل أصبهان ، وأبو المجد زاهر بن أبى طاهر الثقفى الأصبهانى إجازة ، قال الأول : أخبرنا أبو الفرج سعيد بن أبى رجاء الصيرفى ، وقال الثانى : أنا أبو الوفاء منصور ابن محمد بن سليم قالا : أنا أبو الطيب عبد الرازق بن عمر بن موسى بن شمة ، قال : أنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن على بن عاصم ، قال : أنا على بن العباس المقانعى عن محمد بن مروان ، عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير ، قال : وثنا سفيان ، عن عبد الله ابن دينار عن ابن عمر ، قال : كانوا يصلون الصبح فانحرفوا وهم ركوع .

وأما كيف كانت صلاته صلى الله عليه وسلم ، قبل تحويل القبلة ، فمن الناس من قال : كانت صلاته صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس من حين فرضت الصلاة بمكة إلى أن قدم المدينة ، ثم بالمدينة إلى وقت التحويل .

روينا من طريق أبى بكر محمد بن إبراهيم بن المقرىء بالسند المذكور آنفاً قال : ثنا على بن العباس المقانعى ، عن محمد بن مروان ، عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير ، عن أبيه ، عن السدى فى كتاب (الناسخ والمنسوخ) له قال : قوله تعالى (سيقول السفهاء (1) من الناس ما ولاهم (2) عن قبلتهم التى كانوا عليها (3)) قال : قال ابن عباس : أول ما نسخ الله تعالى من القرآن حديث القبلة .

قال ابن عباس : إن الله تبارك وتعالى فرض على رسوله الصلاة ليلة أسرى به إلى بيت المقدس ركعتين ركعتين الظهر ، والعصر ، والعشاء ، والغداة ، والمغرب ثلاثاً ، فكان يصلى إلى الكعبة ، ووجهه إلى بيت المقدس . قال : ثم زيد فى الصلاة بالمدينة حين

١- السفهاء : السفه الطيش والخفة فى العقل والمراد بهم هنا اليهود والمشركون .

٢- ما ولاهم عن قبلتهم : أى ما الشىء الذى صرف المسلمين عن قبلتهم .

٣- سورة البقرة : الآية ١٤٢ .

صرفه الله إلى الكعبة ، ركعتين ركعتين ، إلا المغرب فتركت كما هى .
قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه يصلون إلى بيت المقدس ، وفيه قال : فصلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة سنة حتى هاجر إلى المدينة ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يصلى قبل الكعبة ، لأنها قبلة آبائه إبراهيم وإسماعيل .
قال : وصلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة حتى هاجر إلى المدينة ، وبعد ما هاجر ستة عشر شهراً إلى بيت المقدس ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى رفع رأسه إلى السماء ينتظر لعل الله أن يصرفه إلى الكعبة . قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام : وددت أنك سألت الله أن يصرفنى إلى الكعبة ، فقال جبريل : لست أستطيع أن أبتدىء الله جل وعلا بالمسألة ، ولكن إذا سألنى أخبرته . قال : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلب وجهه فى السماء ينتظر جبريل ينزل عليه ، قال : فنزل عليه جبريل وقد صلى الظهر ركعتين إلى بيت المقدس ، وهم ركوع ، فصرف الله القبلة إلى الكعبة . الحديث وفيه : فلما صرف الله القبلة ، اختلف الناس فى ذلك ، فقال المنافقون : ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ؟ وقال بعض المؤمنين : فكيف بصلاتنا التى صلينا نحو بيت المقدس ؟ فكيف بمن مات من إخواننا وهم يصلون إلى بيت المقدس ، نقول : قبل الله عز وجل منا ومنهم أم لا ؟ وقال ناس من المؤمنين : كان ذلك طاعة وهذا طاعة نفعل ما أمرنا النبى صلى الله عليه وسلم وقالت : اليهود : اشتاق إلى بلد أبيه ، وهو يريد أن يرضى قومه ، ولو ثبت على قبلتنا لرجونا أن يكون هو النبى الذى كنا ننتظر أن يأتى ، وقال المشركون من قريش : تحير على محمد دينه ، فاستقبل قبلتكم وعلم أنكم أهدى منه ، ويوشك أن يدخل فى دينكم فأنزل الله فى جميع ذلك الفرق كلها ، فأنزل فى المنافقين : (ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم - إلى دين الإسلام - وكذلك جعلناكم أمه وسطاً «١») إلى آخر الآية .
وأنزل فى المؤمنين : (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه «٢») يقول : إلا لنبتلى «٣» بها ، وإنما كانت قبلتك التى تبعث بها إلى الكعبة ثم تلا : « وإن كانت لكبيرة «٤» إلا على الذين هدى الله » قال : من اليقين .

١- سورة البقرة: الآيتان ١٤٢ - ١٤٣ .
٢- ينقلب على عقبيه : أى يرجع إلى الكفر
٣- سورة البقرة : الآية ١٤٣ .
٤- وإن كانت لكبيرة : أى وإن هذه التحويلة من قبلة إلى قبلة لشاقة فى فهم حكمتها

قال المؤمنون : كانت القبلة الأولى طاعة – وهذه طاعة فقال الله عز وجل : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » قال : صلاتكم لأنكم كنتم مطيعين فى ذلك ، ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء – يقول تنتظر جبريل حتى ينزل عليك – فلنولينك قبلة ترضاها – يقول تحبها – فول وجهك شطر المسجد الحرام – نحو الكعبة – وإنه للحق من ربك «١» » أى أنك تبعث بالصلاة إلى الكعبة .

وأنزل الله فى اليهود : (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك)

قال : لئن جئتهم بكل آية أنزلها الله فى التوراة فى شأن القبلة أنها إلى الكعبة ما تبعوا قبلتك .

قال : وأنزل الله فى أهل الكتاب : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » قال : يعرفون أن قبلة النبى الذى يبعث من ولد إسماعيل قبل الكعبة ، كذلك هو مكتوب عندهم فى التوراة ، وهم يعرفونه بذلك – كما يعرفون أبناءهم وهو يكتمون ذلك ، وهم يعلمون أن ذلك هو الحق ، يقول الله تعالى (الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) يقول : من الشاكين : قال : ثم أنزل فى قريش وما قالوا فقال : « لئلا يكون للناس عليكم حجة – قال : لكيلا يكون لأحد من الناس حجة – إلا الذين ظلموا منهم «٢» » يعنى قريشاً وذلك قول قريش : قد عرف محمد أنكم أهدى منه ، فاستقبل قبلتكم ، ثم قال : « فلا تخشوهم » قال فحين قالوا يوشك أن يرجع إلى دينكم يقول : لا تخشوا أن أردكم فى دينهم – قال : « ولأتم نعمتى عليكم » أى أظهر دينكم على الأديان كلها ، كل هذا عن السدى من كتابه « فى الناسخ والمنسوخ » وهو يروى لنا بالإسناد المذكور ، وهو يروى ، عن أبى مالك ، عن ابن عباس ثم يتخلل سياق خبره فوائد عن بعض رواة الكتاب ، ثم يقول : جامعه عند انقضائها وعوده إلى الأول رجع إلى السدى ، ثم يقول عنه : قال ابن عباس كذا ، قال ابن عباس كذا فى أخبار متعددة متغايرة ، فيحتمل أن يكون ذلك عنده ، عن أبى مالك ، عن ابن عباس ، ويحتمل الإنقطاع ، ولو كان ذلك فى خبر واحد لكان أقرب إلى الإتصال .

والسدى هذا ، هو الكبير إسماعيل بن عبدالرحمن ، يروى عن أنس ، وعبد خير ، روى عنه الثورى وشعبة وزائدة ، وكان يجلس بالمدينة فى مكان يقال له السد فنسب إليه ، احتج به مسلم ، ووثقه بعضهم ، وتكلم فيه آخرون .

والسدى الصغير ، هو محمد بن مروان المذكور فى الإسناد إليه مضعف عندهم .

وقال آخرون : إنه عليه السلام صلى أول ما صلى إلى الكعبة ، ثم إنه صرف إلى بيت

١- سورة البقرة : الآيات ١٤٤ – ١٤٩ .

٢- سورة البقرة : الآية ١٥٠ .

المقدس قال أبو عمر : ذكر سنيد عن حجاج ، عن ابن جريج قال : صلى الله عليه وسلم أول ما صلى إلى الكعبة ، ثم إنه صرف إلى بيت المقدس ، فصلت الأنصار نحو بيت المقدس قبل قدومه عليه السلام بثلاث ، وصلى النبى صلى الله عليه وسلم بعد قدومه ستة عشر شهراً ، ثم وجهه الله تعالى إلى الكعبة .

وقال ابن شهاب : وزعم ناس – والله أعلم – أنه كان يسجد نحو بيت المقدس ويجعل وراء ظهره الكعبة وهو بمكة ، ويزعم ناس أنه لم يزل يستقبل الكعبة حتى خرج منها ، فلما قدم المدينة استقبل بيت المقدس .

قال أبو عمر : وأحسن من ذلك قول من قال : إنه عليه السلام كان يصلى بمكة مستقبل القبلتين يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس وقد روينا ذلك من طريق مجاهد عن ابن عباس .

قرأت على الإمام الزاهد أبى إسحق إبراهيم بن على بن أحمد بن فضل بن الواسطى بسفح قاسيون ، أخبركم الشيخ أبو البركات داود بن أحمد بن محمد بن ملاعب البغدادى ، وأبو الفضل عبدالسلام بن عبدالله بن أحمد بن بكران بن الزهرى سماعاً عليهما الأول بالشام ، والثانى بالعراق ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبيد الله بن زهير ابن البسرى بن الزاغونى زاد ابن ملاعب ، وأبو منصور أنوشتكين بن عبدالله الرضوانى قال أنا أبو القاسم على بن أحمد بن محمد بن البسرى ، و قال ابن الزاغونى : أنا الشريف أبو نصر محمد بن محمد الزينبى قالا أنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن ابن العباس المخلص ثنا يحيى ثنا الحسن بن يحيى الأرزى أبو على بالبصرة ثنا يحيى ابن حماد ثنا أبو عوانة ، عن سليمان يعنى الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى وهو بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه ، وبعد ما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهراً ثم صرف إلى الكعبة .

وروينا عن ابن سعد قال : أنا هاشم بن القاسم ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظى قال : ما خالف نبى نبياً قط فى قبلة ولا فى سنة ، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . استقبل بيت المقدس من حين قدم المدينة ستة عشر شهراً ثم قرأ (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً «١») .

وقد ذكرنا فيما سلف حديث البراء بن معرور وتوجهه إلى الكعبة ، وفيه دليل على أن الصلاة كانت يومئذ إلى بيت المقدس، ولما كان صلى الله عليه وسلم يتحرى القبلتين جميعاً ، ولم يتبين توجهه إلى بيت المقدس للناس حتى خرج من مكة .

١– سورة الشورى : الآية ١٣ .

قال السهيلى : وكرر البارى سبحانه وتعالى الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام فى ثلاث آيات ، لأن المنكرين لتحويل القبلة كانوا ثلاثة أصناف : اليهود لأنهم لا يقولون بالنسخ فى أصل مذهبهم ، وأهل الريب والنفاق اشتد إنكارهم له لأنه كان أول نسخ نزل ، وكفار قريش لأنهم قالوا : ندم محمد على فراق ديننا ، وكانوا يحتجون عليه فيقولون : يزعم محمد أنه يدعونا إلى ملة إبراهيم وإسماعيل ، وقد فارق قبلة إبراهيم وإسماعيل ، وآثر عليها قبلة اليهود ، فقال الله له حين أمره بالصلاة إلى الكعبة : (لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا للذين ظلموا منهم«١») على الإستثناء المنقطع أى لكن الذين ظلموا منهم لا يرجعون ولا يهتدون ، وذكر الآيات إلى قوله : (ليكتمون الحق وهم يعلمون «٢») أى يكتمون ما علموا من أن الكعبة هى قبلة الأنبياء .

وروينا من طريق أبى داود فى كتاب « الناسخ والمنسوخ » له قال : حدثنا أحمد بن صالح ثنا عنبسة ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، قال : كان سليمان بن عبد الملك لا يعظم إيلياء كما يعظمها أهل البيت – قال : فسرت معه وهو ولى عهد ، قال ومعه خالد بن يزيد ابن معاوية ، قال سليمان وهو جالس فيها : والله إن فى هذه القبلة التى صلى إليها المسلمون والنصارى لعجبا ، قال خالد بن يزيد : أما والله إنى لأقرأ الكتاب الذى أنزله الله على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقرأ التوراة ، فلم تجدها اليهود فى الكتاب الذى أنزل الله عليهم ، ولكن تابوت السكينة كان على الصخرة ، فلما غضب الله على بنى إسرائيل رفعه ، فكانت صلاتهم إلى الصخرة على مشاورة منهم .

وروى أبو داود أيضاً : أن يهودياً خاصم أبا العالية فى القبلة ، فقال أبو العالية : إن موسى عليه السلام كان يصلى عند الصخرة ويستقبل البيت الحرام ، فكانت الكعبة قبلته ، وكانت الصخرة بين يديه ، وقال اليهودى : بينى وبينك مسجد صالح النبى عليه السلام ، فقال أبو العالية : فإنى صليت فى مسجد صالح ، وقبلته إلى الكعبة ، وأخبر أبو العالية : أنه صلى فى مسجد ذى القرنين وقبلته إلى الكعبة .

قلت : قد تقدم فى حديث البراء : أن رجلاً صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم تحويل القبلة ، ثم أتى قوماً من الأنصار فأخبرهم وهم ركوع فاستداروا ولم يسم المخبر فى ذلك الخبر ، والرجل هو عباد بن نهيك بن أساف الشاعر بن عدى بن زيد بن جشم ابن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو النبيت بن مالك بن الأوس عمر فى الجاهلية زماناً ، وأسلم وهو شيخ كبير ، فوضع النبى صلى الله عليه وسلم عنه الغزو ، وهو الذى صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم القبلتين فى الظهر ركعتين إلى بيت المقدس ، وركعتين إلى الكعبة ، يوم صرفت القبلة ، ثم أتى قومه بنى حارثة وهم ركوع فى صلاة العصر ، فأخبرهم بتحويل القبلة ، فاستداروا إلى الكعبة .

١– سورة البقرة : الآية ١٥٠ . ٢– سورة البقرة : الآية ١٤٦ .

وقد ذكر أبو عمر هذا الرجل بذلك لكنه لم يرفع نسبه إنما قال : عباد بن نهيك فقط . ونسبه الخطمي فلم يصنع شيئاً ، فخطمة هو عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس ، ليس هذا منه هذا حارثي وبنو خطمة تأخر إسلامهم .

ذكر فرض صيام شهر رمضان وزكاة الفطر وسنة الأضحية

روينا عن ابن سعد قال : أنا محمد بن عمر ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الجمحي ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة . قال الواقدي : وأنا عبد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : وأنا عبد العزيز بن محمد ، عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه ، عن جده قالوا : نزل فرض شهر رمضان بعد ما صرفت القبلة إلى الكعبة بشهر في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه السنة بزكاة الفطر ، وذلك قبل أن تفرض الزكاة في الأموال ، وأن تخرج عن الصغير والكبير، والحر والعبد ، والذكر والأنثى ، صاع من تمر أوصاع من شعير أو صاع من زبيب أو مدان «١» من بر . وكان يخطب صلى الله عليه وسلم قبل الفطر بيومين فيأمر بإخراجها قبل أن يغدو إلى المصلى ، وقال : اغنوهم ، - يعني المساكين - عن طواف هذا اليوم ، وكان يقسمها إذا رجع . وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العيد يوم الفطر بالمصلى قبل الخطبة ، وصلى العيد يوم الأضحى ، وأمر بالأضحية ، وأقام بالمدينة عشر سنين يضحي في كل عام .

قالوا : وكان يصلي العيدين قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ، وكان يجعل العنزة بين يديه ، وكانت العنزة «٢» للزبير بن العوام ، قدم بها من أرض الحبشة ، فأخذها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالوا : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى ، اشترى كبشين سمينين أقرنين أملحين «٣» ، فإذا صلى وخطب ، يؤتى بأحدهما وهو قائم في مصلاه فيذبحه بيده بالمدية ثم يقول : هذا عن أمتي جميعاً من شهد لك بالتوحيد ، وشهد لي بالبلاغ ، ثم يؤتى بالآخر فيذبحه هو عن نفسه ، ثم يقول : هذا عن محمد وآل محمد فيأكل هو وأهله معه منه ، ويطعم المساكين ، فكان يذبح عند طرف الزقاق عند دار معاوية . قال محمد بن عمر : وكذلك تصنع الأئمة عندنا بالمدينة .

١- المد : مكيال وهو رطل وثلث عند أهل الحجاز ورطلان عند أهل العراق .
٢- العنزة : بفتحتين أطول من العصا وأقصر من الرمح .
٣- الأملح هو الذي بياضه أكثر من سواده ، وقيل هو النقي البياض .

ذكر المنبر وحنين الجذع

قرأت على الشيخة الأصيلة أم محمد مؤنسة خاتون بنت السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب بالقاهرة ، قلت لها : أخبرتك الشيخة أم هانىء عفيفة بنت أحمد بن عبدالله الفارقانية إجازة فأقرت به قالت : أنا أبو طاهر محمد بن أحمد ابن عبدالواحد الصباغ قال : أنا أبو نعيم أحمد بن عبدالله الحافظ ثنا أبو على ابن الصواف ثنا الحسين بن عمر ثنا أبى ثنا المعلى بن هلال ، عن عمار الدهنى «١» عن أبى سلمة بن عبدالرحمن بن عوف عن أم سلمة أنها قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن قوائم منبرى هذا رواتب فى الجنة » .

قال : وكانت أساطين المسجد من دوم «٢» ، وظلاله من جريد النخل ، وكانت الإسطوانة تلى المنبر عن يسار المنبر إذا استقبلته دومة ، قالت : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسند ظهره إليها يوم الجمعة إذا خطب الناس قبل أن يصنع منبر . فأول يوم وضع المنبر ، أستوى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعداً فى الساعة التى كان يستند فيها إلى الإسطوانة ، ففقدته الإسطوانة ، فجارت جوار الثور أو خارت خوار الثور «٣» ، والنبى صلى الله عليه وسلم على المنبر ، فنزل النبى صلى الله عليه وسلم إليها ، فأتاها فوضع يده عليها ، وقال لها : اسكنى أو أسكتى ، ثم رجع النبى صلى الله عليه وسلم إلى منبره .

وقرأت على أبى الفتح يوسف بن يعقوب الشيبانى بسفح قاسيون ، أخبركم أبو العباس الخضر بن كامل بن سالم بن سبيع قراءة عليه ، وأنتم تسمعون سنة ست أو سبع وستمائة ، وأبو اليمن زيد بن الحسن الكندى إجازة إن لم يكن سماعاً ، قال الأول : أنا أبو الدر ياقوت بن عبدالله الرومى ، وقال الثانى : أنا أبو الفتح محمد بن محمد ابن البيضاوى قالا : أنا أبو محمد عبدالله بن محمد بن هزازمرد «ح» . وقرأت على أبى النور إسماعيل بن نور قمر الهيتى أخبركم الشيخ أبو نصر موسى بن الشيخ عبدالقادر الجيلى قراءة عليه وأنت تسمع فأقربه قال : أنا أبو القاسم سعيد بن أحمد بن الحسن ابن البناء قال : أنا أبو القاسم على بن أحمد بن محمد بن البسرى قالا : أنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس المخلص ثنا عبدالله يعنى البغوى ثنا شيبان ابن فروج ثنا مبارك بن فضالة ثنا الحسن ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى

١- بضم الدال المهملة نسبة إلى دهن بن معاوية حى من بجيلة

٢- الدوم : شجر المُقل .

٣- خار الثور يخور خواراً : صاح .

الله عليه وسلم ، يخطب يوم الجمعة إلى جنب خشبة مسنداً ظهره إليها ، فلما كثر الناس ، قال : ابنوا لى منبراً ، قال : فبنوا له منبراً له عتبتان ، فلما قام على المنبر يخطب ، حنت الخشبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أنس : وأنا فى المسجد ، فسمعت الخشبة تحن حنين الواله ، فمازالت تحن حتى نزل إليها ، فاحتضنها ، فسكنت . فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى ، ثم قال : يا عباد الله ، الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً إليه لمكانه من الله عز وجل فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه . قال القاضى عياض : رواه من الصحابة بضعة عشر منهم : أبى ابن كعب ، وجابر بن عبدالله ، وأنس بن مالك ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالله ابن عباس ، وسهل بن سعد ، وأبو سعيد الخدرى ، وبريدة ، وأم سلمة ، والمطلب بن أبى وداعة ، كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث ، قال الترمذى : وحديث أنس صحيح .

وفى حديث جابر : فلما صنع له المنبر ، سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار ، وفى رواية أنس : حتى إرتج المسجد بخواره ، وفى رواية سهل : وكثر بكاء الناس لما رأوا فيه ، وفى رواية المطلب : حتى تصدع وأنشق ، حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت ، زاد غيره فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن هذا بكى لما فقد من الذكر » ، وزاد غيره : (والذى نفسى بيده ، لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة تحزناً على النبى صلى الله عليه وسلم) ، فأمر به فدفن تحت المنبر .

وفى حديث أبى : أنه أخذه أبىّ عنده إلى أن أكلته الأرض وعاد رفاتاً .

وفى حديث بريدة فقال يعنى النبى صلى الله عليه وسلم : (إن شئت أردك إلى الحائط الذى كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ، ويجدد لك خوص وثمرة ، وإن شئت أغرسك فى الجنة ، فيأكل أولياء الله من ثمرك) ، ثم أصغى له عليه السلام يستمع ما يقول فقال : بل تغرسنى فى الجنة ، فسمعه من يليه ، فقال عليه السلام : (قد فعلت) .

وأخبرنا عبدالرحيم بن يوسف الموصلى بقراءة والدى عليه ، قال : أنا ابن طبرزد قال : أنا ابن عبدالباقى قال : أنا الجوهرى قال : أنا ابن الشخير ثنا العباس بن أحمد ثنا محمد بن أبان ثنا أبو القاسم بن أبى الزناد عن سلمة بن وردان ، قال : سمعت أبا سعيد بن المعلى يقول : سمعت علياً يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة » .

ورويناه من حديث جابر وفيه : وإن منبرى على ترعة من ترع الجنة [1] .

١- فى حاشية الأصل : بلغ مقابلة لله الحمد .

غزوة بدر الكبرى وكانت يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان

قال ابن إسحق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبى سفيان بن حرب مقبلاً من الشام فى عير لقريش عظيمة فيها أموال لقريش وتجارة من تجارتهم ، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون منهم : مخرمة بن نوفل ، وعمرو بن العاص ، وقال ابن عقبة ، وابن عائذ فى أصحاب أبى سفيان : هم سبعون رجلاً ، وكانت عيرهم ألف بعير ولم يكن لحويطب بن عبدالعزى فيها شىء ، فلذلك لم يخرج معهم .

وقال ابن سعد : هى العير التى خرج لها حتى بلغ ذا العشيرة ، تحين قفولها من الشام ، فبعث طلحة بن عبيدالله التيمى ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل يتحسسان خبر العير .

قال ابن إسحق : فحدثنى محمد بن مسلم الزهرى ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبدالله ابن أبى بكر ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس كل قد حدثنى بعض الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر [١] قالوا :

لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى سفيان مقبلاً من الشام ندب المسلمين إليهم ، وقال : « هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها » فانتدب الناس ، فخف بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حرباً .

وكان أبو سفيان – حين دنا من الحجاز – يتحسس الأخبار ، ويسأل من لقى من الركبان ، تخوفاً من أمر الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك ، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى [٢] فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتى قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها فى أصحابه فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة .

وقال ابن سعد : فخرج المشركون من أهل مكة سراعاً ومعهم القيان [٣] والدفوف ، وأقبل أبو سفيان بن حرب بالعير ، وقد خافوا خوفاً شديداً ، حين دنوا من المدينة ، واستبطئوا ضمضما والنفير حتى وردوا بدراً ، وهو خائف ، فقال لمجدى بن عمرو : هل أحسست أحداً من عيون محمد ؟

قال ابن إسحق : فأخبرنى من لا أتهم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، ويزيد بن رومان ،

١– بدر بلدة مشهورة بين مكة والمدينة ، على نحو أربع مراحل من المدينة ، قال البكرى فى معجمه : على بعد ثمانية وعشرين فرسخاً من المدينة . وفى معجم ياقوت : إنه ماء تهدر بين مكة والمدينة ، أسفل وادى الصفراء .

٢– أحد أدلاء القوافل فى الجاهلية .

٣– القيان : المغنيات .

عن عروة بن الزبير ، قالا : وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب ، قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعتها فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له : يا أخى والله لقد رأيت الليلة رؤيا لقد أفظعتنى (1) وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، فاكتم عنى ما أحدثك ، فقال لها : وما رأيت ؟ قالت : رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا آل غدر (2) لمصارعكم فى ثلاث ، فأرى الناس إجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينا هم حوله مثل به (3) بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها : ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث ، ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت (4) ، فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منه فلقة (5) ، قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ، وأنت فاكتميها ولا تذكريها .

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وكان صديقاً له فذكرها له ، واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش .

قال العباس : فغدوت لأطوف بالبيت ، وأبو جهل بن هشام فى رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رآنى أبو جهل قال : يا أبا الفضل ، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا ، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم ، فقال لى أبو جهل : يا بنى عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ قال : فقلت : وما ذاك ؟ قال : تلك الرؤيا التى رأت عاتكة ، قال : قلت : وما رأت ؟ قال : يا بنى عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ، لقد زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال : انفروا فى ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فإن يك حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شىء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت فى العرب .

قال العباس : فوالله ما كان منى إليه كبير ألا أنى جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئاً . وعند ابن عقبة فى هذا الخبر : أن العباس قال لأبى جهل : هل أنت منته ، فإن الكذب فيك وفى أهل بيتك ، فقال من حضرهما : ما كنت يا أبا الفضل جهولاً ولا خرفاً وكذلك قال ابن عائذ ، وزاد فقال له العباس : مهلاً يا مصفر أسته .

ولقى العباس من عاتكة أذى شديداً حين أفشى من حديثها .

رجع إلى خبر ابن إسحق : قال : ثم تفرقنا ، فلما أمسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب إلا أتتنى فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم ، ثم قد تناول

١- أفظعتنى : هالتنى واشتدت علىّ .

٢- الغدر : هو ترك الوفاء ، وأكثر ما يستعمل هذا فى النداء بالشتم يقال : يا غدر ، ويقال فى الجمع يا آل غدر .

٣- مثل به : قام به ماثلا .

٤- أرفضت : تفتت .

٥- فلقة : قطعة

النساء ، وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غير لشيء «١» مما سمعت ، قال : فقلت : قد والله فعلت ما كان منى إليه من كبير ، وايم الله لأتعرضن له ، فإن عاد لأكفينكه .

قال : فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مغضب ، أرى أنى قد فاتنى منه أمر أحب أن أدركه منه ، قال : فدخلت المسجد فرأيته ، فوالله إنى لأمشى نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به ، وكان رجلاً خفيفاً ، حديد الوجه ، حديد اللسان ، حديد النظر ، قال : إذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال : فقلت فى نفسى : ماله لعنه الله ، أكل هذا فرق منى أن أشاتمه ؟ قال : وإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفارى ، وهو يصرخ ببطن الوادى واقفاً على بعيره قد جدع بعيره «٢» وحول رحله ، وشق قميصه ، وهو يقول : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة «٣» أموالكم مع أبى سفيان ، قد عرض لها محمد فى أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث .

قال : فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الأمر ، فتجهز الناس سراعاً وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى ؟ كلا والله ليعلمن غير ذلك ، فكانوا بين رجلين : إما خارج ، وإما باعث مكانه رجلاً ، وأوعبت قريش ، فلم يتخلف من أشرافها أحد ، إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب قد تخلف وبعث مكانه العاصى بن هشام ابن المغيرة ، وكان قد لاط «٤» له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه أفلس بها ، فستأجره بها على أن يجزى عنه بعثه ، فخرج وتخلف أبو لهب .

قال ابن عقبة ، وابن عائذ : خرجوا فى خسمين وتسعمائة مقاتل ، وساقوا مائة فارس .

وروينا عن ابن سعد قال : أنا عبيد الله بن موسى ، عن شيبان ، عن أبى إسحق ، عن أبى عبيدة بن عبد الله ، عن أبيه قال : لما أسرنا القوم فى بدر قلنا كم كنتم ؟ قالوا : كنا ألفاً .

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح أن أمية بن خلف كان أجمع القعود ، وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً فأتاه عقبة بن أبى معيط ، وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى قومه بمجمرة يحملها فيها نار ومجمر «٥» حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا على ، استجمر فإنما أنت من النساء ، قال : قبحك الله ، وقبح ما جئت به ، قال : ثم تجهز فخرج مع الناس .

قيل : وكان سبب تثبطه «٦» ما ذكره البخارى فى الصحيح من حديثه مع سعد بن معاذ ،

١- فى ابن إسحق : لم يكن عندك غيرة لشيء .

٢- جدع بعيره : قطع أنفه .

٣- اللطيمة : هى الإبل تحمل الطيب .

٤- لاط : أى أربى ، ومعناه هنا احتبس

٥- مجمر : بكسر الميم وسكون الجيم - عود يتبخر به .

٦- تثبطه : التثبيط هو التعويق عن الشيء ، وإقامة العراقيل فى سبيله

وأبى جهل بمكة ، وقول سعد له : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنه قاتلك .

قلت : المشهور عند أرباب السير أن النبى صلى الله عليه وسلم إنما قال ذلك لأخيه أبى ابن خلف بمكة قبل الهجرة ، وهو الذى قتله النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يوم أحد بحربته ، وهذا أيضاً لاينافى خبر سعد والله أعلم .

قال ابن إسحق : ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا السير ذكروا ما بينهم وبين بنى بكر ابن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا ، فتبدى لهم إبليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكنانى المدلجى ، وكان من أشراف بنى كنانة ، فقال : أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهونه ، فخرجوا سراعاً .

وذكر ابن عقبة وابن عائذ فى هذا الخبر : وأقبل المشركون ومعهم إبليس – لعنه الله – فى صورة سراقة يحدثهم أن بنى كنانة وراءه ، وقد أقبلوا لنصرهم وأنه (لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم [1]).

قال ابن إسحق ، وعمير بن وهب أو الحرث بن هشام : كان الذى رآه حين نكص على عقبيه عند نزول الملائكة ، وقال : إنى أرى مالا ترون ، فلم يزل حتى أوردهم ثم أسلمهم ، ففى ذلك يقول حسان .

سرنا وساروا إلى بدر لحينهم	لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاهم [2] بغرور [3] ثم أسلمهم	إن الخبيث لمن والاه غرار

فى أبيات ذكرها .

قال ابن إسحق : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة فى ليال مضت من شهر رمضان فى أصحابه ، قال ابن هشام : لثمان ليال خلون منه .

وقال ابن سعد : يوم الإثنين لإثنتى عشرة ليلة خلت منه ، بعد ما وجه طلحة بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد بعشر ليال .

وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكره ببئر أبى عنبة وهى على ميل من المدينة ، فعرض أصحابه ورد من استصغر ، وخرج فى ثلثمائة رجل وخمسة نفر ، كان المهاجرون منهم أربعة وستين رجلاً وسائرهم من الأنصار ، وثمانية تخلفوا لعذر ، ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهامهم وأجورهم ثلاثة من المهاجرين : عثمان بن عفان خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على إبنته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

١- سورة الأنفال : الآية ٤٨ .

٢- دلاهم : أصل معنى دل أنزل الشىء إلى أسفل شيئاً فشيئاً على مهل .فالمراد مازال يغريهم بالحلف والترغيب حتى دفعهم إلى الحرب .

٣- بغرور : أى بخداع يغر .

وكانت مريضة فأقام عليها حتى ماتت ، وطلحة وسعيد بن زيد بعثهما يتجسسان خبر العير ، وخمسة من الأنصار : أبو لبابة بن عبد المنذر خلفه على المدينة ، وعاصم ابن عدى العجلانى خلفه على أهل العالية ، والحرث بن حاطب العمرى رده من الروحاء«١» إلى بنى عمرو بن عوف لشىء بلغه عنهم ، والحرث بن الصمة كسر من الروحاء ، وخوات ابن جبير كسر أيضاً .

قال ابن إسحق : ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير ، وكان أبيض ، وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان : إحداهما مع على بن أبى طالب ، والأخرى مع بعض الأنصار .

وقال ابن سعد : كان لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير ، ولواء الخزرج مع الحباب ابن المنذر ، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ . كذا قال - والمعروف أن سعد بن معاذ كان يومئذ على حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش ، وأن لواء المهاجرين كان بيد على « بن أبى طالب » .

قرىء على أبى حفص عمر بن عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن غدير بعربيل بغوطة دمشق وأنا أسمع ، أخبركم أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن محمد بن أبى الفضل ابن الحرستانى قراءة عليه وأنت حاضر فى الرابعة فأقربه ، أنا أبو الحسن على ابن المسلم بن محمد السلمى سماعاً قال : أنا أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن أبى الحديد قال : أنا أبو الحسن على بن موسى بن الحسين السمسار ، قال : أنا أبو المظفر بن حاجب ابن مالك بن الركين الفرغانى ، أنا أبو الحسن بن موسى محمد بن يزيد بن عبد الصمد الدمشقى ثنا أحمد يعنى ابن أبى أحمد الجرجانى ثنا شبابة بن سوار الفزارى ثنا قيس بن الربيع ، عن الحجاج بن أرطأة ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، أن النبى صلى الله عليه وسلم أعطى علياً الراية يوم بدر ، وهو ابن عشرين سنة

قال ابن إسحق : وكانت إبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين بعيراً فاعتقبوها ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب ومرثد ابن أبى مرثد يعتقبون «٢» بعيراً ، وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة مولىا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقبون بعيراً ، وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيراً .

ورويناً عن ابن سعد قال : أنا يونس بن محمد المؤدب ثنا حماد بن سلمة عن عاصم ، عن زر عن ابن مسعود قال : كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير ، وكان أبو لبابة وعلى زميلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا كانت عقبة النبى صلى الله عليه وسلم

١- الروحاء : موضع على نحو ثلاثين ميلاً من المدينة .
٢- يعتقبون : يتناوبون ركوبه .

قالا : « اركب حتى نمشى عنك ، فيقول : ما أنتما بأقوى منى على المشى ، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما » انتهى ما رويناه عن ابن سعد .

والمعروف أن أبا لبابة رجع من بئر أبى عنبة ، ولم يصحبهم إلى بدر ، رده رسول الله صلى الله عليه وسلم والياً على المدينة ، وقد تقدم .

قال ابن إسحق : وجعل على الساقة قيس بن أبى صعصعة أحد بنى مازن بن النجار فسلك طريقه إلى المدينة حتى إذا كان بعرق الظبية لقوا رجلاً من الأعراب فسألوه عن الناس ، فلم يجدوا عنده خبراً ، ثم ارتحل حتى أتى على واد يقال له زفران ، وجزع فيه ثم نزل ، فأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم ، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض لما أمر الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون «١») ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد «٢» لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا علىّ .

فذكر ابن عقبة وابن عائذ أن عمر قال : يا رسول الله ، إنها قريش وعزها ، والله ماذلت منذ عزت ، ولا آمنت منذ كفرت ، والله لتقاتلنك ، فاتهب لذلك أهبته وأعدد لذلك عدته .

رجع إلى خبر ابن إسحق : قال : وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم عدد الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله ، إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه «٣» بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم ، فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ : لعلك تريدنا يا رسول الله ؟ فقال : أجل ، قال : فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقربه عينك ، فسر بنا على بركة الله تعالى .

وقد روينا من طريق مسلم أن الذى قال ذلك سعد بن عبادة سيد الخزرج ، وإنما يعرف

١- سورة المائدة : الآية ٢٤ .

٢- برك الغماد : بكسر الغين وضمها لغتان ، وهو موضع من وراء مكة بخمس ليال ، بناحية الساحل ، وقيل : بلدتان . وقال بعضهم : هو موضع بأقاصى هجر ، وقيل كناية تقال فيما تباعد

٣- دهمه : أى فجأة .

ذلك عن سعد بن معاذ ، كذلك رواه ابن إسحق ، وابن عقبة ، وابن سعد ، وابن عائذ وغيرهم واختلف فى شهود سعد بن عبادة بدراً ، ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن إسحق فى البدريين ، وذكره الواقدى والمدائنى وابن الكلبى فيهم .

وروينا عن ابن سعد أنه : كان يتهيأ للخروج إلى بدر ، ويأتى دور الأنصار يحضهم على الخروج فنهش «١» قبل أن يخرج فأقام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن كان سعد لم يشهدها لقد كان عليها حريصاً » قال : وروى بعضهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب له بسهمه وأجره ، وليس ذلك بمجمع عليه ولا ثبت ، ولم يذكره أحد ممن يروى المغازى فى تسمية من شهد بدراً ولكنه قد شهد أحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رجع إلى الأول : قال : فسر النبى صلى الله عليه وسلم بقول سعد ، ونشطه ذلك ، ثم قال : سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين «٢» والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم .

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران ثم نزل قريباً من بدر فركب هو ورجل من أصحابه ، قال ابن هشام : هو وأبو بكر الصديق .

قال ابن إسحق : كما حدثنى محمد بن يحيى بن حبان - حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش ، وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبرانى من أنتما ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أخبرتنا أخبرناك » فقال الشيخ : ذاك بذاك ، قال : « نعم » قال الشيخ : فإنه قد بلغنى أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذى أخبرنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلغنى أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى به قريش ، فلما فرغ من خبره قال : ممن أنتما ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن من ماء » ثم انصرف عنه ، قال : يقول الشيخ «٣» : ما من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟ .

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فلما أمسى بعث على بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له عليه فأصابوا راوية «٤» لقريش فيها أسلم غلام بنى الحجاج ، وعريض أبو يسار غلام بنى العاص بن سعيد ، فأتوهما ، فسألوهما ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى فقالا : نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء ، فكره

١- نهش : نهشته الحية لسعته .

٢- الطائفتان هنا العير وقريش .

٣- قال ابن هشام : ويقال : الشيخ سفيان الضمرى .

٤- الراوية : الإبل التى تحمل الماء .

القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبى سفيان فضربوهما ، فلما أذلقوهما «١» قالا نحن لأبى سفيان ، فتركوهما ، وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتيه ثم سلم وقال : إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ، صدقا والله إنهما لقريش ، أخبرانى عن قريش قالا : هم وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى «٢».

« والكثيب : العقنقل » فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « كم القوم ؟ » قالا : كثير ، قال : « ما عدتهم » قالا : ما ندرى ، قال : (كم ينحرون كل يوم ؟) قالا : يوما تسعاً ويوماً عشراً ، قال صلى الله عليه وسلم : (القوم ما بين التسعمائه والألف) ، ثم قال لهما : (فمن فيهم من أشراف قريش ؟) قالا : عقبة بن ربيعة ، وشيبة ابن ربيعة ، وأبو البخترى بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحرث ابن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عدى بن نوفل ، والنضر بن الحرث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن عبدود .

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس ، فقال : هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ أكبادها «٣» .

قال ابن عقبة : وزعموا أن أول من نحر لهم حين خرجوا من مكة أبو جهل بن هشام عشر جزائر «٤» ، ثم نحر لهم صفوان بن أمية بعسفان تسع جزائر ، ونحر لهم سهيل ابن عمرو بقديد عشر جزائر ، ومالوا من قديد إلى مناة من نحو البحر فظلوا فيها فأقاموا فيها يوماً ، فنحر لهم شيبة بن ربيعة تسع جزائر ، ثم أصبحوا بالجحفة فنحر لهم عتبة بن ربيعة عشر جزائر ، ثم أصبحوا بالابواء فنحر لهم مقيس بن عمرو الجمحى تسع جزائر ، ونحر لهم العباس بن عبد المطلب عشر جزائر ، ونحر لهم الحارث ابن نوفل تسعاً ، ونحر لهم أبو البخترى على ماء بدر عشر جزائر ، ونحر لهم مقيس الجمحى على ماء بدر تسعاً ، ثم شغلتهم الحرب فأكلوا من أزوادهم .

وقال ابن عائذ : كان مسيرهم وإقامتهم حتى بلغوا الجحفة عشر ليال .

قال ابن إسحق : وكان بسبس بن عمرو وعدى بن أبى الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدراً فأناخا إلى تل قريب من الماء ثم أخذا شنا «٥» لهما يستقيان فيه ، ومجدى بن عمرو الجهنى على الماء فسمع عدى وبسبس جاريتين من جوارى الحاضر «٦» وهما

١- أذ لقوهما : بالغوا فى ضربهما .

٢- العدوة : هى ناحية الوادى وجانبه والمراد وادى بدر . والقصوى : مؤنث . الأقصى بمعنى الأبعد والمراد ناحية الوادى البعيدة عن المدينة .

٣-أفلاذ أكبادها : الأفلاذ : جمع فلذة - بكسر فسكون - وهى القطعة

٤- الجزائر : جمع جزور وهو البعير ذكراً كان أو أنثى .

٥- الشن : القربة

٦- الحاضر : القوم النازلون على الماء .

تتلازمان «١» على الماء ، والملزومة «٢» تقول لصاحبتها : إنما تأتى العير غداً أو بعد غد ، فأعمل لهم ثم أقضيك الذى لك ، فقال مجدى : صدقت ، ثم خلص بينهما ، وسمع ذلك عدى وبسبس فجلسا على بعيرهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بما سمعا .

ثم أقبل أبو سفيان حتى تقدم العير حذراً ، حتى ورد الماء فقال لمجدى بن عمرو : هل أحسست أحداً ؟ قال : ما رأيت أحداً أنكره إلا أنى قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل ، ثم استقيا فى شىء لهما ، ثم انطلقا ، فأتى أبو سفيان مناخهما «٣» فأخذ من أبعار بعيريهما ففته ، ثم شمه ، فإذا فيه النوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب ، فرجع إلى أصحابه سريعاً فضرب وجه عيره عن الطريق فساحل «٤» بها ، وترك بدراً بيسار وانطلق حتى أسرع .

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة رأى جهيم بن أبى الصلت بن مخرمة بن عبد المطلب ابن عبد مناف رؤيا فقال : إنى رأيت فيما يرى النائم وإنى لبين النائم واليقظان ، وإذ نظرت إلى رجل أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ، ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف ، وفلان وفلان فعدد رجالاً ممن قتل يومئذ من أشراف قريش ، ورأيته ضرب فى لبة بعيره ، ثم أرسله فى العسكر فما بقى خباء من أخبية العسكر ، إلا أصابه نضح «٥» من دمه .

قال : فبلغت أبا جهل ، فقال : وهذا أيضاً نبى آخرمن بنى المطلب ، سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا .

قال ابن إسحق : ولما رأى أبو سفيان بن حرب أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، وقد نجاها الله ، فارجعوا ، فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع حتى نرد بدراً – وكان بدر موسماً من مواسم العرب ، يجتمع لهم به سوق كل عام – فنقيم عليه ثلاثاً فننحر الجزور ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا : فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها .

وقال الأخنس بن شريق – وكان حليفاً لبنى زهرة ، يا بنى زهرة قد نجى الله لكم أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بى جبنها «٦» ، وارجعوا ، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا فى غير ضيعة ، لا ما يقول

١– تتلازمان : أى تمسك كل منهما بصاحبتها .
٢– الملزومة : المدينة
٣– مناخهما : المكان الذى أناخا فيه بعيرهما .
٤– ساحل بها : أخذ بها جهة الساحل .
٥– النضح : الرش ونضح البيت رشه .
٦ – أى جبن هذه الملاقاه او الخرجة التى خرجتم

هذا ، يعنى أبا جهل ، فرجعوا ، فلم يشهدها زهرى ولا عدوى أيضاً . ومضى القوم وكان بين طالب بن أبى طالب – وكان فى القوم – وبين بعض قريش محاورة فقالوا : والله لقد علمنا يا بنى هاشم – وإن خرجتم معنا – إن هواكم لمع محمد ، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع .

ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادى خلف العقنقل (١)، وبطن الوادى ، وبعث الله السماء ، وكان الوادى دهسا (٢) ، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ما لبدلهم الأرض (٣) ، ولم يمنعهم من المسير ، وأصاب قريشاً منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر فنزل به .

قال ابن إسحق : فحدثت عن رجال من بنى سلمة أنهم ذكروا أن الحباب بن المنذر ابن الجموح قال : يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا أن نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : (بل هو الرأى والحرب والمكيدة)، قال : يا رسول الله ، إن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نغور (٤) ما وراءه من القلب (٥) ، ثم نبنى عليه حوضاً فنملؤه ماء ، فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأى ، فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس ، فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه ، ثم أمر بالقليب فغورت ، وبنى حوضاً على القليب الذى نزل عليه فملىء ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية .

وروينا عن ابن سعد فى هذا الخبر : فنزل جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : الرأى ما أشار به الحباب .

قال ابن إسحق : فحدثنى عبدالله بن أبى بكر أنه حدث : أن سعد بن معاذ قال : يا نبى الله ، ألا نبنى لك عريشا (٦) تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبى الله ، ما نحن بأشد لك حباً منهم ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم : يناصحونك ، ويجاهدون معك ، فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير ، ثم بنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش فكان فيه .

١– العقنقل : فى الأصل : الكثيب من الرمل .
٢– الدهس : المكان السهل اللين ليس برمل ولا تراب ولا طين .
٣– لبدلهم الأرض : جعل ترابها لا يثور ، وسهل لهم السير فيه .
٤– نغور : يجعله يغور فى الأرض .
٥– القلب : جمع قليب وهو البئر .
٦– العريش : الخيمة ، والبيت الذى يستظل به .

قال ابن إسحق : وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل وهو الكثيب الذى جاءوا منه إلى الوادى قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها «١» وفخرها تحادك «٢» وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى ، اللهم أحنهم «٣» الغداة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و «قد » رأى عتبة بن ربيعة فى القوم على جمل أحمر ، فقال : « إن يكن فى أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر ، إن يطيعوه يرشدوا » .

وقد كان خفاف بن أيماء بن رحضة أو أبوه أيماء بن رحضة الغفارى بعث إلى قريش - حين مروا به - ابناً له بجزائر أهداها لهم ، قال : إن أحببتم أن نمدكم بسلاح ورجال فعلنا ، قال : فأرسلوا إليه مع ابنه أن وصلتك رحم ، قد قضيت الذى عليك ، فلعمرى لئن كنا إنما نقاتل الناس فما بنا من ضعف ، ولئن كنا إنما نقاتل الله - كما يزعم محمد - ما لأحد بالله من طاقة .

فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم حكيم بن حزام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعوهم » فما شرب منه رجل يومئذ إلا قتل ، إلا ما كان من حكيم بن حزام ، فإنه لم يقتل ، ثم أسلم بعد ذلك فحسن إسلامه ، فكان إذا اجتهد فى يمينه قال : لا والذى نجانى من يوم بدر .

قال : وحدثنى أبى - رحمه الله - إسحق بن يسار وغيره من أهل العلم ، عن أشياخ من الأنصار ، قال لما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحى فقالوا : احزر «٤» لنا أصحاب محمد ، فاستجال بفرسه حول العسكر ، ثم رجع إليهم ، فقال : ثلاثمائة رجل ، يزيدون قليلاً أو ينقصون ، ولكن أمهلونى حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد ، قال : فضرب فى بطن الوادى حتى أبعد فلم ير شيئاً ، فرجع إليهم فقال : ما رأيت شيئاً ، ولكنى قد رأيت يا معشر قريش ، البلايا «٥» تحمل المنايا ، نواضح «٦» يثرب تحمل الموت الناقع «٧» ، قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ؟ فروا رأيكم .

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى فى الناس ، فأتى عتبة بن ربيعة ، فقال : يا أبا الوليد ، إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير

١- الخيلاء - بضم ففتح - التكبر والإعجاب بالنفس .

٢- تحادك : تعاديك .

٣- أحنهم : أهلكهم . ٤- الحزر : التقدير .

٥- البلايا: جمع بلية وهى الناقة التى أبلاها السفر .

٦- النواضح : واحدها ناضح ، الإبل التى يستقى عليها . ٧- الناقع : الثابت

إلى آخر الدهر ، قال : وما ذلك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو ابن الحضرمى «١» ، قال : قد فعلت ، أنت على بذلك ، إنما هو حليفى فعلى عقله «٢» وما أصيب به من ماله فأت ابن الحنظلية «٣» – يعنى أبا جهل بن هشام .

ثم قام عتبة خطيباً فقال : يا معشر قريش ، والله ما تصنعون أن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه ، أو ابن خاله ، أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذاك الذى أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون .

قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نثل درعاً «٤» له من جرابها ، فقلت له : يا أبا الحكم ، إن عتبة أرسلنى إليك بكذا وكذا ، للذى قال فقال : انتفخ والله سحره «٥» حين رأى محمداً وأصحابه ، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قال ، ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابه أكلة جزور «٦» وفيهم ابنه قد تخوف عليه .

ثم بعث إلى عامر بن الحضرمى فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرك بعينيك فقم فانشد «٧» خفرتك «٨» ومقتل أخيك .

فقام عامر بن الحضرمى فاكتشف ، ثم صرخ : واعمراه ! فحميت الحرب وحقب «٩» أمر الناس واستوسقوا «١٠» على ما هم عليه من الشر ، وأفسد على الناس الرأى الذى دعاهم إليه عتبة . فلما بلغ عتبة قول أبى جهل : انتفخ والله سحره ، قال : سيعلم مصفر أسته «١١» من انتفخ سحره أنا أم هو .

ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها فى رأسه ، فما وجد فى الجيش بيضة تسعه ، من عظم

١– هو الذى قتل فى سرية عبد الله بن جحش .

٢– العقل : الدية

٣– قال ابن هشام : والحنظلة أم أبى جهل وهى : أسماء بنت مخربة أحد بنى نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم .

٤– نثل درعه : أخرجها .

٥– السحر : بفتح السين ، الرئة وما حولها ، وهو كناية عن شدة الخوف وتمكن الفزع .

٦– عددهم قليل .

٧– انشد : أذكر

٨– الخفرة – بضم الخاء أو فتحها – العهد

٩– حقب أمر الناس : اشتد

١٠– استوسقوا : إجتمعوا

١١– قال أبو ذر : قال ابن هشام : هو مما يؤنث به الرجل وليس من الجبن ، قال الشيخ الفقيه أبو ذر : العرب تقول هذا القول للرجل الجبان ولا تريد به التأنيث أ هـ

هامته ، فلما رأى ذلك اعتجر [1] على رأسه ببرد له .
وقال ابن عائذ : قال رجال من المشركين لما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : غر هؤلاء دينهم منهم : أبو البختري بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو جهل ابن هشام ، وذكر غيرهم لما تقالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعينهم ، فأنزل الله تعالى : (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم [2]) . الآية . حتى نزلوا وتعبؤا للقتال والشيطان معهم لا يفارقهم .
قال ابن إسحق : وقد خرج الأسود بن عبد الأسود المخزومي ، وكان رجلاً شرساً سيء الخلق ، فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه ، فلما خرج خرج إليه حمزة بن عبد المطلب فلما التقيا ضربه حمزة فأطن [3] قدمه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب [4] رجله دماً ، نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد زعم أن يبر يمينه ، واتبعه حمزة ، فضربه حتى قتله على الحوض .
ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة حتى نصل [5] من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتية من الأنصار وهم : عوف ومعوذ ابنا الحرث وأمهما عفراء ، ورجل آخر يقال له : عبد الله بن رواحة ، فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار ، قالوا ما لنا بكم من حاجة .
وقال ابن عقبة وابن عائذ حين ذكرا خروج الأنصار قال : فاستحيا النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك ، لأنه كان أول قتال التقى فيه المسلمون والمشركون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد معهم ، فأحب النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون الشوكة لبني عمه ، فناداهم النبي صلى الله عليه وسلم : أن ارجعوا إلى مصافكم ، وليقم إليهم بنو عمهم .
رجع إلى ابن إسحق : ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا عبيدة بن الحرث ، قم يا حمزة ، قم يا علي فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من أنتم ؟ قال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال عليّ : عليّ ، قالوا : نعم أكفاء كرام ، فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة ، وبارز عليّ الوليد بن عتبة ، فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما

١- اعتجر : تعمم
٢- سورة الأنفال : الآية ٤٩
٣- أطن قدمه : قطعها .
٤- تشخب : تسيل
٥- نصل : خرج

أثبت «١» صاحبه ، وكر حمزة وعلى بأسيافهما على عتبة فذففا عليه «٢» ، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه .

قال : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أن عتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار حين انتسبوا : أكفاء كرام ، إنما نريد قومنا قال : ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ألا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إن أكتنفكم «٣» القوم فانضحوهم «٤» عنكم بالنبل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش معه أبو بكر الصديق .

قال : وحدثنى حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفى يده قدح يعدل به القوم ، فمر بسواد ابن غزية حليف بنى عدى بن النجار ، وهو مستنتل «٥» من الصف .

قال ابن هشام : فطعن فى بطنه بالقدح ، وقال : (استو يا سواد) فقال : يا رسول الله أوجعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل ، فأقدنى «٦» ، قال : فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال : (استقد) : قال : فاعتنقه ، فقبل بطنه ، فقال : (ما حملك على هذا يا سواد ؟) قال : يا رسول الله ، حضر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقاله له .

قال ابن إسحق : ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ورجع إلى العريش ، فدخله ومعه أبو بكر ليس معه فيه غيره ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده بالنصر ، ويقول فيما يقول :

(اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد) ، وأبو بكر يقول : يا رسول الله بعض مناشدتك ربك . فإن الله منجز لك ما وعدك .

وقد خفق «٧» رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو فى العريش ثم انتبه فقال : أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان «٨» فرسه يقوده ، على ثناياه النقع يريد الغبار .

وقال ابن سعد فى هذا الخبر : وجاءت ريح لم يروا مثلها شدة ، ثم ذهبت ، فجاءت ريح

١- حبسه وجعله ثابتاً فى مكانه لا يفارقه .

٢- ذففا عليه : أسرعا فى قتله .

٣- اكتنفكم القوم : أحاطوا بكم .

٤- انضحوهم : ادفعوهم .

٥- مستنتل : متقدم

٦- أقدنى : اقتص لى من نفسك

٧- خفق خفقة : نام نوماً يسيرا .

٨- عنان : زمام

أخرى ثم ذهبت ، فجاءت ريح أخرى ، فكانت الأولى جبريل فى ألف من الملائكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثانية ميكائيل فى ألف من الملائكة عن ميمنة رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم ، والثالثة إسرافيل فى ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروينا من طريق مسلم حدثنا هناد بن السرى ثنا ابن المبارك ، عن عكرمة بن عمار قال : حدثنى سماك الحنفى ، قال : سمعت ابن عباس يقول : حدثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لما كان يوم بدر ، نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف ، وأصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً ، فاستقبل نبى الله صلى الله عليه وسلم القبلة ، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه : اللهم أنجز لى ما وعدتنى .

وفيه ، فأنزل الله عز وجل عند ذلك : (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين «١») فأمده الله بالملائكة .

قال أبو زميل : فحدثنى ابن عباس قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم «٢» فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط ، فاخضر ذلك أجمع ، فجاء الأنصارى فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة ، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين ، الحديث .

وروينا من طريق البخارى حدثنى إبراهيم بن موسى قال : أنا عبدالوهاب ثنا خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر : هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب .

وروينا عن ابن سعد قال : أنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن بدر ثنا أيوب ، ويزيد ابن حازم أنهما سمعا عكرمة يقرؤها « فثبتوا الذين آمنوا » قال حماد : وزاد أيوب قال : قال عكرمة « فاضربوا فوق الأعناق » قال : كان يومئذ يندر رأس الرجل لا يدرى من ضربه ، وتندر يد الرجل لا يدرى من ضربه .

قال ابن إسحق : وقد رمى مهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل ، فكان أول قتيل من المسلمين ، ثم رمى حارثة بن سراقة أحد بنى عدى بن النجار – وهو يشرب من الحوض – بسهم ، فأصاب نحره فقتل .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرضهم ، وقال : « والذى نفس

١– سورة : الأنفال : الآية ٩

٢– سيأتى تفسيره من كلام المؤلف .

محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » .

فقال عمير بن الحمام أخو بنى سلمة ، وفى يده تمرات يأكلهن : بخ بخ «١» أفما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ، قال ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتل .

وقال ابن عقبة : أول قتيل من المسلمين يومئذ عمير بن الحمام .

وقال ابن سعد : فكان أول من جرح من المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب ، فقتله عامر بن الحضرمى ، وكان أول قتيل قتل من الأنصار حارثة بن سراقة ويقال : قتله حبان بن العرقة «٢» ويقال : عمير بن الحمام قتله خالد بن الأعلم العقيلى .

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أن عوف بن الحرث – وهو ابن عفراء – قال : يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده ؟ قال : (غمسه يده فى العدو حاسراً) فنزع درعاً كانت عليه فقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل .

وحدثنى محمد بن مسلم ، عن عبدالله بن ثعلبة بن صعير العذرى حليف بنى زهرة أنه حدثه ، أنه لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قال أبو جهل : اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا يعرف فأحنه «٣» الغداة فكان هو المستفتح «٤» على نفسه . قال : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من الحصباء «٥» فاستقبل بها قريشاً ثم قال : شاهت «٦» الوجوه ثم نفحهم بها «٧» وأمر أصحابه فقال : شدوا . فكانت الهزيمة ، فقتل الله تعالى من قتل من صناديد «٨» قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم .

قال ابن عقبة وابن عائذ : فكانت تلك الحصباء عظيماً شأنها ، لم تترك من المشركين رجلاً إلا ملأت عينيه ، وجعل المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم ، وبادر النفر كل رجل منهم منكباً على وجهه لا يدرى أين يتوجه يعالج التراب ينزعه من عينيه .

رجع إلى خبرابن إسحق: فلما وضع القوم أيديهم يأسرون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش ، وسعد بن معاذ قائم على باب العريش الذى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم متوشحاً السيف فى نفر من الأنصاريحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم يخافون عليه كرة العدو .

١– بخ بخ : كلمة تقال عند الإعجاب أو الفخر .

٢– حبان : بكسر الحاء وتشديد الباء ، والعرقة بفتح العين المهملة وكسر الراء .

٣– أحنه : أهلكه ، وأصله الحين ، وهو الهلاك .

٤– المستفتح : أراد الذى حكم على نفسه بهذا الدعاء .

٥– الحصباء : الحصى .

٦– شاهت : قبحت

٧– نفحهم : رماهم

٨– الصناديد : جمع صنديد ، وهو الشريف السيد .

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم – فيما ذكر لى – فى وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم ؟ قال : أجل والله يا رسول الله ، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك ، فكان الإثخان (١) فى القتل أحب إلى من استبقاء الرجال .

قال : وحدثنى العباس بن عبدالله بن معبد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ : إنى قد عرفت أن رجالاً من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقى منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ، ومن لقى أبا البخترى (٢) بن هشام فلا يقتله ، ومن لقى العباس ابن عبد المطلب فلا يقتله فإنما خرج مستكرها . وذكر ابن عقبة فيهم عقيلا ونوفلا .

قال : فقال أبو حذيفة : أنقتل آباءنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس ؟ والله لئن لقيته لألجمنه السيف . قال : فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لعمر بن الخطاب : (يا أبا حفص) قال عمر : والله إنه لأول يوم كنانى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى حفص « أيضرب وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف » فقال عمر : يا رسول الله ، دعنى فلأ ضرب عنقه بالسيف ، فوالله لقد نافق ، فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بأمن من تلك الكلمة التى قلتها يومئذ ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفرها عنى الشهادة ، فقتل يوم اليمامة شهيداً .

فلقى أبا البخترى المجذر بن زياد البلوى فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد نهانا عن قتلك ، ومع أبى البخترى زميل له خرج معه من مكة ، وهو جنادة بن مليحة ، قال : وزميلى ؟ قال له المجذر : لا والله ما نحن بتاركى زميلك ، ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدك ، قال : لا والله لأموتن إذن أنا وهو جميعاً لا تحدث عنى نساء مكة أنى تركت زميلى حرصاً على الحياة ، فقتله المجذر ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والذى بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به فأبى إلا أن يقاتلنى ، فقاتلنى فقتلته .

قال ابن عقبة : ويزعم ناس أن أبا اليسر قتل أبا البخترى بن هشام ، ويأبى معظم الناس إلا أن المجذر هو الذى قتله ، بل قتله غير شك أبو داود المازنى ، وسلبه سيفه فكان عند بنيه حتى باعه بعضهم من بعض ولد أبى البخترى .

قال ابن إسحق : حدثنى يحيى بن عباد عن عبدالله بن الزبير ، عن أبيه قال : وحدثنيه أيضاً عبدالله بن أبى بكر وغيرهما : أن عبد الرحمن بن عوف لقيه أمية بن خلف ومعه

١– أثخن فى العدو : بالغ الجراحة فيهم ، وأثخن فى الأرض قتلاً : إذا أكثره .

٢– إنما نهى الرسول عن قتل أبى البخترى لأنه كان أكف الناس عن النبى الكريم وهو بمكة ، وكان لا يؤذيه ، ولا يبلغه عنه شىء يكرهه ، وكان ممن قام بنقض الصحيفة التى كتبت على بنى هاشم وبنى المطلب .

ابنه على ، ومع عبدالرحمن أدراعاً استلبها قال : هل لك فى فأنا خير لك من هذه الأدراع التى معك ، قال : قلت : نعم ، فطرحت الأدراع من يدى ، فأخذت بيده ويد ابنه وهو يقول : ما رأيت كاليوم قط أما لكم حاجة فى اللبن ؟ ثم خرجت أمشى بهما .
قال : حدثنى عبدالواحد بن أبى عون ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عبد الرحمن ابن عوف ، أن أمية بن خلف قال له : من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة فى صدره ؟ قال : قلت : ذاك حمزة بن عبد المطلب ، قال : ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل ، قال عبد الرحمن : فوالله إنى لأقودهما إذ رآه بلال معى ، وكان هو الذى يعذب بلالاً بمكة على ترك الإسلام فيخرجه إلى رمضاء «١» مكة إذا حميت فيضجعه على ظهره ثم يأمر بصخرة عظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول : لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد ، فيقول بلال : أحد أحد ، قال : فلما رآه قال : رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا ، قال : ثم صرخ بأعلى صوته يا أنصار الله ، رأس الكفر أمية بن خلف ، لانجوت إن نجا ، قال قلت : اسمع يا ابن السوداء ، قال : لا نجوت إن نجا ، قال : ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا قال : فأحاطوا بنا حتى جعلونا فى مثل المسكة «٢» ، قال : فأخلف رجل السيف «٣» فضرب رجل ابنه فوقع وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثلها قط ، قال فقلت : انج بنفسك ولا نجاء بك فوالله ما أغنى عنك شيئاً ، قال : فهبروهما «٤» بأسيافهم ، حتى فرغوا منهما ، قال : فكان عبد الرحمن يقول : يرحم الله بلالا ذهبت أدراعى وفجعنى بأسيرى.
قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث عن ابن عباس ، قال : حدثنى رجل من بنى غفار ، قال : أقبلت أنا وابن عم لى حتى اصعدنا فى جبل يشرف بنا على بدر، ونحن مشركان ، ننتظر على من تكون الدبرة «٥» فننتهب مع من ينتهب ، قال : فبينا نحن فى الجبل إذ دنت منا سحابة ، فسمعنا فيها حمحمة الخيل ، فسمعت قائلا يقول : أقدم حيزوم ، فأما ابن عمى فانكشف قناع قلبه ، فمات مكانه ، وأما أنا فكدت أهلك ، ثم تماسكت . قال : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن بعض بنى ساعدة ، عن أبى أسيد مالك بن ربيعة ، وكان قد شهد بدراً قال : بعد أن ذهب بصره : لو كنت اليوم ببدر ومعى بصرى لأريتكم الشعب الذى منه خرجت الملائكة لا أشك ولا أتمارى .
قال : وحدثنى أبى إسحق بن يسار ، عن رجال من بنى مازن بن النجار ، عن أبى داود المازنى ، وكان شهد بدراً قال : إنى لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفى فعرفت أنه قد قتله غيرى .

١- الرمضاء : الرمل الشديد الحرارة من الشمس .　　٢- المسكة : السوار .
٣- يقال : أخلف الرجل الى سيفه ، إذا رد يده إليه فسله من غمده .
٤- هبروهما : قطعوا لحمهما .
٥- الدبرة : بفتح الدال ، وهى الهزيمة .

وحدثنى من لا أتهم ، عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن عباس ، قال : كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء قد أرسلوها فى ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمراً .

وروينا هذا الخبر من طريق مالك بن سليمان الهروى ، عن الهياج ، عن الحسن ، عن عمارة ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس بمعناه .

ولم تقاتل الملائكة فى يوم سوى يوم بدر ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً لا يضربون .

وذكر ابن هشام عن بعض أهل العلم أن جبريل عليه السلام كانت عليه يوم بدر عمامة صفراء ، وكان شعارهم يوم بدر « أحد أحد » .

قال ابن إسحق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه أمر بأبى جهل أن يلتمس فى القتلى ، وكان أول ما لقى أبا جهل - كما حدثنى ثور بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، وعبد الله بن أبى بكر أيضاً قد حدثنى ذلك - قال : معاذ بن عمرو ابن الجموح أخو بنى سلمة : سمعت القوم وأبو جهل فى مثل الحرجة (1) ، وهم يقولون : أبو الحكم لا يخلص إليه ، قال : فلما سمعتها جعلته من شأنى ، فصمدت (2) نحوه فلما أمكننى حملت عليه ، فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه فوالله ما شبهتها - حين طاحت (3) إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخة (4) النوى حين يضرب بها .

قال : وضربنى ابنه عكرمة على عاتقى فطرح يدى ، فتعلقت بجلدة من جسمى ، وأجهضنى (5) القتال عنه ، فلقد قاتلت عامة يومى وإنى لأسحبها خلفى ، فلما آذتنى وضعت عليها قدمى ، ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها .

قال القاضى أبو الفضل عياض بن موسى : وزاد ابن وهب فى روايته : فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلصقت .

قال ابن إسحق : ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان .

ثم مر بأبى جهل - وهو عقير - معوذ بن عفراء ، فضربه حتى أثبته وبه رمق ، وقاتل معوذ حتى قتل ، فمر عبد الله بن مسعود بأبى جهل - حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتمس فى القتلى - وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى : « انظروا إن خفى عليكم فى القتلى إلى أثر جرح فى ركبته ، فإنى إزدحمت

1- قال ابن هشام : الحرجة : الشجر الملتف ، وفى الحديث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سأل أعرابياً عن الحرجة فقال : هى شجرة بين الأشجار لا يوصل إليها

2- صمدت نحوه : قصدت إلى جهته .

3- طاحت : ذهبت .

4- المرضخة : الحجر الذى يكسر به النوى .

5- أجهضنى : غلبنى واشتد علىّ

يوماً أنا وهو على مأدبة لعبد الله بن جدعان ، ونحن غلامان ، وكنت أشف «١» منه بيسير ، فدفعته ، فوقع على ركبتيه ، فجحش «٢» في إحداهما جحشاً لم يزل أثره به »
قال عبد الله بن مسعود : فوجدته بآخر رمق ، فعرفته فوضعت رجلي على عنقه قال : وقد كان ضبث «٣» بي مرة بمكة فآذاني ولكزني ، ثم قلت له : هل أخزاك الله يا عدو الله ؟ قال : وبماذا أخزاني ؟ أعمد «٤» من رجل قتلتموه ؟ أخبرني لمن الدبرة ؟ قال : قلت لله ولرسوله .
قال ابن هشام : ويقال : أعار على رجل قتلتموه أخبرني لمن الدائرة اليوم .
قال ابن إسحق : وزعم رجال من بني مخزوم أن ابن مسعود كان يقول : قال لي : لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعباً قال : ثم احتززت رأسه ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، هذا رأس عدو الله أبي جهل ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آلله الذي لا إله غيره » قال : وكانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : قلت : نعم ، والله الذي لا إله غيره ، ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله تعالى .
أخبرنا عبد الرحيم بن يوسف الموصلي بقراءة والدي عليه قال : أنا أبو علي حنبل ابن عبد الله الرصافي أن أبا القاسم بن الحصين أخبره قال : أنا أبو علي بن المذهب ، قال : أنا أبو بكر القطيعي قال : أنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا أبي حدثنا يوسف ابن الماجشون ، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه عن عبد الرحمن ابن عوف أنه قال : إني لواقف يوم بدر في الصف ، نظرت عن يميني وعن شمالي ، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما ، تمنيت لو كنت بين أضلع منهما ، فغمزني أحدهما فقال : يا عم ، هل تعرف أبا جهل بن هشام ؟ قال : قلت : نعم ، وما حاجتك يا ابن أخي ؟ قال : بلغني أنه كان يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذي نفسي بيده ، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا ، قال : فغمزني الآخر فقال مثلها قال : فعجبت لذلك ، قال : فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يزول في الناس ، فقلت لهما : ألا تريان هذا صاحبكما الذي تسألان عنه ، فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه ، فقال : (أيكما قتله ؟) فقال كل واحد منهما : أنا قتلته ، قال : (هل مسحتما سيفيكما ؟) قالا : لا فنظر في السيفين ، فقال : (كلاكما قتله) .

١- أشف منه : أكبر منه .
٢- جحش : خدش
٣- ضبث : قبض عليه
٤- أعمد : أعجب

وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح وهما : معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعاذ ابن عفراء ، رواه مسلم ، عن يحيى بن يحيى ، عن يوسف بن الماجشون فوقع لنا عالياً .

وروينا عن ابن عقبة : أن عبد الله بن مسعود وجده مقنعاً فى الحديد وهو منكب لا يتحول ، فظن أنه قد أثبت فتناول قائم سيفه فاستله وهو منكب لا يتحرك فرفع سابغة البيضة عن قفاه فضربه فوقع رأسه بين يديه ثم سلبه ، فلما نظر إليه إذا هو ليس به جراح ، وأبصر فى عنقه خدراً وفى يديه وكتفيه كهيئة آثار السياط ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : ذاك ضرب الملائكة .

وروينا عن ابن عائذ ثنا الوليد قال : حدثنى خليد عن قتادة ، أنه سمعه يحدث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن لكل أمة فرعوناً ، وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل ، قتله الله شر قتله ، قتله ابنا عفراء ، وقتلته الملائكة ، وتدافه ابن مسعود يعنى أجهز عليه » .

قال ابن إسحق : وقاتل عكاشة بن محصن الأسدى يوم بدر بسيفه حتى انقطع فى يده فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه جذلا «١» من حطب ، فقال : قاتل بهذا « يا عكاشة » فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه فعاد سيفاً فى يده طويل القامة ، شديد المتن ، أبيض الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين ، وكان ذلك السيف يسمى العون ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل فى الردة وهو عنده .

وقال الواقدى : وحدثنى أسامة بن زيد الليثى ، عن داود بن الحصين ، عن رجال من بنى عبد الأشهل قالوا : انكسر سيف سلمة بن أسلم بن الحريس يوم بدر ، فبقى أعزل لاسلاح معه ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيباً كان فى يده من عراجين ابن طاب «٢» فقال : « اضرب به » فإذا سيف جيد ، فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبى عبيد .

قال ابن إسحق : وحدثنى يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا فى القليب «٣» طرحوا فيه ، إلا ما كان من أمية بن خلف ، فإنه انتفخ فى درعه فملأها ، فذهبوا ليحركوه ، فتزايل «٤» فأقروه ، وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة .

وروينا عن الطبرى ثنا موسى بن الحسن الكسائى ثنا شيبان بن فروخ ثنا سليمان ابن المغيرة عن ثابت عن أنس بن مالك قال : أنشأ عمر بن الخطاب يحدثنا عن أهل بدر فقال :

١- الجذل - بكسر فسكون - أصل الشجرة .

٢- عذق ابن طاب نخل بالمدينة ، وابن طاب ضرب من الرطب .

٣- القليب : البئر .

٤- فى ابن إسحق : فتزايل لحمه أى تفرقت أعضائه

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول : هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله ، قال عمر : فوالذى بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدود التى حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] حتى انتهى إليهم ، فقال : يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان هل ما وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً ؟ فإنى وجدت ما وعدنى الله حقاً ، فقال عمر : يا رسول الله كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها ؟ فقال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيئاً .
وروينا عن ابن عائذ : أخبرنى الوليد بن مسلم أخبرنى سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن أنس ، عن أبى طلحة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاثاً ، فلما كان يوم بدر أقام ثلاثاً ، وألقى بضعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش طوى من فى أطواء بدر ، ثم أمر براحلته فشد عليها رحلها فقلنا : إنه منطلق لحاجة ، فانطلق حتى وقف على شفى الركى فجعل يقول : يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان . الحديث .
وروينا من طريق مالك بن سليمان الهروى ثنا معمر ، عن حميد الطويل ، عن أنس وفى آخره قال قتادة : « أحياهم الله حتى سمعوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم توبيخاً لهم » .
هذا حمل لهذا الخبر على ظاهره . وقد روينا عن عائشة رضى الله عنها أنها تأولت ذلك ، وقالت : إنما أراد النبى صلى الله عليه وسلم أنهم الآن ليعلمون أن الذى أقول لهم هو الحق ثم قرأت : « إنك لا تسمع الموتى [2] » .
رجع إلى الخبر عن ابن إسحق : قال وتغير وجه أبى حذيفة بن عتبة عند طرح أبيه فى القليب ففطن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : (لعلك دخلك فى شأن أبيك شىء) ، فقال : لا والله ، لكنى كنت أعرف من أبى رأياً وحلماً وفضلاً ، فكنت أرجو أن يهديه الله للإسلام ، فلما رأيت ما مات عليه أخذنى ذلك ، قال : فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، وقال له خيراً .
ومات يومئذ فتية من قريش على كفرهم ، ممن كان فتن على الإسلام ، فافتتن بعد إسلامه منهم :
من بنى أسد : الحرث بن زمعة بن الأسود .
ومن بنى مخزوم : أبو قيس بن الفاكه ، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة .
ومن بنى جمح : على بن أمية بن خلف .
ومن بنى سهم : العاص بن منبه بن الحجاج .

١- وفى ذلك معجزة للرسول الكريم ، حيث أخبرهم بمصرع جبابرة المشركين فوقع ما أخبرهم به .
٢- سورة النمل : الآية ٨٠ .

فنزل فيهم : (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم «١») .
ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فى العسكر مما جمع الناس فجمع ، فاختلف المسلمون فيه ، فقال من جمعه : هو لنا ، وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه : لولا نحن ما أصبتموه نحن شغلنا عنكم العدو فهو لنا ، وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد رأينا أن نقتل العدو حين منحنا الله أكتافهم ، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن له من يمنعه ، ولكنا خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كرة العدو ، فما أنتم بأحق به منا .
فنزعه الله من أيديهم فجعله إلى رسول الله فقسمه فى المسلمين عن بواء ، يقول عن السواء .

وروينا عن ابن عائذ أخبرنى الوليد بن مسلم قال : وأخبرنى سعيد بن بشير ، عن محمد بن السائب الكلبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما كان يوم بدر قال : من قتل قتيلاً فله سلبه ومن جاء بأسير فله سلبه .
فجاء أبو اليسر بأسيرين ، فقال سعد : أى رسول الله ، أما والله ، ما كان بنا جبن عن العدو ، ولا ضن بالحياة أن نصنع ما صنع إخواننا ولكن رأيناك قد أفردت ، فكرهنا أن تكون بمضيعة ، قال : فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوزعوا تلك الغنائم بينهم .
المشهور أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قتل قتيلاً فله سلبه » إنما كان يوم حنين ، وأما قوله ذلك يوم بدر وأحد فأكثر ما يوجد من رواية من لا يحتج به .
وقد روى أرباب المغازى والسير أن سعد بن أبى وقاص قتل يوم بدر سعيد بن العاص ، وأخذ سيفه ، فنفله رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه حتى نزلت سورة الأنفال .
وأن الزبير بن العوام بارز يومئذ رجلاً فنفله رسول الله صلى الله عليه وسلم سلبه ، وأن ابن مسعود نفله رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سلب أبى جهل .
وأما ابن الكلبى فمضعف عندهم ، وروايته ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس مخصوصة بمزيد تضعيف .
رجع إلى خبر ابن إسحق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية بما فتح الله على رسوله وعلى المسلمين ، وبعث زيد بن حارثة إلى السافلة ، قال أسامة بن زيد : فأتانا الخبر حين سوينا «٢» على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل عليه السلام قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين وفيهم : عقبة بن أبى معيط ، والنضر بن الحرث .

١- سورة النساء : الآية ٩٧ .
٢- يريد دفنوها وسووا التراب على قبرها .

واحتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه النفل (١)، الذى أصيب من المشركين ، وجعل عليه عبد الله بن كعب من بنى مازن بن النجار .
ثم أقبل عليه السلام حتى إذا خرج من مضيق الصفراء فقسم النفل بين المسلمين على السواء .
وبالصفراء أمر علياً فقتل النضر بن الحرث ، ثم بعرق الظبية (٢)، قتل عقبة بن أبى معيط ، فقال حين قتله : من للصبية يا محمد ؟ قال :(النار) والذى قتله عاصم بن ثابت ابن أبى الأقلح ، وقيل على ، والذى أسره عبد الله بن سلمة .
ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم .
قال ابن إسحق : وحدثنى نبيه بن وهب أخو بنى عبد الدار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالأسارى فرقهم بين أصحابه ، وقال : « استوصوا بهم خيرا » .
قال : فكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب « بن عمير » لأبيه وأمه فى الأسارى ، فقال : مر بى أخى مصعب ورجل من الأنصار يأسرنى ، فقال له : شد يديك به فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك ، فكنت فى رهط من الأنصار – حين أقبلوا بى من بدر – فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصونى بالخبز وأكلوا التمر : لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا ، ثم فدى بأربعة آلاف درهم وهى أعلى الفداء .
وذكر قاسم بن ثابت فى دلائله : أن قريشاً لما توجهت إلى بدر مرهاتف من الجن على مكة فى اليوم الذى وقع بهم المسلمون وهو ينشد بأبعد صوت ولا يرى شخصه .

أزار الحنيفيون بدراً وقيعة	سينقض منها ركن كسرى وقيصرا
أبادت رجالاً من قريش وأبرزت	خرائد يضربن الترائب حسرا
فياويح من أمسى عدو محمد	لقد جار عن قصد الهوى وتحيرا

فقال قائلهم : من الحنفيون ؟ فقالوا : هم محمد وأصحابه يزعمون أنهم على دين إبراهيم الحنيف ، ثم لم يلبث النفر أن جاءهم الخبر .
رجع إلى الأول : وكان أول من قدم بمصابهم الحيسمان بن عبد الله الخزاعى ، وكان يسمى ابن عبد عمرو – وأسلم بعد ذلك – فقال : قتل عتبة ، وشيبة ، وأبو الحكم ، وأمية وفلان وفلان ، فقال صفوان بن أمية وهو جالس فى الحجر : والله إن يعقل هذا ، فسلوه عنى ، فسألوه فقال : هو ذاك جالساً فى الحجر ، وقد رأيت أباه وأخاه حين قتلا ..

١- النفل : الغنيمة .
٢- عرق الظبية : موضع قرب الروحاء ، والروحاء موضع بين مكة والمدينة على نحو ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة .

ذكر الخبر عن مهلك أبى لهب

قال ابن إسحق : وحدثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة مولى ابن عباس قال : قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس ، وأسلمت أم الفضل ، وأسلمت أنا ، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم ، فكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال ، فلما جاء الخبر عن مصاب قريش ببدر ، وكنت رجلاً ضعيفاً ، أعمل الأقداح (١) أنحتها فى حجرة زمزم ، فوالله إنى لجالس فيها أنحت (٢) أقداحى ، وعندى أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر ، إذا أقبل أبو لهب يجر رجليه ، حتى جلس على طنب الحجرة (٣) فكان ظهره إلى ظهرى ، فبينا هو جالس إذ قدم أبو سفيان ابن الحرث فقال أبو لهب : هلم إلى فعندك الخبر ، فقال : والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا ، وايم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض ، والله ما تليق شيئاً (٤) ولا يقوم لها شيء قال أبو رافع : فرفعت طنب الحجرة بيدى ثم قلت : ذلك والله الملائكة ، قال : فرفع أبو لهب يده فضرب وجهى ضربة شديدة ، قال : وثاورته (٥) فاحتملنى فضرب بى الأرض ثم برك على يضربنى ، فقامت أم الفضل إلى عمود فضربته به ضربة فلغت (٦) فى رأسه شجة منكرة ، وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيده ؟ فقام مولياً ذليلاً ، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته .

قال ابن إسحق فى رواية يونس بن بكير عنه : أنهم لم يحفروا له ، ولكن أسندوه إلى حائط وقذفوا عليه الحجارة من خلف الحائط حتى واروه .

وذكر محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه : أن العدسة قرحة كانت العرب تتشاءم بها ، ويرون أنها تعدى أشد العدوى ، فلما أصابت أبا لهب تباعد عنه بنوه وبقى بعد موته ثلاثاً لا تقرب جنازته ، ولا يحاول دفنه . فلما خافوا السبة فى تركه حفروا له ، ثم رفعوه بعود فى حفرته ، وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه .

ويروى أن عائشة رضى الله عنها كانت إذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها .

١- الأقداح : جمع قدح ، يريد أنه كان يصنعها من الخشب .
٢- أنحت : أى أنجرها .
٣- طنب الحجرة : طرفها ، وطنب الخباء : حباله التى يشد بها .
٤- ما تليق شيئاً : أى ما تبقى شيئاً .
٥- ثاورته : وثبت إليه .
٦- فلغت : شقت .

(قريش تبكى على قتلاها)

قال ابن إسحق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : ناحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا فى أسراكم حتى تستأنوا [1] بهم لا يارب [2] عليكم محمدوأصحابه فى الفداء

قال ابن عقبة : أقام النوح شهراً .

قال ابن إسحق : وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده : زمعة بن الأسود ، وعقيل بن الأسود ، والحرث بن زمعة ، وكان يحب أن يبكى على بنيه ، قال : فبينا هو كذلك إذ سمع صوت نائحة من الليل ، فقال لغلام له . وقد ذهب بصره – انظر هل أحل النحب [3] ؟ هل بكت قريش على قتلاها لعلى أبكى على أبى حكيمة ؟ يعنى زمعة – فإن جوفى قد أحترق ، قال : فلما رجع إليه الغلام قال : إنما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلته قال : فذلك حين يقول الأسود :

أتبكى أن يضل لها بعير	وتمنعها من النوم السهود [4]
فلا تبكى على بكر ولكن	على بدر تقاصرت الجدود [5]

(قريش تفدى أسراها)

وكان فى الأسارى أبو وداعة بن ضبيرة السهمى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن له بمكة ابنا كيساً تاجراً ذا مال – يعنى المطلب – وكأنكم به قد جاء فى طلب فداء أبيه) ، قال : قالت : قريش : لا تعجلوا بفداء أسراكم لا يارب عليكم محمد وأصحابه : قال المطلب : صدقتم لا تعجلوا ، وانسل من الليل فقدم المدينة فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم وانطلق .

ثم بعثت قريش فى فداء الأسارى ، فقدم مكرز بن حفص بن الأخيف فى فداء سهيل ابن عمرو ، وكان الذى أسره مالك بن الدخشم ، وكان سهيل أعلم بشفته السفلى .

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن عمرو بن عطاء أخو بنى عامر بن لؤى أن عمر ابن الخطاب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، إنزع ثنيتى سهيل ابن عمرو يدلع لسانه [6] فلا يقوم عليك خطيباً فى موطن أبداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا أمثل به فيمثل الله بى وإن كنت نبياً » .

١– تستأنوا : تؤخرون فداهم

٢– لا يارب : لا يشتد

٣– النحب : البكاء بصوت ، والمعروف فيه النحيب

٤– السهود : عدم النوم

٥– البكر : الفتى من الإبل ، والجدود : جمع جد ، وهو الحظ .

٦– يدلع لسانه : يخرج

قال ابن إسحق : وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر في هذا الحديث « إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمه » .

فلما قاولهم فيه مكرز وانتهى إلى رضاهم قالوا : هات الذي لنا ، قال : اجعلوا رجلي مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه ، ففعلوا .

وكان عمرو بن أبي سفيان أسيراً في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل لأبي سفيان : إفد عمراً ابنك ، فقال : أيجمع على دمي ومالي ؟ قتلوا حنظلة وأفدي عمراً ؟ دعوه في أيديهم يمسكونه ما بدالهم . قال : فبينا هو كذلك إذ خرج سعد بن النعمان ابن أكال أخو بني عمرو بن عوف معتمراً فعدا عليه أبو سفيان فحبسه بابنه عمرو ، ثم قال أبو سفيان .

أرهط ابن أكال أجيبوا دعاءه   تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا

فإن بني عمرو بن عوف أذلة   لئن لم يفكوا عن أسيرهم الكبلا

وفي رواية بني عمرو : لئام أذلة ففدى به .

وكان فيهم أبو العاص بن الربيع ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنته زينب ، بعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها عليه حين بنى عليها ، قال : فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال : « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا » ، قالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه وردوا عليها الذي لها .

وروينا من طريق أبي داود ثنا عبد الله بن محمد النفيلي ثنا محمد بن سلمة ، عن محمد ابن إسحق ، عن يحيى بن عباد ، عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها بنحوه ، وفي آخره : فكان النبي صلى الله عليه وسلم أخذ عليه أو وعده أن يخلي سبيل زينب إليه ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار ، فقال : كونا ببطن يأجج (١) حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتيا بها .

وممن منّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير فداء أيضاً المطلب بن حنطب ، وصيفي بن أبي رفاعة ، وأبو عزة الجمحي ، وأخذ عليه أن لا يظاهر (٢) عليه أحداً .

١- يأجج : بياء مفتوحة بعدها همزة ثم جيمان - اسم لمكانين : أحدهما على ثمانية أميال من مكة ، وثانيهما أبعد منه - وفيه بنى مسجد الشجرة وبينه وبين مسجد التنعيم ميلان .

٢- لا يظاهر عليه أحداً : لا يعين عليه أحداً .

(إسلام عمير بن وهب)

قال ابن إسحق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير قال : جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش في الحجر بيسير ، وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، وكان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويلقون منه عناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر ، فذكر أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان : ليس في العيش بعدهم خير ، فقال له عمير : صدقت أما والله لولا دين عليّ ليس له عندى قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لى فيهم علة ، ابنى أسير فى أيديهم ، قال : فاغتنمها صفوان فقال : على دينك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا ، لا يسعنى شيء ويعجز عنهم ، قال عمير : فاكتم عنى شأنى وشأنك ، قال : أفعل ، قال : ثم أمر عمير بسيفه فشحذ [١] له ، وسم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينا عمر بن الخطاب فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم من عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحاً السيف فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر ، وهو الذى حرش بيننا [٢] وحزرنا [٣] للقوم يوم بدر .

ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبى الله ، هذا هو عدو الله عمير بن وهب ، وقد جاء متوشحاً سيفه ، قال : « فأدخله على » قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه فلببه [٤] بها ، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار : أدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه هذا الخبيث فإنه غير مأمون .

ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه قال : « أرسله يا عمر ، أدن يا عمير أدن يا عمير » فدنا ، ثم قال : أنعموا صباحا – وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم – فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير بالسلام تحية أهل الجنة) ، قال : أما والله إن كنت بها يا محمد لحديث عهد ، قال : « فما جاء بك يا عمير » قال : جئت لهذا الأسير الذى فيكم فأحسنوا فيه ، قال : « فما بال السيف فى عنقك »

١– شحذ له : أى أحد له
٢– حرش : أفسد
٣– حزرنا : قدر عددنا
٤– أى جعلها فى عنقه وجره بها .

قال : قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئا ؟ قال : « أصدقنى ما الذى جئت له » قال : ما جئت إلا لذلك ، قال : (بلى قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دين علىّ وعيال لى لخرجت أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلنى له ، والله حائل بينك وبين ذلك) قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول نكذبك بما تأتى به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحى وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله ، والحمد لله الذى هدانى للإسلام ، وساقنى هذا المساق : ثم شهد شهادة الحق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فقهوا أخاكم فى دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيره » ففعلوا . ثم قال : يا رسول الله ، إنى كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل ، فأنا أحب أن تأذن لى فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم فى دينهم ، كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم ، قال : فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة ، قال : وكان صفوان حين خرج عمير يقول : أبشروا بوقعة تأتيكم الآن تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه ، فحلف أن لا يكلمه أبداً ، وأن لا ينفعه بنفع أبداً .

ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار

بدر بن قريش بن يخلد بن النضر حفر هذه البئر فنسبت إليه .
والتحسس : بالحاء أن تستمع الأخبار بنفسك ، وبالجيم أن تفحص عنها بغيرك .
واللطيمة : العير تحمل الطيب والبز .
وضيعة الرجل : حرفته وصناعته .
والمقنب : زهاء ثلاثمائة من الخيل .
وقوله : لاط له بأربعة آلاف درهم أى أربى له ، ومنه الحديث : « وما كان من دين لارهن فيه فهو لياط » وأصل هذه اللفظة من اللصوق .
وتغور ما وراءه من القلب : قيد بالعين المهملة وبالغين المعجمة وتشديد الواو ، والسهيلى يقول : بضم العين المهملة وسكون الواو ، وقال : وجاء على لغة من يقول قول القول وبوع المتاع ، وحقبت الحرب : اشتدت ، ومستنتل أمام الصف : متقدم . والعريش : ما يستظل به . وأطن قدمه : أسرع قطعها فطارت أى طنت .
والمسكة : السوار من الذبل وهو جلد السلحفاة .
وأخلف الرجل سيفه : مده لحاجته .

أقدم حيزوم : بضم الدال ، أقدم الخيل ، وحيزوم فرس جبريل ، وقيل فى تقييدها غير ذلك . مرضخة النوى : بالخاء المهملة وبالمعجمة وقيل الرضخ بالمهملة كسر اليابس ، وبالمعجمة كسر الرطب . وضبث الشىء : قبض عليه بيده ، وضبثه ضربه .
وجهيم بن الصلت أسلم عام حنين ، ووقع فى الرواية ابن أبى الصلت .
ومعوذ بن عفراء بكسر الواو ، وكان الوقشى يأبى إلا الفتح .
والمجذر عبد الله بن ذياد ، قال أبو عمر : ويقال : ذياد والكسر أكثر .
أبو أسيد مالك بن ربيعة قال عياض : قال فيه عبد الرازق ووكيع بضم الهمزة ، وقال ابن مهدى بفتحها ، قال أحمد بن حنبل : والصواب الأول .
وأبو داود المازنى اسمه عمرو ، وقيل : عمير بن عامر ، وكان الجيانى يقول : أبو داود .
وذكر عياض : أن ابن مسعود إنما وضع رجله على عنق أبى جهل لتصدق رؤياه ، قال ابن قتيبة : ذكر أن أبا جهل قال لابن مسعود : لأقتلنك ، فقال : والله لقد رأيت فى النوم أنى أخذت حدجة حنظل فوضعتها بين كتفيك ، ورأيتنى اضرب كتفيك بنعلى ، ولئن صدقت رؤياى لأطأن على رقبتك ولأذبحنك ذبح الشاة .
الحدجة : الحنظلة الشديدة
فلما انقضى أمر بدر أنزل الله فيه سورة الأنفال بأسرها .

تسمية من شهد بدراً من المهاجرين

من بنى هاشم بن عبد مناف : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحمزة بن عبد المطلب ، وعلى بن أبى طالب ، ومن مواليهم : زيد بن حارثة ، وأنسة ، وأبو كبشة ومن حلفائهم أبو مرثد « الغنوى » حليف حمزة وابنه مرثد ثمانية رجال .
ومن بنى المطلب بن عبد مناف : عبيدة بن الحرث بن المطلب ، وأخواه الطفيل والحصين ، ومسطح بن أثاثة أربعة رجال .
ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان خلفه عليه السلام على ابنته رقية وضرب له بسهمه وأجره فهو معدود فيهم ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسالم مولاه ، وصبيح مولى أبى العاص بن أمية وقيل : رجع لمرض أصابه ثم شهد ما بعد بدر ، ومن حلفائهم عبد الله بن جحش ، وعكاشة بن محصن ، وأخوه أبو سنان ، وابنه سنان ابن أبى سنان ، وشجاع وعقبة ابنا وهب ، ويزيد بن رقيش بن رئاب بن يعمر بن صبرة ابن مرة بن كبير بن غنم بن دودان ، وربيعة بن أسد بن خزيمة ، ومحرز بن نضلة وربيعة ابن أكثم .
ومن حلفاء بنى كبير بن غنم بن دودان : ثقف بن عمرو ، وأخواه مالك ومدلج ويقال مدلاج ، وأبو مخشى سويد بن مخشى الطائى حليف لهم سبعة عشر رجلاً .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان ، وخباب مولاه : رجلان .
ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الزبير بن العوام ، وحاطب بن أبى بلتعة عمرو ابن راشد بن معاذ اللخمى مولى الزبير ، وسعد مولى حاطب . ثلاثة رجال .
ومن بنى عبد الدار بن قصى : مصعب بن عمير ، وسويبط . رجلان .
ومن بنى زهرة : عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص وأخوه عمير ومن حلفائهم المقداد بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، ومسعود بن ربيعة ، وذو الشمالين «١» عمير ابن عبد عمرو بن نضلة بن غيشان بن سليم بن ملكان بن قصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة ، وخباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن عبد مناة ابن تميم لحقه سباء فى الجاهلية ، فاشترته امرأة من خزاعة واعتقته وكانت من حلفاء بنى زهرة ثمانية .
ومن بنى تيم بن مرة : أبو بكر الصديق «٢» ، ومولياه بلال بن رباح ، وعامر بن فهيرة ، وصهيب بن سنان ، وطلحة بن عبيد الله «٢» ، وكان بالشام فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره خمسة رجال .
ومن بنى مخزوم : أبو سلمة بن عبد الأسد «٢» وشماس بن عثمان «٢» و الأرقم بن أبى الأرقم «٢» ، وعمار بن ياسر مولاهم «٢» ، ومعتب بن عوف السلولى حليف لهم «٢» ، خمسة .
ومن بنى عدى بن كعب : عمر بن الخطاب «٢» ، وأخوه زيد ، ومهجع مولاه ، وعمرو ابن سراقة « هب » وأخوه عبد الله « هب » ، وواقد بن عبد الله « هب » وخولى ومالك ابنا أبى خولى « هب » وعامر بن ربيعة «٢» ، وعامر «٢» ، وخالد «٢» ، وإياس «٢» وعاقل «٢» بنو البكير ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل «٢» قدم من الشام بعد ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر فكلمه فضرب له بسهمه وأجره ، أربعة عشر رجلا .
ومن بنى جمح بن عمرو : عثمان بن مظعون «٢» ، وأخواه قدامة وعبدالله وابنه السائب ابن عثمان ، ومعمر بن الحرث «٢» ، خمسة رجال .
ومن بنى سهم : خنيس بن حذافة «٢» ، رجل واحد .
ومن بنى عامر بن لؤى : أبو سبرة بن أبى رهم «ها» ، وعبد الله بن مخرمة «ها» ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو «ها» ، وعمرو أو عمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو ، وسعد ابن خولة حليف لهم «ها» خمسة رجال .
ومن بنى الحرث بن فهر : أبو عبيدة بن الجراح «٢» ، وعمرو بن الحارث «ها» ، وسهيل ابن وهب «ها» وأخوه صفوان ابنا بيضاء ، وعمرو بن أبى سرح «ها» خمسة رجال ، وذكر أبو عمر فيهم وهب بن أبى سرح أخا عمرو المذكور وحكاه ، عن موسى بن عقبة

١- قال ابن هشام : وإنما قيل له ذو الشمالين لأنه كان أعسر .

ولم نره فى مغازيه ، ويشبه أن يكون وهماً .

وقد ذكر ابن هشام ، عن غير ابن إسحق فى بنى عامر بن لؤى : وهب بن سعد بن أبى سرح وهو ابن الحرث بن حبيب - ويقال حبيب بتشديد الياء - بن خزيمة بن مالك ابن حسل بن عامر فيمن شهد بدراً ، وهو عند ابن عقبة .

وذكر ابن عقبة فيهم : عياض بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب ابن ضبة بن الحارث بن فهر « ها » ، وبعضهم يقول : هلال بن مالك بن ضبة ، وذكره فيهم أيضاً خليفة بن خياط ، والواقدى ، وحكاه أبو عمر ، عن ابن إسحق من رواية إبراهيم ابن سعد عنه ، وحاطب بن عمرو العامرى «٣» ، ذكره ابن هشام ، وحكاه أبو عمر ، عن موسى بن عقبة ، ولم نجده فى مغازيه .

وممن ذكره أبو عمر فيهم : خريم بن فاتك الأسدى ، وهو خريم بن الأخرم بن شداد ابن عمرو بن الفاتك بن القليب بن عمرو بن أسد بن خريمة وأخوه سبرة .

قال أبو عمر : وقد قيل إن خريماً هذا ، وابنه أيمن بن خريم أسلماً جميعاً يوم فتح مكة ، والأول أصح ، وقد صحح البخارى وغيره أن خريماً وأخاه سبرة شهداً بدراً ، وهو الصحيح إن شاء الله ، وطليب بن عمير ، قاله الزبير والواقدى ، وروى عن ابن إسحق من غير طريق البكائى .

وممن ذكر فيهم : كثير بن عمرو السلمى حليف بنى أسد ، ذكره ابن السراج فى روايته عن عمر بن محمد بن الحسن الأسدى ، عن أبيه ، عن زياد ، عن ابن إسحق ، وذكر أخويه مالك بن عمرو ، وثقف بن عمرو ، وقد تقدم ذكرهما .

قال أبو عمر : لم أر كثيراً فى غير هذه الرواية ولعله أن يكون ثقف له لقباً واسمه كثير ، ويزيد بن الأخنس السلمى «٣» وابنه معن بن يزيد ، وأبوه الأخنس ولا يعرف فيمن شهد بدراً ثلاثة أب وجد وابن إلا هؤلاء ، وأكثر أهل العلم بالسير لا يصحح شهودهم بدراً فهؤلاء أربعة وتسعون .

وقد روينا عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن الزبير قال : ضربت يوم بدر للمهاجرين بمائة سهم

(تسمية من شهد بدراً من الأنصار)

وشهدها من الأنصار ، ثم من الأوس ، ثم من بنى عبد الأشهل :

سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، وأخوه الحارث ، والحارث بن أوس بن معاذ ، والحرث بن أنس بن رافع بن امرىء القيس وأخوه شريك وابنه عبد الله ، ويزيد بن السكن بن رافع بن امرىء القيس وابنه عامر ، وأخوه زياد ابن السكن - عند ابن الكلبى وحده - وابنه عمارة بن زياد ، وسعد بن زيد «عج» وسلمة ابن

سلامة ابن وقش «عج » ، وعباد بن بشر بن وقش ، وسلمة بن ثابت بن وقش ، ورافع ابن يزيد بن كرز بن سكن بن زعوراء ، وإياس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم ابن عامر بن زعوراء بن جشم أخي عبد الأشهل من ساكني راتج «١» ، وأخوه الحارث ابن أوس – عند ابن عقبة .

ومن الناس من يقول في عتيك عبيد ، وأبو الهيثم التيهان «عب » وأخوه عبيد ويقال : عتيك ، والحرث بن خزمة بن عدي بن أبي غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف ابن الخزرج حليف لهم ، ومحمد بن مسلمة بن خلف بن عدي بن مجدعة بن حارثة ابن الحارث من بني حارثة ، وسلمة بن أسلم بن حريش بن عدي بن مجدعة بن حارثة ابن الحارث ، وعبد الله بن سهل بن زيد بن كعب بن عامر بن عدي بن مجدعة بن حارثة ابن الحارث ، ثلاثة وعشرون .

ومن بني ظفر وهو كعب بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : قتادة بن النعمان ابن زيد بن عامر بن سواد بن كعب ، وعبيد بن أوس بن مالك بن سواد ، ونضر بن الحرث ابن عبيد بن رزاح بن كعب ، ومعتب بن عبيد عمه ، ومن حلفائهم عبد الله بن طارق البلوي خمسة .

ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج : مسعود بن عبد سعد بن عامر بن عدي ابن جشم بن مجدعة بن حارثة ، وأبو عبس عبد الرحمن بن جبر بن عمرو بن زيد بن جشم ، ومن حلفائهم من بلي ، أبو بردة هانىء بن نيار بن عمرو بن عبيد بن دهمان بن غنم ابن ذبيان بن هميم بن كاهل بن زهل بن هني أخي فران ابني بلي ، أخي بهراء ابني عمرو ابن الحاف بن قضاعة ثلاثة .

ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، ثم من بني ضبيعة بن زيد بن مالك ابن عوف بن عمرو بن عوف : عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، قيس بن عصمة بن مالك ابن أمية بن ضبيعة ، ومعتب بن قشير بن مليك بن زيد بن العطاف بن ضبيعة ، وأبو مليك ابن الأزعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة ، وعمير بن معبد بن الأزعر بن زيد ابن العطاف ابن ضبيعة ، أربعة .

ومن بني أمية بن زيد بن مالك : مبشر بن عبد المنذر بن زنبر بن زيد بن أمية ، ورفاعة ابن عبد المنذر بن زنبر ، وسعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية وعويمر بن ساعدة « عب » ورافع بن عنجدة وهي أمه ، وأبوه عبد الحارث حليف لهم من بلي ، وعبيد بن أبي عبيد ، وثعلبة بن حاطب ، وزعموا أن أبا لبابة بن عبد المنذر ،

١– راتج : أطم من آطام اليهود في المدينة وتسمى الناحية به .

والحارث من حاطب بن عمر بن عبيد بن أمية بن زيد ، خرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر أبا لبابة على المدينة فضرب لهما سهمين مع أصحاب بدر تسعة نفر .

ومن بني عبيد بن زيد بن مالك : أنيس وخداش ابنا قتادة بن ربيعة بن مطروف بن الحارث بن زيد بن عبيد واسم مطروف خالد ، ومن حلفائهم من بلى : معن بن عدى بن الجد بن العجلان بن ضبيعة ، وأخوه عاصم ، ضرب له بسهمه فى بدر ، وثابت بن أقرم - ويقال أقرن - بن ثعلبة بن عدى بن العجلان ، وعبد الله بن سلمة بن مالك بن الحرث بن عدى بن الجد بن العجلان ، وزيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدى المذكور ، وربعى ابن رافع بن الحرث بن زيد بن حارثة بن الجد بن العجلان ، ثمانية نفر .

ومن بني معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف : جبر بن عتيك بن قيس بن هيشة ابن الحارث بن أمية بن معاوية ، وعمه الحارث بن قيس ، ومن حلفائهم مالك بن نملية بن مزينة ، ونملية أمه وهو مالك بن ثابت ، والنعمان بن عصر بن عبيد بن رائلة بن جارية بن ضبيعة بن حرام بن جعيل بن عمرو بن جشم بن وذم بن ذبيان بن هميم بن كاهل بن هنى بن بلى . وعصر - بفتحتين عند ابن الكلبى ، ومكسور العين ساكن الصاد عند بن إسحق ، والواقدى ، وأبى معشر ، وابن عقبة ، قاله الدمياطى أربعة .

ومن بني حنش بن عوف بن عمرو بن عوف : سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن الحرث بن مجدعة بن عمرو بن حنش ، رجل .

ومن بني كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف : المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبى بن كلفة ، ومن حلفائهم أبو عقيل عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة بن بيحان بن عامر بن الحارث بن مالك بن عامر بن أنيف بن جشم بن عائذ الله بن تميم بن عوف بن مناة بن ناج بن تيم بن أراشى بن عامر بن عبيلة بن قسميل بن فران بن بلى رجلان .

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف : عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك وهو امرؤ القيس بن ثعلبة ، وأخوه خوات بن جبير ، قيل : خرج إلى بدر فكسر بالروحاء فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب له بسهمه وأجره ، وعمهما الحارث بن النعمان ، وأبو ضياح النعمان بن ثابت بن النعمان بن أمية ، والنعمان والحرث ابنا أبى خزمة ابن النعمان بن أمية بن البرك ، وأبو حبة - بالباء - بن ثابت أخو أبى ضياح عند ابن القداح - وأبو حنة - بالنون - بن مالك بن عمرو بن ثابت بن كلفة بن ثعلبة ، وسالم ابن عمير بن ثابت بن كلفة بن ثعلبة ، وعاصم بن قيس بن ثابت بن كلفة بن ثعلبة . عشرة .

ومن بني غنم بن السلم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس : سعد بن خيثمة ، والمنذر ، ومالك ابنا قدامة بن الحرث بن مالك بن كعب بن النحاط ، والحرث بن عرفجة بن الحارث

ابن مالك – ذكره ابن عقبة والواقدى وغيرهما – وتميم مولى بنى غنم بن السلم . خمسة . فجملة من ذكرنا من الأوس أربعة وسبعون .

وشهدها من الأنصار ثم من الخزرج ثم من بنى مغالة ، وهم بنو عمرو بن مالك بن النجار – : أبو شيخ أبى بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى ، وأخوه أوس ، وأبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى المذكور ثلاثة ومن بنى حديلة وهى بنت مالك بن زيد مناة بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك ابن غضب بن جشم بن الخزرج وهى أم معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار : أنس ابن معاذ بن أنس بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، وأبى ابن كعب « عج » وأبو حبيب بن زيد بن الحباب بن أنس بن زيد بن عبيد بن زيد بن معاوية – قاله ابن الكلبى – ثلاثة .

ومن بنى غنم بن مالك بن النجار : أبو أيوب خالد بن زيد « عج » وعمارة بن حزم « عج » وثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عشيرة – وقال ابن هشام : عشيرة بن عبد ابن عوف بن غنم ، وسراقة بن كعب بن عمرو بن عبد العزى بن غزية بن عمر بن عبد عوف ابن غنم بن مالك بن النجار ، ومنهم من أسقط بعد كعب عمراً أربعة .

ومن بنى ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار : سليم بن قيس بن فهد واسمه خالد بن قيس ابن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم ، وحارثة بن النعمان بن يفع بن زيد بن عبيد بن ثعلبة ابن غنم ، وسهيل وأخوه سهل ابنا رافع بن أبى عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم ، ومسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم وأخوه أبو خزيمة بن أوس ، ورافع بن الحارث بن سواد بن زيد بن ثعلبة بن غنم – كذا عند الواقدى : سواد ، وعند ابن عمارة : الأسود . سبعة .

ومن بنى سواد بن غنم بن مالك بن النجار – كذا عند ابن الكلبى – وابن سعد يقول : سواد بن مالك بن غنم بن مالك : معاذ « عب » ومعوذ وعوف « عا » بنو الحارث ابن رفاعة ، وأمهم عفراء بنت عبيد ، وهم ثلاثة عند أبى معشر ، والواقدى ، وابن القداح ، وكان ابن إسحق يزيد فيهم رابعاً يسميه رفاعة شهد عنده بدراً – – وأنكره الواقدى – والنعمان بن عمرو « عج » والنعيمان بن عمرو ، وعامر بن مخلد بن الحارث بن سواد ، وعبد الله بن قيس بن خلدة بن الحرث بن سواد ، وعمرو بن قيس بن زيد بن سواد ، مذكور فى البدريين عند أبى معشر ، وابن القداح ، والواقدى – وقيس ابنه عندهم أيضاً ولم يذكرهما فى البدريين ابن عقبة ولا ابن إسحق – وثابت بن عمرو بن زيد بن عدى بن سواد . عشرة .

ومن بنى مبذول وهو عامر بن مالك بن النجار : ثعلبة بن عمرو بن محصن بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن عامر ، والحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك خرج إلى بدر فكسر

بالروحاء فرده عليه السلام وضرب له بسهمه وأجره ، وسهل بن عتيك « عج » وعامر ابن سعد بن عمرو بن ثقف واسمه كعب بن مالك بن مبذول .
ذكره ابن عمارة ، قال ابن سعد : ولم يذكره غيره .
ومن حلفائهم : عدى بن أبى الزغباء سنان بن سبيع بن ثعلبة بن ربيعة بن زهرة بن بديل ابن سعد بن عدى بن نصر بن كاهل بن مالك بن غطفان بن قيس بن جهينة حليف بنى عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، ووديعة بن عمرو بن جراد بن يربوع ابن طحيل بن عمرو بن غنم بن الرابعة بن رشدان بن قيس بن جهينة ، حليف بنى سواد ابن غنم بن مالك بن النجار ، وأبو معشر يسميه : رفاعة بن عمرو ، وعصيمة حليف لهم من أشجع – لم يذكره ابن عقبة ، وذكره غيره كذا ، قال ابن سعد ، والذى قال فى السيرة : أن عصيمة من بنى أسد بن خزيمة ، وأنه حليف بنى مازن بن النجار ، وكذا ذكره ابن سعد فى بنى مازن . سبعة .
ومن بنى عدى بن النجار ثم من بنى عدى بن مالك بن عدى بن النجار : حارثة بن سراقة ابن الحرث بن عدى ، وهو أول قتيل بعد مهجع – وعمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدى ، ومحرز بن مالك بن عامر بن عدى ، وسليط بن قيس بن عمرو بن عبيد بن مالك ابن عدى ، وأبو سليط عسيرة بن أبى خارجة عمرو بن قيس بن مالك بن عدى ، وذكر ابن الكلبى : أن أبا خارجة شهد بدراً ، وفيه نظر ، وعامر بن أمية بن زيد بن الحسحاس ابن مالك بن عدى ، وأبو صرمة قيس بن أبى قيس صرمة بن أبى أنس قيس بن صرمة ابن مالك بن عدى ، قال أبو عمر : ولم يختلف فى شهوده بدراً ، ولم يذكره فيهم ابن عقبة ، ولا ابن إسحق ، ولا ابن سعد ، وهذا عجيب من أبى عمر رحمه الله . ثمانية .
ومن بنى حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار : أبو الأعور الحارث ابن ظالم بن عبس بن حرام ، وحرام وسليم ابنا ملحان بن خالد بن زيد بن حرام ، أمهما مليكة بنت مالك بن عدى بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار ، ومن حلفاء بنى عدى بن النجار : سواد بن غزية بن وهب من بلى ، وهو الذى قال له النبى صلى الله عليه وسلم : « استقد منى » وهو الذى أسر خالداً والعاصى والحارث أخوة أبى جهل ابن هشام . أربعة .
ومن بنى عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن : عبد الله بن كعب بن عمرو واحد .
ومن بنى خنساء بن مبذول المذكور : أبو داود عمير بن عامر بن مالك بن خنساء ، وسراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء . اثنان .
ومن بنى ثعلبة بن مازن بن النجار : قيس بن مخلد بن ثعلبة بن صخر بن حبيب ابن الحارث بن ثعلبة ، وأبو حبس المازنى تميم بن عبد عمرو بن قيس بن محرث بن الحرث

ابن ثعلبة قال أبو عمر : شهد بدراً ، وقال شيخنا الحافظ أبو محمد الدمياطى : وهذا غير ثابت ، وكذا هو عند ابن سعد معدود فى الطبقة الثالثة ممن شهد الخندق وما بعدها إثنان .

ومن بنى دينار بن النجار : سليم بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن عبد الأشهل بن حارثة ابن دينار ، والنعمان والضحاك ابنا عبد عمرو ، وكعب بن زيد بن قيس بن مالك بن كعب ابن عبد الأشهل ، وسعيد بن سهل بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل ، وابن إسحق وأبو معشر يقولان فى سهل سهيل ، وبجير بن أبى بجير حليف لهم من بلى أو جهينة ستة .

ومن بنى الحارث بن الخزرج ثم من بنى مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج : عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس الأصغر بن عمرو بن امرىء القيس الأكبر ابن مالك الأغر . قال ابن سعد : ليس له عقب ، وليس كذلك ، وسعد بن الربيع « ق » وخارجة ابن زيد « عج » وخلاد بن سويد «عج» وبشير بن سعد « عج » سماك بن سعد أخوه ستة . ومن بنى حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : يزيد بن الحرث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة . واحد .

ومن بنى عدى بن كعب بن الخزرج : خبيب بن يساف ويقال إساف بن عنبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم ، وعن حبيب بن عبد الرحمن : أن جده خبيباً هذا ضرب يوم بدر فمال شقه فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمه ورده ، فانطلق – واحد .

ومن بنى زيد مناة – وبعضهم يسقط مناة – بن الحرث بن الخزرج : عبد الله بن زيد بن عبد ربه – صاحب الأذان – « عج » وأخوه حريث ، وسفيان بن نسر ويقال بشر بن عمرو ابن الحرث بن كعب بن زيد مناة . ثلاثة .

ومن بنى عوف بن الحارث بن الخزرج ثم من بنى جدارة بن عوف : تميم بن يعار بن قيس بن عدى بن أمية بن جدارة ، وابن عمه زيد بن المزين بن قيس بن عدى ، وعبد الله ابن عمير بن حارثة بن ثعلبة بن خلاس بن أمية بن جدارة – لم يذكره ابن عمارة فى البدريين ، وذكره غيره – وعبد الله بن عرفطة بن عدى بن أمية بن جدارة – كذا نسبه ابن إسحق ، وابن سعد يقول : عبد الله بن عرفطة حليف لهم – وعقبة بن عمرو أبو مسعود البدرى « عج » عده البخارى فى البدريين ، والمشهور أنه لم يشهد بدراً ، وإنما هو منسوب إلى الماء . خمسة .

ومن بنى الأبجر : خدرة بن عوف عبد الله بن الربيع « عج » . واحد .

ومن بنى طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج : سعد بن عبادة « ق » وقع فى صحيح مسلم ، ولم يصح شهوده بدراً ، وعبد ربه بن حق بن أوس بن عامر بن ثعلبة ابن وقش بن ثعلبة بن طريف . اثنان .

ومن بنى ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة : المنذر بن عمرو « ق » ، وأبو دجانة سماك بن

خرشة أبو لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة – وابن الكلبى يقول : سماك بن أوس ابن خرشة . اثنان .
ومن بنى عمرو بن الخزرج بن ساعدة : أبو أسيد مالك بن ربيعة بن البدن ، وبعضهم يقول اليدى – بن عامر وقيل : عمرو بن عوف بن حارثة بن عمرو ، وقيل : البدن وهو عامر أو عمرو بن عوف ، وابن عمه مالك بن مسعود بن البدن ، وسعد بن سعد بن مالك ابن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمر ، تجهز لبدر فمات ، فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره .
ومن حلفائهم : بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن عمرو بن سعد بن ذبيان ابن رشدان بن قيس بن جهينة ، وأخواه زياد وضمرة ، وبعضهم يقول فى ضمرة ابن أخى زياد ، وعند ابن سعد : زياد بن كعب بن عمرو بن عدى بن عامر بن رفاعة بن كليب ابن مودعة بن عدى بن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة ، وعبد الله بن عامر البلوى . وكعب بن جماز ، وبعضهم يقول : حماز ، وعند الزمخشرى حماز ـ بن مالك بن ثعلبة بن خرشة ، وبعضهم يسقط من نسبه مالكا . ثمانية .
ومن بنى الحبلى : أوس بن خولى بن عبد الله بن الحرث بن عبيد بن مالك بن سالم الحبلى ، وزيد بن وديعة بن عمرو بن قيس بن جزى بن عدى بن مالك بن سالم ، ورفاعة ابن عمرو « عج » ، وابنه مالك « عج » ذكره الأموى فيمن شهد العقبة وبدراً ، ومعبد بن عبادة بن قشعر ـ ويقال قشير ـ بن القدم بن سالم بن مالك بن سالم . ومن حلفائهم : عقبة بن وهب « عج » وعامر بن سلمة بن عامر ، وعاصم بن العكير من مزينة . ثمانية .
ومن بنى غنم بن عوف بن الخزرج ـ وهو قوقل ـ : عبادة بن الصامت « عب » ، والنعمان الأعرج بن مالك بن ثعلبة بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم ، والنعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد بن فهر بن ثعلبة بن غنم ، ومالك بن الدخشم « عج » والحرث بن خزمة بن عدى بن أبى غنم حليف لبنى عبد الأشهل من الأوس ، ونوفل بن عبد الله بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم ، وعتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان ، ومليل ابن دبرة بن خالد بن العجلان ، وابن أخيه عصمة بن الحصين بن دبرة ـ عند ابن القداح والواقدى ـ وهبيل أخوه ـ ذكره إبراهيم بن المنذر قال : حدثنى عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه فيمن شهد بدراً ، حكاه أبو عمر ، وفيه نظر ـ وثابت بن هزال بن عمرو بن قريوش بن غنم بن أمية بن لوذان بن سالم ، والربيع وودقة إبنا إياس بن عمرو بن غنم بن أمية .
ومن حلفائهم : المجذر[1] بن ذياد بن عمرو بن زمزمة بن عمرو بن عمارة بن مالك بن

١– المجذر : لقبه واسمه عبد الله ، ومعنى المجذر غليظ الخلق .

غصينة بن عمرو بن بثيرة بن مشنوء بن القشر بن تيم بن عوذ مناة بن ناج بن تيم ابن أراشه بن عامر بن عميلة بن قسميل بن فران بن بلى بن عمر بن الحاف بن قضاعة (وعند بن إسحق : مشنوء بن تيم بن أراش بن عامر ، بإسقاط مازاد على ذلك) البلوى وعبدة ابن الحسحاس (عند الواقدى مهملة الحاء والسين ، ومعجمتهما عند ابن إسحق) وقيل : عبادة ، وبحاث بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة (بالباء الموحدة وآخرها ثاء مثلثة عند ابن الكلبى ، وعند ابن إسحق بالنون وآخرها باء موحدة) وأخوه عبد الله بن ثعلبة ، وعتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية من بنى بهراء أخى بلى ابنى عمرو بن الحاف بن قضاعة . وابن هشام وابن القداح يقولان : من بنى بهر : البهرانى . قال أبو عمر : وقد اختلف فى شهوده بدراً ، وعمرو بن إياس بن زيد بن جشم من أهل اليمن من غسان . تسعة عشر .

ومن بنى سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم ، ثم من بنى حرام ابن كعب بن غنم بن سلمة : عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن عمرو بن حرام أبو جابر ، وقد ذكر فيهم ابنه جابر .

قال الواقدى : غلط من عده فى البدريين من أهل العراق . لم يذكره ابن عقبة ، ولا ابن إسحق ، ولا أبو معشر . وعمرو بن الجموح « عج » وأخوته معوذ ، وخلاد ، ومعاذ ، وخراش بن الصمة بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ، وأخوه معاذ بن الصمة . وقال محمد بن عمر : ليس بثبت ولا مجمع عليه ، وعمير بن حرام بن عمرو بن الجموح شهد بدراً عند الواقدى وابن عمارة ، ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن إسحق ، ولا أبو معشر » وعمير بن الحمام بن الجموح ، والحباب بن المنذر بن الجموح ، وعقبة بن عامر بن نابى « عا » وعمير بن عامر أخوه « شهد بدراً وغيرها عند ابن الكلبى ، وقال الدمياطى : ولم أر من تابع ابن الكلبى على ذكره فى الصحابة » وثابت بن ثعلبة وهو ابن الجذع ، وعمرو « عج » وقيل : عمير بن الحارث .

ومن مواليهم : تميم مولى خراش بن الصمة ، وحبيب بن الأسود . سبعة عشر .

ومن بنى سنان بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة : عمرو بن طلق بن زيد بن أمية بن سنان ، ولم يذكره ابن عقبة . واحد .

ومن بنى عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة : البراء بن معرور « ق » وابنه بشر وعبد الله بن الجد بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد ، وعتبة بن عبد الله ابن صخر بن خنساء بن سنان ، وسنان بن صيفى « عج » ، والطفيل بن مالك « عج » والطفيل بن النعمان بن خنساء « عج » قال ابن سعد : ولا أحسبه إلا وهلا . وجبار بن صخر « عج » ، ويزيد بن خذام [1] ومسعود بن زيد « عج » عشرة .

١- بالخاء المعجمة والذال المعجمة ، وقيل : « حرام » بالمهملة والراء .

ومن بني خناس بن سنان بن عبيد : يزيد بن المنذر « عج » ، وأخوه معقل « عج » وعبد الله بن النعمان بن بلذمة[1] بن خناس ، وأبو قتادة بن ربعي بن بلذمة بن خناس « مختلف في شهوده بدراً » . أربعة . ومن بني النعمان بن سنان بن عبيد : عبد الله ابن عبد مناف بن النعمان ، وخليد وخلاد ولبدة بنو قيس بن النعمان ، وجابر بن عبد الله ابن رئاب بن النعمان خمسة . ومن بني ثعلبة بن عبيد بن عدى بن غنم بن سلمة : الضحاك ابن حارثة « عج » ، وسواد بن رزن بن زيد بن ثعلبة . اثنان .

ومن بني ربيعة بن عبيد : معبد بن قيس بن صيفي بن صخر بن حرام بن ربيعة ، وأخوه عبد الله ، وحمزة بن الحمير - من حلفائهم - وابن إسحق يسميه خارجة ، وأخوه عبد الله ، والنعمان بن سنان مولى لهم . خمسة .

ومن بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة : قطبة بن عامر بن حديدة « عا » وابن عمه سليم بن عمرو بن حديدة ، وأبو اليسر كعب بن عمرو « عج » وصيفي بن سواد « عج » وثعلبة بن غنمة « عج » وعبس بن عامر بن سنان « عج » ، وسهل بن قيس بن أبى بن كعب بن عمرو بن القين بن كعب بن سواد . ومن حلفائهم : معاذ بن جبل « عج » ثمانية .

ومن بني زريق : ذكوان بن عبد قيس « عب » ، وسعد بن عثمان بن خلدة ، وأخوه عقبة ، وابن عمهما قيس بن محصن بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق ، والحارث بن قيس « عج » وجبير بن إياس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق ، ومسعود بن خلدة بن مخلد ابن عامر بن زريق ، وعباد بن قيس « عج » ورافع بن مالك « عج » وابناه رفاعة وخلاد ، وعبيد بن زيد بن عامر بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ، والعجلان بن النعمان ابن عامر بن العجلان ، وأسعد بن يزيد بن الفاكه بن زيد بن خلدة بن عامر بن زريق ، والفاكه بن بشر بن الفاكه بن زيد بن خلدة ، ومعاذ وعائذ ابنا ماعص بن قيس بن خلدة ابن عامر ، ومسعود بن سعد بن قيس بن خلدة بن عامر ..

ومن حلفائهم من بني مالك أخي الحارث : رافع بن المعلى بن لوزان بن حارثة بن زيد ابن ثعلبة بن عدى بن مالك ، وأخوه هلال بن المعلى - ولم يذكره ابن إسحق . قال ابن الكلبي : وشهد رافع ، وراشد ، وهلال ، وأبو قيس بنو المعلى بدراً ، ولم يذكر ابن إسحق منهم سوى رافع . اثنان وعشرون .

ومن بني بياضة بن عامر بن زريق : زياد بن لبيد « عج » وخليفة بن عدى بن عمرو بن مالك بن عامر بن بياضة ، وفروة بن عمرو « عج » وغنام بن أوس بن عمرو بن مالك بن عامر بن بياضة ، وذكره ابن الكلبي ، وخالد بن قيس « عج » ورحيلة بن ثعلبة بن خالد ابن ثعلبة بن عامر بن بياضة ، وعطية بن نوير بن عامر بن عطية بن عامر بن بياضة

١- بفتح الباء الموحدة ، وسكون اللام وفتح الذال المعجمة ، وقيل بالمهملة .

قاله ابن الكلبى سبعة .

فجملة من ذكرنا من الخزرج مائة وخمسة وتسعون ، ومن الأوس أربعة وسبعون ، ومن المهاجرين أربعة وتسعون فذلك ثلاثمائة وثلاثة وستون .

وهذا العدد أكثر من عدد أهل بدر ، وإنما جاء ذلك من جهة الخلاف فى بعض من ذكرنا ، وقد تقدم نظير ذلك فى أهل العقبة والله أعلم .

وكان معهم من الخيل : فرس مرثد بن أبى مرثد الغنوى « السبل » ، وفرس المقداد بعرجة ، ويقال : سبحة وقيل : وفرس الزبير « اليعسوب » وقال ابن عقبة : ويقال : كان مع النبى صلى الله عليه وسلم فرسان : على أحدهما مصعب بن عمير ، وعلى الأخرى سعد بن خيثمة ، ومرة الزبير بن العوام ، ومرة المقداد بن الأسود .

(ذكر من أستشهد من المسلمين يوم بدر)

واستشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر من المسلمين : عبيدة بن الحرث ، وعمير بن أبى وقاص - وكانت سنه ستة عشر أو سبعة عشر عاماً - وعمير بن الحمام من بنى سلمة من الأنصار ، وسعد بن خيثمة من بنى عمرو بن عوف من الأوس ، وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعى حليف بنى زهرة ، ومبشر بن عبد المنذر من بنى عمرو بن عوف ، وعاقل بن البكير الليثى ، ومهجع مولى عمر حليفا بنى عدى ، وصفوان بن بيضاء الفهرى ، ويزيد بن الحرث من بنى الحرث بن الخزرج ، ورافع ابن المعلى - وقد تقدم الخلاف فى أخيه هلال - وحارثة بن سراقة من بنى النجار ، وعوف ومعوذ ابنا عفراء : أربعة عشر : ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار : ستة من الخزرج ، واثنان من الأوس .

(ذكر من قتل ببدر من المشركين)

وقتل من المشركين سبعون ، وأسر سبعون ، وروينا من طريق البخارى قال : حدثنى عمر ابن خالد ثنا زهير ثنا أبو إسحق قال : سمعت البراء ، قال : جعل النبى صلى الله عليه وسلم على الرماة يوم أحد ، عبد الله بن جبير فأصابوا منا سبعين ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم بدر أصاب من المشركين أربعين ومائة : سبعين أسيراً ، وسبعين قتيلاً .

فمن مشاهير القتلى : من بنى عبد شمس : حنظلة بن أبى سفيان ، قتله زيد بن حارثة ، وعبيدة بن سعيد بن العاص قتله الزبير ، وأخوه العاصى بن سعيد قتله على ، وقيل غيره وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة قتلهم : حمزة وعبيدة وعلى كما تقدم ،

وعقبة بن أبي معيط قتله عاصم بن ثابت صبراً ، وقيل : بل علي « بن أبي طالب » بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم له بذلك . والحرث بن عامر بن نوفل قتله علي ، وطعيمة ابن عدي قتله حمزة ، وقيل : بل قتله صبراً ، والأول أشهر ، وزمعة بن الأسود بن المطلب ابن أسد وابنه الحرث بن زمعة ، وأخوه عقيل بن الأسود ، وأبو البختري بن العاص ابن هشام ، وقد تقدم الخلاف في قاتله من هو ؟ ونوفل بن خويلد بن أسد ، قتله علي ، وقيل : الزبير « بن العوام » ، والنضر بن الحرث قتل صبراً بالصفراء ، وعمير بن عثمان عم طلحة بن عبيد الله بن عثمان ، وأبو جهل بن هشام ، وأخوه العاص بن هشام قتله عمر « بن الخطاب » ، ومسعود بن أبي أمية المخزومي أخو أم سلمة ، وأبو قيس ابن الوليد أخو خالد بن الوليد ، وقيس بن الفاكه بن المغيرة ، والسائب بن أبي السائب « وقد قيل : لم يقتل يومئذ وأسلم بعد ذلك » ومنبه ونبيه ابنا الحجاج بن عامر السهمي ، والعاص والحارث ابنا منبه بن الحجاج ، وأمية بن خلف الجمحي وابنه علي .

(ذكر أسرى قريش يوم بدر)

وأسر يومئذ : مالك بن عبيد الله أخو طلحة فمات أسيراً ، وحذيفة بن أبي حذيفة ابن المغيرة ، ثم قتل ، وقيل : أخوه هشام بن أبي حذيفة ، وأسر من بني مخزوم ومن حلفائهم يومئذ أربعة وعشرون رجلاً .

ومن بني عبد شمس وحلفائهم اثنا عشر رجلاً منهم : عمرو بن أبي سفيان ، والحرث ابن أبي ، وجزة بن أبي عمرو بن أمية ، وأبو العاص بن الربيع صهر الرسول صلى الله عليه وسلم على ابنته زينب .

وأسر من بني هاشم : العباس بن عبد المطلب ، وعقيل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحرث ابن عبد المطلب .

ومن بني المطلب بن عبد مناف : السائب بن عبيد ، والنعمان بن عمرو .

ومن بني نوفل : عدي بن الخيار .

ومن بني عبد الدار : أبو عزيز بن عمير .

ومن سائر قريش : السائب بن أبي حبيش ، والحرث بن عامر بن عثمان بن أسد ، وخالد ابن هشام أخو أبي جهل ، وصيفي بن أبي رفاعة ، وأخوه أبو المنذر بن أبي رفاعة ، والمطلب بن حنطب ، وخالد بن الأعلم ، وهو القائل .

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وهو أول من فر يوم بدر فادرك وأسر ، وعثمان بن عبد شمس بن جابر المازني ، حليف لهم وهو ابن عمة عتبة بن غزوان ، وأمية بن أبي حذيفة بن المغيرة ، وأبو قيس بن الوليد أخو خالد بن الوليد ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأبو عطاء عبد الله بن أبي

السائب بن عابد المخزومى ، وأبو وداعة بن صبيرة السهمى - وهو أول أسير فدى منهم - وعبد الله بن أبى بن خلف الجمحى ، وأخوه عمرو ، وأبو عزة الجمحى ، وسهيل بن عمرو العامرى ، وعبد بن زمعة [1] بن قيس العامرى ، وعبيد الله بن حميد بن زهير الأسدى .
هؤلاء المشاهير من الأسرى والقتلى ، نقلت ذلك عن أبى عمر ، ولولا خشية الإطالة لأتيت عليهم ، وكان الفداء من أربعة آلاف إلى ثلاثة آلاف إلى ألفين إلى ألف درهم .
وروينا عن ابن سعد قال : أنا الفضل بن دكين ، قال ثنا إسرائيل ، عن جابر بن عامر قال : أسر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر سبعين أسيرا ، وكان يفادى بهم على قدر أموالهم .
وكان أهل مكة يكتبون ، وأهل المدينة لا يكتبون ، فمن لم يكن عنده فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم ، فإذا حذقوا فهو فداؤه .
وروينا عنه قال : أنا محمد بن عبد الله الأنصارى ثنا هشام بن حسان فثنا محمد بن سيرين عن عبيدة : أن جبريل نزل على النبى صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر ، فقال : إن شئتم قتلتموهم ، وإن شئتم أخذتم منهم الفداء ، ويستشهد قابل منكم سبعون قال : فنادى النبى صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فجاءوا ، أو من جاء منهم فقال : (إن هذا جبريل يخيركم بين أن تقدموهم فتقتلوهم ، وبين أن تفادوهم ، ويستشهد قابل منكم بعدتهم) فقالوا : بل نفاديهم فنتقوى به عليهم ، ويدخل قابل منا الجنة سبعون ، ففادوهم .

ذكر من أسلم من أسرى بدر بعد ذلك

العباس بن عبد المطلب ، عقيل بن أبى طالب ، نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، أبو العاص بن الربيع . أبو عزيز بن عمير العبدرى ، السائب بن أبى حبيش ، خالد بن هشام المخزومى ، عبد الله بن أبى السائب . المطلب بن حنظب . أبو وداعة السهمى ، عبد الله ابن أبى بن خلف الجمحى ، وهب بن عمير الجمحى سهيل بن عمرو العامرى ، عبد بن زمعة أخو سودة ، قيس بن السائب المخزومى ، نسطاس مولى أمية بن خلف .
ويذكر أن العباس كان جسيماً ، أسره أبو اليسر كعب بن عمرو ، وكان دميما ، فقيل للعباس : لو أخذته بكفك لوسعته كفك ، فقال : ما هو إلا أن لقيته فظهر فى عينى كالخندمة ، والخندمة جبل من جبال مكة .

---

[1]- فى الأصل : « عبد الله بن زمعة » وهو تحريف .

فضل من شهد بدراً

روينا من طريق البخارى ، حدثنى إسحق بن إبراهيم قال : أنا جرير ، عن يحيى بن سعيد ، عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقى ، عن أبيه ـ وكان أبوه من أهل بدر ـ قال : جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : (من أفضل المسلمين) أو كلمة نحوها . قال : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة .

ما قيل من الشعر فى بدر

قال حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه :

ألم تر أمراً كان من عجب الدهر ... وللحين «١» أسباب مبينة الأمر

وما ذاك إلا أن قوماً أفادهم ... فحانوا تواص بالعقوق وبالكفر «٢»

عشية راحوا نحو بدر جميعهم ... فكانوا رهوناً للركية من بدر «٣»

وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرها ... فساروا إلينا فالتقينا على قدر

فلما التقينا لم تكن مثنوية ... لنا غير طعن بالمثقفة السمر «٤»

وضرب ببيض يختلى الهام حدها ... مشهرة الألوان بينة الأثر «٥»

ونحن تركنا عتبة الغى ثاوياً ... وشيبة فى قتلى تجرجم فى الجفر «٦»

وعمرو ثوى فيمن ثوى من حماتهم ... فشقت جيوب النائحات على عمرو

جيوب نساء من لؤى بن غالب ... كرام تفر عن الذوائب من فهر «٧»

أولئك قوم قتلوا فى ضلالهم ... وخلوا لواء غير محتضر النصر

لواء ضلال قاد إبليس أهله ... فخاس بهم إن الخبيث إلى غدر «٨»

وقال لهم إذ عاين الأمر واضحاً ... برئت إليكم ما بى اليوم من صبر

فإنى أرى ما لا ترون وإننى ... أخاف عقاب الله والله ذو قسر «٩»

فقدمهم للحين حتى تورطوا ... وكان بما لم يخبر القوم ذا خبر «١٠»

١– الحين : الردى والهلاك

٢– أفادهم : أهلكهم

٣– الرهون : جمع رهن . والركية : البئر ٤– مثنوية : يريد بها الرجوع والانصراف ، والمثقفة الرماح ، والثقاف : خشبة تتخذ لتقويم الرمح ، والسمر : جمع أسمر وهو من صفات الرماح.

٥– يختلى : يقطع . والهام : الرءوس ، واحدها هامة . والأثر ـ بفتح الهمزة أو كسرها ـ فرند السيف

٦– ثاوياً : مقيماً . ، وتجرجم : تسقط ، والجفر : البئر المتسعة .

٧– تفرعن : طون ، والذوائب : الأعالى ، يريد أنهن من فهر فى المكان الذى لا يسامى ولا يبلغه قدر

٨– خاس : معناه غدر ٩– القسر : القهر والغلبة

١٠– تورطوا : وقعوا فى هلكة .

فكانوا غداة البئر ألفاً وجمعنا ... ثلاث مئين كالمسدمة الزهر «١»
وفينا جنود الله حين يمدنا ... بهم فى مقام ثم مستوضح الذكر
فشد بهم جبريل تحت لوائنا ... لدى مازق فيه مناياهم تجرى «٢»

فاد الرجل فيداً وفوراً : مات ، وأفاده الله .
والجفر : البئر غير المطوية .
والمسدمة : من قولهم فحل سدم إذا كان هائجاً .
والمازق : موضع الحرب .
ومن الناس من ينكرها لحمزة .
فأجابه الحارث بن هشام المخزومى :

ألا يا لقوم للصبابة والهجر ... وللحزن منى والحرازة فى الصدر «٣»
وللدمع من عينى جوداً كأنه ... فريد هوى من سلك ناظمه يجرى «٤»
على البطل الحلو الشمائل إذ ثوى ... رهين مقام للركية من بدر «٥»
فلا تبعدن يا عمرو من ذى قرابة ... ومن ذى ندام كان من خلق غمر «٦»
فإن يك قوم صادفوا منك دولة ... ولابد للأيام من دول الدهر
فقد كنت فى صرف الزمان الذى مضى ... تريهم هواناً منك ذا سبل وعر «٧»

فى أبيات .
ومما يعزى لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه فى أبيات :

ألم تر أن الله أبلى رسوله ... بلاء عزيز ذى اقتدار وذى فضل «٨»
بما أنزل الكفار دار مذلة ... فلاقوا هواناً من أسار ومن قتل

فأجابه الحارث بن هشام :

عجبت لأقوام تغنى سفيههم ... بأمر سفاه ذى اعتراض وذى بطل «٩»
تغنى بقتلى يوم بدر تتابعوا ... كرام المساعى من غلام ومن كهل

١- المسدمة : الفحول من الأبل ، والزهر : جمع أزهر ، وأراد به الأبيض .
٢- المازق : الموضع الضيق فى الحرب
٣- الصبابة : رقة الشعور
٤- الجود : الكثير . والفريد : أراد به العقد ، والسلك : الخيط الذى ينظم به العقد .
٥- الشمائل : الخلائق والسجايا ، وثوى : أقام .
٦- ندام :جمع نديم : ، وغمر : واسع الخلق .
٧- سبل : جمع سبيل ، وهى الطريق .
٨- أبلى رسوله : من عليه وصنع له صنعاً حسناً
٩- البطل : بضم فسكون ـ الباطل .

مصاليت بيض من ذؤابة غالب ... مطاعين فى الهيجا مطاعيم فى المحل «١»
أصيبوا كراماً لم يبيعوا عشيرة ... بقوم سواهم نازحى الدار والأهل «٢»
كما أصبحت غسان فيكم بطانة ... لكم بدلاً منا فيالك من فعل «٣»
عقوقاً وإثماً بيناً وقطيعة ... يرى جوركم فيها ذو الرأى والعقل
فإن يك قوم قد مضوا لسبيلهم ... وخير المنايا ما يكون من القتل
فلا تفرحوا أن تقتلوهم فقتلهم ... لكم كائن خبلاً مقيماً على خبل «٤»

فى أبيات ذكرها .

وقال ضرار بن الخطاب الفهرى :

عجبت لفخر الأوس والحين دائر ... عليهم غداً والدهر فيه بصائر
وفخر بنى النجار إن كان معشر ... ببدر أصيبوا كلهم ثم صائر
فإن تك قتلى غودرت من رجالنا ... ببدر فإنا بعدهم سنغادر
وتردى بنا الجرد العناجيج وسطكم ... بنى الأوس حتى يشفى النفس ثائر «٥»
ووسط بنى النجار سوف يكرها ... لنا بالقنا والدارعين زوافر «٦»
فنترك صرعى تعصب الطير نحوهم ... وليس لهم إلا الأمانى ناصر
وتبكيهم من أهل يثرب نسوة ... لهن بهاليل عن النوم ساهر
وذلك أنا لا تزال سيوفنا ... بهن دم مما يحاربن مائر «٧»
فإن تظفروا فى يوم بدر فإنما ... بأحمد أمسى جدكم وهو ظاهر «٨»
وبالنفر الأخيار هم أولياؤه ... يحامون فى اللأواء والموت حاضر «٩»
يعد أبو بكر وحمزة فيهم ... ويدعى على وسط من أنت ذاكر
أولئك لا من نتجت من ديارها ... بنو الأوس والنجار حين تفاخروا «١٠»
ولكن أبوهم من لؤى بن غالب ... إذا عدت الأنساب كعب وعامر
هم الطاعنون الخيل فى كل معرك ... غداة الهياج الأطيبون الأكابر «١١»

العناجيج : جياد الخيل ، واحدها عنجوح . ومائر : متردد

١- مصاليت : شجعان ، « من ذؤابة غالب » من أعلى فروعها وأكرم أهلها ، ومطاعين : جمع مطعان ، والمطعان : هو الرجل الكثير الطعن للعدو ، ومطاعيم : جمع مطعام ، وهو الذى يكثر من الإطعام ، والمحل : الجدب والقحط .
٢- النازح : البعيد
٣- بطانة الرجل : خاصته وأصحاب سره
٤- الخبل : الفساد
٥- تردى : تسرع ، والثائر : الطالب لثأره
٦- الزوافر : جمع زافرة ، وهى التى تحمل الثقل .
٧- مائر : سائل
٨- الجد : الحظ ٩- اللأواء : الشدة
١٠- نتجت : معناه ولدت ١١- معرك : المكان الذى تعترك فيه الفرسان .

ومما قاله حسان بن ثابت الأنصارى :

بلوت فؤادك فى المقام خريدة … تشفى الضجيع ببارد بسام «١»
كالمسك تخلطه بماء سحابة … أو عاتق كدم الذبيح مدام «٢»
أما النهار فلا أفتر ذكرها … والليل توزعنى بها أحلامى «٣»
أقسمت أنساها وأترك ذكرها … حتى تغيب فى الضريح عظامى «٤»
بل من لعاذلة تلوم سفاهة … ولقد عصيت على الهوى لوامى
إن كانت كاذبة الذى حدثتنى … فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم … ونجا برأس طمرة ولجام «٥»

فى أبيات يعير الحارث بن هشام بالفرار ، وكان الحارث يقول :

الله يعلم ما تركت قتالهم … حتى رموا فرسى بأشقر مزبد
وعلمت أنى إن أقاتل واحداً … أقتل ولا يضرر عدوى مشهدى
فصددت عنهم والأحبة فيهم … طمعاً لهم بلقاء يوم مفسد

وكان الأصمعى يقول : هذا أحسن ما قيل فى الأعتذار عن الفرار .

وكان خلف الأحمر يقول : أحسن ما قيل فى ذلك ، أبيات هبيرة بن أبى وهب المخزومى .

لعمرك ما وليت ظهرى محمداً … وأصحابه جبناً ولا خيفة القتل
ولكننى قلبت أمرى فلم أجد … لسيفى مساغاً إن ضربت ولا نبل
وقفت فلما خفت ضيعة موقفى … رجعت لعود كالهزبر أبى الشبل «٦»

وإن تقاربا لفظاً ومعنى ، فليس ببعيد من أن يكون الثانى أجود من الأول لأنه أكثر انتفاء من الجبن ، ومن خوف القتل ، وإنما علل فراره بعدم إفادة وقوفه فقط ، وذلك فى الأول جزء علة ، والجزء الآخر قوله : أقتل .

وقوله : رموا فرسى بأشقر مزبد ، يعنى الدم ، ويحتمل أن يكون ذلك مقيداً بكون مشهده لا يضر عدوه ، ومع ذلك فالثانى أسلم من ذلك معنى وأصرح لفظاً .

ومما قاله حسان :

لقد علمت قريش يوم بدر … غداة الأسر والقتل الشديد
بأنا حين تشتجر العوالى … حماة الحرب يوم أبى الوليد «٧»

١- الخريدة : أراد بها الجارية الناعمة ، وبارد بسام : أراد بها ثغرها ، وبسام : كثير التبسم
٢- العاتق : هى الخمر القديمة ، وقوله : « كدم الذبيح » أراد أنها حمراء مثله ، والمدام : اسم من أسماء الخمر
٣- توزعنى : تغرينى
٤- أقسمت أنساها : أى حلفت لا أنساها ولا أترك ذكرها .
٥- الطمرة : الفرس المستفز للوثب والعدو .
٦- الهزبر : الأسد القوى .
٧- تشتجر : تختلط وتشتبك ، والعوالى : أعالى الرماح

قتلنا ابنى ربيعة يوم ساروا ... إلينا فى مضاعفة الحديد «١»
وقربها حكيم يوم جالت ... بنو النجار تخطر كالأسود «٢»
وولت عند ذاك جموع فهر ... وأسلمها الحويرث من بعيد

وقالت قتيلة بنت الحارث أخت النضر بن الحارث :

يا راكباً إن الأثيل مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق «٣»
أبلغ بها ميتاً بأن تحية ... ما إن تزال بها النجائب تخفق «٤»
منى إليك وعبرة مسفوحة ... جادت بواكفها وأخرى تخفق «٥»
هل يسمعن النضر إن ناديته ... أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد يا خير ضنء كريمة ... فى قومها والفحل معرق «٦»
ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق «٧»
أو كنت قابل فدية فلننفقن ... يا عز ما يغلو به ما ينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة ... وأحقهم إن كان عتق يعتق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تشقق «٨»
صبراً يقاد إلى المنية متعباً ... رسف المقيد وهو عان موثق «٩»

فيقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو بلغنى هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه «١٠» .

وكان فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر فى عقب رمضان أوائل شوال .

١- مضاعفة الحديد : الدروع التى ضوعف نسجها
٢- قربها : المشى دون الجرى ، وتخطر : تهتز فى المشى إلى لقاء العدو .
٣- الأثيل : موضع قرب المدينة
٤- النجائب : الإبل الكريمة ، وتخفق : تسرع
٥- جادت : من الجود وهو المطر ، وواكف الدمع : سائله .
٦- الضنء : الأصل . معرق : كريم الأصل .
٧- مننت : أنعمت بالفداء ، والمن : النعمة ، والمحنق : الشديد الغيظ
٨- تنوشه : تتناوله ، وتشقق : تقطع
٩- الرسف : المشى الثقيل ، والعانى : الأسير
١٠- قال ابن عبد البر فى « الدرر » ص ١٠٧ : وهذا ليس معناه الندم ، لأنه عليه السلام لا يقول ولا يفعل إلا حقاً ، لكن معناه لو شفعت عندى بهذا القول لقبلت شفاعتها وفيه تنبيه على حق الشفاعة والضراعة ، ولا سيما الاستعطاف بالشعر ، فإن مكارم الأخلاق تقتضى إجازة الشاعر وتبليغه قصده ، والله أعلم » .

فصل

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله : فلما أوقع الله بالمشركين يوم بدر واستأصل وجوههم ، قالوا : إن ثأرنا بأرض الحبشة ، فلنرسل إلى ملكها يدفع إلينا من عنده من أتباع محمد فلنقتلهم بمن قتل منا ببدر ، قال : أخبرنا عبد الله بن محمد فثنا محمد بن بكر ، فثنا أبو داود قثنا ابن السرح فثنا ابن وهب قال : أخبرني يونس عن ابن شهاب ، قال : بلغني أن مخرج عمرو بن العاص وابن أبى ربيعة إلى أرض الحبشة فيمن كان بأرضهم من المسلمين كان بعد وقعة بدر ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مخرجهما بعث عمرو بن أمية من المدينة إلى النجاشى بكتاب .

قلت : وقد تقدم القول عند ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة ، أن توجه عمرو بكتابى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المحرم سنة سبع ، يدعوه فى أحدهما إلى الإسلام ، والثانى فى تزويجه عليه السلام أم حبيبة ، وقيل : فى شهر ربيع الأول منها ، وقيل : فى سنة ست حكاه أبو عمر عن الواقدى .

وأما عمرو بن أمية فشهد بدراً وأحداً مع المشركين وأسلم بعد ذلك ، وكان أول مشهد شهده بئر معونة ، فأسرته بنوعامر يومئذ ، فقال له عامر بن الطفيل : أنه كان على أمى نسمة ، فاذهب فأنت حر عنها ، وجز ناصيته ، وبعثه أيضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى سفيان بن حرب بهدية إلى مكة .

وسيأتى ذكر كتاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى مع عمرو عند ذكر كتب النبى صلى الله عليه وسلم إلى الملوك فى موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وهذا الفصل ذكره أبو عمر فى هذا الموضع من كتابه فى المغازى وفيه نظر [1] .

سرية عمير بن عدى

روينا عن ابن سعد قال : ثم سرية عمير بن عدى بن خرشة الخطمى إلى عصماء بنت مروان من بنى أمية بن زيد ، لخمس ليال بقين من شهر رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت عصماء عند يزيد بن زيد ابن حصن الخطمى ، وكانت تعيب الإسلام ، وتؤذى النبى صلى الله عليه وسلم وتحرض عليه ، وتقول الشعر ، فجاءها عمير بن عدى فى جوف الليل حتى دخل عليها بيتها ،

١- فى هامش الأصل : « بلغ مقابلة لله الحمد » .

وحولها نفر من ولدها نيام ، منهم من ترضعه فى صدرها فجسها بيده ، وكان ضرير البصر ، ونحى الصبى عنها ووضع سيفه على صدرها ، حتى أنفذه من ظهرها ، ثم صلى الصبح مع النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أقتلت ابنة مروان » ؟ قال : نعم فهل على فى ذلك من شىء ؟ فقال : « لا ينتطح فيها عنزان » .

فكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عميراً البصير .

وكان أول من أسلم من خطمة ، عمير بن عدى ، وكان يدعى القارىء ، وكان إمام قومه وقارئهم .

سرية سالم بن عمير

روينا عن ابن سعد قال : ثم سرية سالم بن عمير إلى أبى عفك [1] اليهودى فى شوال على رأس عشرين شهراً من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو عفك من بنى عمرو بن عوف ، شيخاً كبيراً قد بلغ عشرين ومائة سنة ، وكان يهودياً ، وكان يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول الشعر ، فقال سالم بن عمير - وهو أحد البكائين وممن شهد بدراً - : علىّ نذر أن أقتل أبا عفك ، أو أموت دونه ، فأمهل يطلب له غرة ، حتى كانت ليلة صائفة فنام أبو عفك بالفناء ، وسمع به سالم بن عمير ، فاقبل فوضع السيف على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش فى الفراش ، وصاح عدو الله ، فثاب إليه ناس ممن هو على قوله ، فأدخلوه منزله وقبروه .

فقالت أمامة المريدية [2] فى ذلك .

تكذب دين الله والمرء أحمدا	لعمرو الذى أمناك أن بئس ما يمنى
حباك حنيفاً آخر الليل طعنة	أبا عفك خذها على كبر السن

البيتان عن ابن سعد

وكان أبو عفك ممن نجم نفاقه حين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحرث ابن سويد بن الصامت . وشهد سالم بدراً ، وأحداً ، والخندق ، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفى فى خلافة معاوية بن أبى سفيان ، وقال فيه موسى ابن عقبة : سالم بن عبد الله .

١- بفتح العين المهملة

٢- بضم الميم وكسر الراء . وهو بطن من بلى

غزوة بنى سليم

قال ابن إسحق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ـ يعنى من بدر ـ لم يقم إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بنى سليم .
قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى ، أو ابن أم مكتوم .
قال ابن إسحق : فبلغ ماء من مياههم يقال له : الكدر «١» ، فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً

غزوة بنى قينقاع

قال ابن سعد : وكانت يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً من مهاجره.
قال ابن إسحق : وكان من أمر بنى قينقاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق بنى قينقاع ، ثم قال : (يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة ، وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل ، تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم) ، قالوا : يا محمد إنك ترى أنا قومك ، ولا يغرنك أنك لقيت قوماً لاعلم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس .
فحدثنى مولى لآل زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، أو عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد ، قد كان لكم آية فى فئتين التقتا – أى أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش – فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار «٢» .
قال : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أنهم كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه .
قال ابن هشام : وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة ، عن أبى عون قال : كان من أمر بنى قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب «٣» لها فباعته بسوق بنى قينقاع وجلست إلى صائغ ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها ، فضحكوا منها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهودياً ، وشدت اليهود

١– الكدر : بضم الكاف وسكون الدال المهملة .
٢– سورة آل عمران : الآيتان ١٢ – ١٣ .
٣– جلب : بفتح الجيم واللام ـ كل ما يجلب إلى السوق ليباع من غنم وإبل ونحوها

على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فأغضب المسلمين فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع ، وتبرأ عبادة بن الصامت من حلفهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتشبث «١» به عبد الله بن أبى فيما روينا ، عن ابن إسحق ، عن أبيه عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت . قال : وفيه وفى عبد الله نزلت : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض » إلى قوله : (فإن حزب الله هم الغالبون «٢») وروينا عن ابن سعد قال : وكانوا قوماً من يهود حلفاء لعبد الله بن أبى بن سلول ، وكانوا أشجع يهود ، وكانوا صاغة ، فوادعوا النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغى والحسد ، ونبذوا العهد والمدة ، فأنزل الله تعالى : (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين «٣») فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أخاف من بنى قينقاع ، فسار إليهم ولواؤه بيد حمزة بن عبد المطلب وكان أبيض . ولم تكن الرايات يومئذ . واستخلف على المدينة أبالبابة بن عبد المنذر .

وحاصرهم خمس عشرة ليلة إلى هلال ذى القعدة . وكانوا أول من غدر من اليهود ، وحاربوا وتحصنوا فى حصنهم فحاصرهم أشد الحصار حتى قذف الله فى قلوبهم الرعب ، فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أموالهم ، وأن لهم النساء والذرية ، فأنزلهم فكتفوا «٤» واستعمل على كتافهم المنذر بن قدامة السلمى . فكلم ابن أبى فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وألح عليه ، فقال : « حلوهم » لعنهم الله ولعنه معهم وتركهم من القتل ، وأمر أن يجلوا من المدينة وتولى ذلك عبادة بن الصامت ، فلحقوا بأذرعات ، فما كان أقل بقائهم بها .

وذكر ما تنفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاحهم ، وسيأتى ذكرنا له ، وخمست أموالهم ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم صفيه «٥» الخمس وفض «٦» أربعة أخماس على أصحابه ، فكان أول ما خمس بعد بدر .

وكان الذى قبض أموالهم محمد بن مسلمة . انتهى ما وجدته عن ابن سعد .

كذا وقع صفيه الخمس والمعروف أن الصفى غير الخمس .

روينا عن الشعبى من طريق أبى داود قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سهم يدعى الصفى قبل الخمس .

وعن عائشة : كانت صفية رضى الله عنها من الصفى ، فلا أدرى أسقطت الواو أو كان هذا قبل حكم الصفى . والله أعلم .

١- تشبث به : تمسك به

٢- سورة المائدة : الآيات ٥١ – ٥٦

٣- سورة الأنفال : الآية ٥٨

٤- كتفه : شد يده به إلى خلف « بالكتاف » وهو حبل .

٥- الصفى : سهم الرئيس من الغنيمة .

٦- يقال : فض على القوم ، أى فرقه وقسمه عليهم .

وكانوا أربعمائة حاسر «١» ، وثلاثمائة دارع «٢» وكانوا حلفاء الخزرج .

غزوة السويق

روينا عن محمد بن إسحق قال : ثم غزا أبو سفيان بن حرب فى ذى الحجة غزوة السويق .

وذكر ابن سعد : خروج النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة لخمس خلون من ذى الحجة يوم الأحد على رأس اثنين وعشرين شهراً من مهاجره .

رجع إلى ابن إسحق قال : وكان أبو سفيان ، كما حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، ويزيد بن رومان ، ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك - وكان من أعلم الأنصار - أن أبا سفيان حين رجع إلى مكة ورجع فل «٣» قريش من بدر ، نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً صلى الله عليه وسلم ، فخرج فى مائتى راكب من قريش ليبر يمينه ، فسلك النجدية ، حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له نيب من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضير تحت الليل ، فأتى حيى بن أخطب ، فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له بابه وخافه ، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم ، وكان سيد بنى النضير فى زمانه ذلك وصاحب كنزهم «٤» فاستأذن عليه ، فأذن له فقراه «٥» وسقاه وبطن له من خبر الناس «٦» ، ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالاً من قريش فأتوا ناحية منها يقال لها العريض فحرقوا فى أصوار «٧» من نخل بها ، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً لهم فى حرثها فقتلوهما ، ثم انصرفوا راجعين ، ونذر بهم الناس «٨» .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم فى مائتين من المهاجرين والأنصار . وهذا العدد عن ابن سعد ، واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر - فيما قال ابن هشام - حتى بلغ قرقرة الكدر .

قال ابن سعد : وجعل أبو سفيان وأصحابه يتخففون للهرب ، وكان أصحابه مائتين - كما

١- الحاسر : الذى لادرع له .
٢- الدارع : لابس الدرع
٣- فل قريش : الفل - بفتح الفاء - القوم المنهزمون .
٤- صاحب كنزهم : بريد بالكنز المال الذى يجمعونه للطوارىء التى تعرض لهم .
٥- قراه : صنع له القرى ، وهو الطعام الذى يقدم للضيف .
٦- بطن له من خبر الناس : أى أعلمه من سرهم .
٧- أصوار : جمع صور ، وهو صغار النخل المجتمعة .
٨- نذر بهم : علم بهم

قدمنا ـ وقيل : كانوا أربعين ، فيلقون جرب السويق وهى عامة أزوادهم ، فيأخذها المسلمون فسميت غزوة السويق .
ولم يلمسوهم وأنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة ، وكان غاب خمسة أيام .
قال ابن إسحق : وقال المسلمون حين رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، أنطمع أن تكون لنا غزوة ؟ قال : نعم .

غزوة قرقرة الكدر

قال ابن سعد ويقال : قرارة الكدر للنصف من المحرم على رأس ثلاثة وعشرين شهراً من مهاجره ، وهى بناحية معدن بنى سليم قريب من الأرحضية وراء سد معونة ، وبين المعدن وبين المدينة ثمانية برد .
وكان الذى حمل لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب . واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وكان بلغه أن بهذا الموضع جمعاً من بنى سليم وغطفان ، فسار إليهم فلم يجد فى المحال أحداً ، وأرسل نفراً من أصحابه فى أعلى الوادى ، واستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بطن الوادى ، فوجد رعاء منهم غلام يقال له يسار فسأله عن الناس ، فقال : لا علم لى بهم إنما أورد لخمس[1] ، وهذا يوم ربعى ، والناس قد ارتفعوا فى المياه ، ونحن عزاب فى الغنم .
فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ظفر بالنعم ، فانحدر به إلى المدينة ، واقتسموا غنائمهم بصرار على ثلاثة أميال من المدينة ، وكانت النعم خمسمائة بعير ، فأخرج خمسه ، وقسم أربعة أخماسه على المسلمين فأصاب كل رجل منهم بعيرين ، وكانوا مائتى رجل ، وصار يسار فى سهم النبى صلى الله عليه وسلم ، فأعتقه وذلك أنه رآه يصلى .
وغاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة .
والقرقرة : أرض ملساء . والكدر : طير فى ألوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع .
وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يذكر مسيره مع النبى صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة .

١- الخمس بكسر الخاء من إظماء الإبل أى ترعى ثلاثة إيام ثم ترد اليوم الرابع ، وقيل : أخمس الرجل أى وردت إبله خمساً .

سرية كعب بن الأشرف

روينا عن ابن سعد أنها كانت لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من مهاجره عليه السلام .

قال ابن إسحق : وكان من حديث كعب بن الأشرف أنه لما أصيب أصحاب القليب يوم بدر ، وقدم زيد بن حارثة إلى أهل السافلة ، وعبدالله بن رواحة إلى أهل العالية بشيرين بالفتح : قال كعب - وكان رجلاً من طيء ثم أحد بني نبهان ، وكانت أمه من بني النضير - : أحق هذا ؟ أترون أن محمداً قتل هؤلاء الذي يسمى هذان الرجلان « يعني زيداً وعبد الله بن رواحة » فهؤلاء أشراف العرب ملوك الناس ، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها .

فلما أيقن عدو الله الخبر، خرج حتى قدم مكة فنزل على المطلب بن أبي وداعة السهمي ، وجعل يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينشد الأشعار ، ويبكي على أصحاب القليب ، ثم رجع إلى المدينة فتشبب «١» بنساء المسلمين حتى آذاهم .

وروينا من طريق ابن عائذ ، عن الوليد بن مسلم ، عن عبد الله بن لهيعة ، عن أبي الأسود عن عروة ، قال : ثم انبعث عدو الله يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين «٢» ، ويمتدح عدوهم ويحرضهم عليهم ، فلم يرض بذلك حتى ركب إلى قريش فاستغواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له أبو سفيان والمشركون : أديننا أحب إليك أم دين محمد وأصحابه ، وأي ديننا أهدى في رأيك ؟ وأقرب إلى الحق ؟ فقال : أنتم أهدى منهم سبيلاً وأفضل وفيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لنا بابن الأشرف ؟ فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا ، وقد خرج إلى قريش فأجمعهم على قتالنا ، وقد أخبرني الله عز وجل بذلك ، ثم قدم أخبث ما كان ينتظر قريشاً تقدم عليه فيقاتلنا ، ثم قرأ على المسلمين ما أنزل الله تعالى عليه فيه (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب «٣») الآية وخمس آيات فيه وفي قريش .

رجع إلى خبر ابن إسحق فقال : كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة « من لي بابن الأشرف » ؟ فقال له محمد بن مسلمة ، أخو بني عبد الأشهل : أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله ، قال : « فافعل إن قدرت على ذلك » فرجع محمد بن مسلمة ، فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق به نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال له : « لم تركت الطعام والشراب » ؟ قال : يا رسول الله ، قلت لك قولا لا

١- شبب بنساء المسلمين : تغزل فيهن .

٢- في نسخة : « والمسلمين » .

٣- سورة النساء : الآيات ٥١ - ٥٥ .

أدرى هل أفين لك به أم لا ، فقال : « إنما عليك الجهد » قال : يا رسول الله ، إنه لا بدلنا من أن نقول ، قال : « قولوا ما بدا لكم فأنتم فى حل من ذلك » فاجتمع فى قتله محمد بن مسلمة ، وسلكان بن سلامة بن وقش ، وكان أخاً لكعب من الرضاعة ، وعباد ابن بشر بن وقش أحد بنى عبد الأشهل ، والحرث بن أوس بن معاذ ، وأبو عبس ابن جبر ، قلت : وهؤلاء الخمسة من الأوس .

ثم قدموا إلى عدو الله كعب بن الأشرف قبل أن يأتوه سلكان بن سلامة فجاءه ، فتحدث معه ساعة ، وتناشدا شعراً ، وكان أبو نائلة سلكان يقول الشعر ، ثم قال : ويحك يا ابن الأشرف إنى قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عنى ، قال : أفعل ، قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاءً من البلاء عادتنا « به » العرب ، ورمتنا عن قوس واحدة ، وقطعت عنا السبل(١) ، حتى جاع العيال ، وجهدت الأنفس(٢) ، وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا ، فقال كعب : أنا ابن الأشرف ، أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول . فقال له سلكان : إنى قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ، ونوثق لك وتحسن فى ذلك ، قال : أترهنونى أبناءكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحنا ، إن معى أصحاباً على مثل رأيى ، وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن فى ذلك ونرهنك من الحلقة(٣) ما فيه وفاء ، وأراد سلكان أن لا ينكر السلاح إذا جاءوا بها ، قال : إن فى الحلقة لوفاء . قال : فرجع سلكان إلى أصحابه فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : ويقال : قال : أترهنونى نساءكم ؟ قال : كيف نرهنك نساءنا وأنت أشب أهل يثرب وأعطرهم ؟ قال : أترهنونى أبناءكم ؟

قال ابن إسحق فحدثنى ثور بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : مشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد(٤) ، ثم وجههم ، وقال : « انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم » ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، وهو فى ليلة مقمرة ، وأقبلوا حتى أنتهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة ، وكان حديث عهد بعرس فوثب فى ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيتها ، وقالت : إنك امرؤ محارب ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون فى هذه الساعة ، قال : إنه أبو نائلة ، لو وجدنى نائماً لما أيقظنى ، فقالت : والله إنى لأعرف فى صوته الشر ، قال : يقول لها كعب : لو يدعى الفتى لطعنة لأجاب ، فنزل فتحدث معهم ساعة ، وتحدثوا معه ، ثم قالوا : هل لك يا ابن الأشرف أن

١- السبل : جمع سبيل ، وهو الطريق .

٢- جهدت الأنفس : بلغ منها الجهد والمشقة .

٣- الحلقة : السلاح ، وأصله خاص بالدروع .

٤- بقيع الغرقد : هو مقبرة أهل المدينة ، وإنما سمى بذلك لأنه كان فيه غرقد وقطع ، والغرقد من شجر العضاه وشجر الشوك .

تمشى معنا إلى شعب العجوز «١» فنتحدث به بقية ليلتنا ؟ فقال : إن شئتم ، فخرجوا يتماشون فمشوا ساعة ، ثم إن أبا نائلة شام يده فى فود رأسه «٢» ، ثم شم يده فقال : ما رأيت كالليلة طيباً أعطر ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها فأخذ بفود رأسه ، ثم قال : اضربوا عدو الله ، فضربوه ، فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئا ، قال محمد بن مسلمة : فذكرت مغولا «٣» فى سيفي حين رأيت أسيافنا لا تغني شيئاً فأخذته ، وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه ناراً قال : فوضعته فى ثنته «٤» ثم تحاملت عليه حتى بلغ عانته فوقع عدو الله ، وقد أصيب الحرث بن أوس بن معاذ فجرح فى رأسه ، وفى رجله ، أصابه بعض أسيافنا ، قال : فخرجنا حتى سلكنا على بنى أمية بن زيد ، ثم على بنى قريظة ، ثم على بعاث ، حتى أسندنا «٥» فى حرة العريض «٦» ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحرث بن أوس ، ونزفه الدم ، فوقفنا له ساعة ثم أتانا يتبع آثارنا ، فاحتملناه فجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلى ، فسلمنا فخرج إلينا فأخبرناه بمقتل عدو الله ، وتفل على جرح صاحبنا ، ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله فليس بها يهودى إلا وهو يخاف على نفسه ، انتهى خبر بن إسحق . وقال عباد بن بشر فى ذلك شعراً .

صرخت به فلم يعرض لصوتى ... وأوفى طالعاً من رأس جدر

فعدت له فقال من المنادى ... فقلت أخوك عباد بن بشر

وهذى درعنا رهناً فخذها ... لشهر إن وفى أو نصف شهر

فقال معاشر سغبوا وجاعوا ... وما عدموا الغنى من غير فقر

فأقبل نحونا يهوى سريعاً ... وقال لنا لقد جئتم لأمر

وفى أيماننا بيض حداد ... مجربة بها الكفار نفرى

فعانقه ابن مسلمة المردى ... به الكفار كالليث الهزبر

وشد بسيفه صلتاً عليه ... فقطره أبو عبس بن جبر

وكان الله سادسنا فأبنا ... بأنعم نعمة وأعز نصر

وجاء برأسه نفر كرام ... هم ناهيك من صدق وبر

واستشهد عباد بن بشر يوم اليمامة ..

١- شعب العجوز : الشعب كل فرجة بين جبلين .

٢- شام يده فى فود رأسه : معناه أدخل يده فى شعره وفود الرأس : جانبه من جهة الأذان .

٣- المغول : السكين

٤- الثنة : ما بين السرة والعانة

٥- أسندنا : ارتفعنا

٦- حرة العريض : الحرة أرض فيها حجارة سود . والعريض مكان بعينه

وذكرموسى بن عقبة عن ابن شهاب قال : وممن شهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . عباد بن بشر ، وقتل يوم اليمامة شهيداً ، وكان له يومئذ بلاء وعناء فاستشهد وهو ابن خمس وأربعين سنة .

خبر محيصة بن مسعود مع ابن سنينة

قال ابن إسحق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه » فوثب محيصة بن مسعود على ابن سنينة - ويقال ابن سبينة ، عن ابن هشام - رجل من تجار يهود وكان يلابسهم ويبايعهم - فقتله ، وكان حويصة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم ، وكان أسن من محيصة ، فلما قتله جعل حويصة يضربه ، ويقول : أى عدو الله أقتلته أما والله لرب شحم فى بطنك من ماله ، قال محيصة : فقلت : والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك ، قال : فوالله إن كان لأول إسلام حويصة ، قال : أى والله لو أمرك بقتلى لقتلتنى ، قال : قلت : نعم والله لو أمرنى بضرب عنقك لضربتها قال : والله إن ديناً يبلغ بك هذا العجب ، فأسلم حويصة .

قال ابن إسحق : حدثنى هذا الحديث مولى لبنى حارثة عن ابنة محيصة عن أبيها فقال محيصة فى ذلك :

يلوم ابن أمى لـو أمـرت بـقـتـلـه	لطبقت ذفراه بأبيض قـاضـب [١]
حسام كلون الملح أخلـص صـقلـه	متى ما أصوبه فليس بـكـاذب [٢]
وماسرنى أنـى قتـلـتك طـائـعـاً	وأن لنا ما بين بصرى ومـأرب [٣]

وقيل : إن الذى قتله محيصة ، وقال له أخوه حويصة فى حقه ما قال وراجعه بما ذكرنا كعب بن يهودا .

وروينا عن ابن سعد قال : أنا محمد بن حميد العبدى عن معمر بن راشد ، عن الزهرى فى قوله تعالى :

(ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً [٤]) .

قال : هو كعب بن الأشرف .

١- طبقت : قطعت وأصبت المفصل ، والذفرى - بكسر فسكون عظم ناتىء خلف الأذن ، والأبيض : السيف ، والقاضب : القاطع .

٢- الحسام : السيف القاطع ، وأصوبه : أميله للضرب به .

٣- بصرى : مدينة بالشام ، ومأرب : باليمن .

٤- سورة آل عمران : الاية ١٨٦

ذكر فوائد تتعلق بهذ الخبر

مما نقلته من الحواشي التي ذكرتها بخط جدي رحمه الله على قوله : ما تعلق به نفسه قال : هو مأخوذ من العلقة ، والعلقة والعلاق بلغة من الطعام إلى وقت الغداء ، ومعناه ما يمسك رمقه من الغذاء ، ومنه ليس المتعلق كالمتأنق .

وعلى قوله : أنه لابد لنا من أن نقول : قال المبرد في الكامل : حقه أن يقول : نتقول يريد افتعل قولاً اختال به ، قال وفي العين : قولته ما لم يقل ، وقولته أدعيته عليه .

وعلى قوله : نرهنك من الحلقة : قال هذا هو المعروف يعني سكون اللام ، وحكى سيبويه عن أبي عمر أنهم كانوا حلقة بفتح اللام .

وعلى قوله : بقيع الغرقد ، قال الأصمعي : قطعت غرقدات فدفن فيها عثمان بن معظون فسمي المكان بقيع الغرقد لهذ السبب .

وعلى قوله : شام يده في فوده أي أدخل يده ، والفود الشعر مما يلي الأذن .

وشمت السيف إذا أغمدته وهو من الأضداد ، قال : : والمغول سيف قصير يشتمل عليه الرجل .

والثنة بين السرة والعانة .

وعلى قول ابن هشام : ابن سبينة ، وقال الأستاذ أبو علي - يعني شيخه عمر بن محمد الأزدي . ولم يذكره أصحاب الحديث يعني سبينة .

وعلى قوله : لطبقت ذفراه طبق أصاب المفصل ، والذفرى في القفا .

وأبو عبس بن جبر اسمه عبد الرحمن - وسلكان اسمه سعد .

غزوة غطفان بناحية نجد

قال ابن إسحق : وهي غزوة ذي أمر ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان ، فيما قال ابن هشام . قال ابن إسحق : فأقام بنجد صفراً كله ، أو قريباً من ذلك ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

وقال ابن سعد : ذو أمر بناحية النخيل وكانت في شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين من مهاجره ، وذلك أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن جمعاً من ثعلبة ومحارب بذي أمر قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جمعهم رجل منهم يقال له : دعثور بن الحرث من بني محارب ، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ، وخرج لإثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في أربعمائة وخمسين رجلاً ومعهم أفراس ، واستخلف على المدينة عثمان ، فأصابوا رجلا

منهم بذى القصة يقال له : حبان من بنى ثعلبة «١» فأدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره من خبرهم ، وقال : لن يلاقوك لو سمعوا بمسيرك هربوا فى رؤوس الجبال وأنا سائر معك ، فدعاه رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى الإسلام فأسلم ، وضمه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بلال ، ولم يلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً إلا أنه ينظر إليهم فى رؤوس الجبال ، وأصاب رسول الله وأصحابه مطر ، فنزع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبيه ونشرهما ليجفا وألقاهما على شجرة واضطجع ، وجاء رجل من العدو يقال له دعثور بن الحارث ، ومعه سيف حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : من يمنعك منى اليوم ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله » ودفع جبريل فى صدره فوقع السيف من يده ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له: من يمنعك منى ؟ قال : لا أحد أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ثم أتى قومه فجعل يدعوهم إلى الإسلام ، ونزلت هذه الآية فيه : (يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم «٢») الآية .
ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يلق كيداً ، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة .

غزوة بحران

قال ابن إسحق : ثم غزا يريد قريشاً ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فيما قال ابن هشام ، حتى بلغ بحران «٣» معدناً بالحجاز من ناحية الفرع ، فأقام به شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .
وقال ابن سعد : إنه خرج لست خلون من جمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهراً من مهاجره ، وذلك أنه بلغه أن بها جمعاً من بنى سليم كثيراً ، فخرج فى ثلاثمائة رجل من أصحابه ، قال : فأغذ السير «٤» حتى ورد بحران ، فوجدهم قد تفرقوا فى مياههم ، فرجع ولم يلق كيداً .
وكانت غيبته عشر ليال .
والفرع : بفتح الفاء والراء قيده االسهيلى .

١- فى الطبقات الكبرى : ٢/٢٤ « يقال له : جبار من بنى ثعلبة » .
٢- سورة المائدة : الآية ١١
٣- بحران : موضع لبنى سليم من ناحية الفرع بفتحتين ، وهى قرية من قرى المدينة .
٤- أغذ السير : أى أسرع السير

سرية زيد بن حارثة إلى القردة « اسم ماء »

قال ابن إسحق : وكان من حديثها أن قريشاً خافوا من طريقهم التي يسلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان ومعهم فضة كثيرة وهي عظمُ تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بني بكر بن وائل يقال له فرات بن حيان يدلهم في ذلك على الطريق .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فلقيهم على ذلك الماء ، فأصاب تلك العيروما فيها ، وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال حسان بن ثابت بعد أحد في غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشاً في آخذها تلك الطريق .

دعوا فلجات الشام قد حال دونها ... جلاد كأفواه المخاض الأوارك [1]

بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم ... وأنصاره حقاً وأيدي الملائك

إذا سلكت للغور من بطن عالج ... فقولا لها : ليس الطريق هنالك [2]

وقال ابن سعد : كانت لهلال جمادى الآخرة على رأس ثمانية وعشرين شهراً من مهاجره ، وهي أول سرية خرج فيها زيد أميراً ـ والقردة من أرض نجد من الربذة والغمرة ناحية ذات عرق – بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعترض العير لقريش فيها صفوان بن أمية ، وحويطب بن عبد العزى ، وعبدالله بن أبي ربيعة ، ومعه مال كثير وآنية فضة وزن ثلاثين ألف درهم ، وكان دليلهم فرات بن حيان ، فخرج بهم على ذات عرق طريق العراق ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم فوجه زيد بن حارثة في مائة راكب فاعترضوا لها ، فأصابوا العير وأفلت أعيان القوم ، وقدموا بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخمسها فبلغ الخمس فيه عشرين ألف درهم ، وقسم ما بقي على أهل السرية ، وأسرفرات بن حيان ، فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : إن تسلم تترك ، فأسلم ، فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم من القتل وحسن إسلام فرات بعد ذلك . وفيه قال عليه السلام : (إن منكم رجالاً نكلهم إلى إسلامهم منهم فرات) والفردة بالفاء المفتوحة وسكون الراء ، وضبطها بعضهم بفتح القاف والراء والله أعلم بالصواب [3] .

****

تم الجزء الأول

١- الفلجات : الأنهار الصغار ، والجلاد : المجالدة في الحرب ، والمخاض : الإبل الحوامل ، والأوراك : التي ترعى الأراك ، وهو شجر السواك .

٢- الغور : المنخفض من الأرض ، وعالج : موضع كثير الرمل .

٣- في هامش الأصل « بلغ مقابلة لله الحمد » .

فهرس

الناشر

دار الحياة للصحافة والاعلام

نشــر - توزيع

تم الجمع التصويرى والأخراج الفنى

بدار الحياة للصحافة والاعلام

الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

النـاشـر
دار الحياة للصحافة والاعلام
نيقوسيا - قبرص

الوكيل في مصر
دار الحياة للصحافة والاعلام
٢٢ ش عبد الخالق ثروت - القاهرة ت ٣٩١٤٨٣٠

أصدارات دار الحياة

مسلسل	أسم الكتاب	أسم المؤلف
١	المصابيح " رواية "	عبد المنعم الصاوى
٢	كلمتى كبير " مقالات "	محمد عمر الشطبى
٣	اهل البيت " سيرة "	محمود الشرقاوى
٤	كلمتى صغير " مقالات "	محمد عمر الشطبى
٥	مع الناس " الجريمة لاتفيد "	لواء / حسني غنايم
٦	الرجل الذئب " قصة "	محمد عمر الشطبى
٧	فى خدمتك	سيد داود
٨	ولى أمل سيبقى " ديوان شعر "	عبد الحميد السيد
٩	العالم بين يديك " دليل "	سيد داود
١٠	نفوس معذبة " قصة طويلة "	محمد عمر الشطبى
١١	حكايات مصرية " مقالات "	سيد داود
١٢	دموع " قصص قصيرة "	محمد عمر الشطبى
١٣	مواقف صحفية	علي المغربي
١٤	مع خالص تحياتى	سيد داود
١٥	هموم المغترب " كتاب نقدى "	فتحى سلامة
١٦	عجبى " كتاب نقدى "	محمد عمر الشطبى
١٧	ادب وادباء	لوسى يعقوب
١٨	كاريكاتير الحياة	أحمد طوغان

رقم الإيداع ٩٣/٥٨٩٩
I . S .B .N
977 - 5284 - 03 - 1